أهمية الرقابة الشرعية وضرورة وجودها في المؤسسات المالية الإسلامية

تعد هيئات الفتوى والرقابة الشرعية أحد أركان المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية وشريانها الذي يتعهدها بالحياة، وطوق نجاتها من المخالفات الشرعية، وصمام أمانها الذي يحفظها من الانحراف عن منهجها الذي بنيت عليه، واستوت قائمة على سوقها.

وبناء على ما سبق فقد نصت معظم المصارف في قوانينها الأساسية وأنظمتها الداخلية على أهمية خضوع معاملات هذه المصارف للرقابة الشرعية لضمان التزامها بالأحكام الشرعية.

ويمكن بيان هذه الأهمية في العناصر الآتية:

١ - إن وجود هيئة الفتوى والرقابة الشرعية بالمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية أمر بالغ الأهمية؛ حيث تقوم هذه الأخيرة بدراسة احتياجات المؤسسات المالية الإسلامية من الوسائل والآليات والإجراءات والصيغ التمويلية والاستثمارية؛ لتقوم بناء عليها بابتكار المنتجات الإسلامية البديلة، ولتمكن تلك المؤسسات من الانطلاق في عملها انطلاقة سليمة وراسخة، لا تتعثر أمام الأزمات إلا بالقدر اليسير الذي لا يفقدها قدرتها على المقاومة، والحفاظ على التوازن المطلوب في مثل تلك الظروف، كما تقوم بدراسة العقود والمستندات والنظر في مدى استيفائها للشروط الشرعية، ومن ثم إقرارها أو تعديلها أو إلغاؤها، ومتابعة المصارف في تنفيذها والتدقيق عليها؛ لتتأكد من مدى التزام تلك المؤسسات بقراراتها في تنفيذ السياسات والإجراءات والتقيد في استخدام المستندات والمنتجات.

٢ - إن مطلب الإفتاء والرقابة الشرعية على المؤسسات المالية الإسلامية يمثل العمق الاستراتيجي، والخاصية المميزة للعمل المالي والمصرفي الإسلامي، ولقد تمكنت هيئات الفتوى والرقابة الشرعية وعلى مدى أكثر من أربعة عقود من قيادة المؤسسات المالية الإسلامية بجدارة حتى تجاوزت بها مرحلة التأسيس إلى مرحلة التوسع والانتشار، وذلك كله في ظل بيئات مالية ومصرفية تقليدية.

٣ - لا يختلف اثنان في أن المصارف الإسلامية جاءت بديلاً للبنوك التقليدية - التي تعتمد الربا أساسًا لتعاملاتها المالية – لتخرج الناس من ضيق التعامل مع المؤسسات المالية التقليدية، وحرج الخوض في المعاملات الربوية إلى رحب الحلال الفسيح في المعاملات الإسلامية، وذلك من خلال المصارف الإسلامية، لكن هذا لا يحصل في المؤسسات المالية الإسلامية إلا إذا كانت هناك هيئة رقابة شرعية تشرف عليها وتراقب أعمالها وأداءها وتوجهها، وتقدم لها الحلول عند بروز المشكلات والعقبات.

٤ - إن الذين يسهرون على قيام المؤسسات المالية الإسلامية بمهمتها التي وجدت من أجلها سواء في ذلك الإداريين أو الموظفين الذين هم على اتصال مباشر بالمتعاملين لا يمتلكون أدوات الشريعة، ولا تفاصيل علومها في الغالب الأعم، بل إن كثيرا منهم جاؤوا من مؤسسات تقليدية؛ ونظرا لذلك فإن تلك المؤسسات في حاجة ماسة لوجود هيئة رقابة شرعية تعينها على بيان أحكام الشريعة في معاملاتها وتصرفاتها، كما تساعدها على التكيف والتعاطي مع الوضع المناسب للمصارف الإسلامية دون الرجوع إلى الاقتباس من أعمال النظم التقليدية.

٥ - إن الاقتصاد اليوم قد تعقدت معاملاته المالية وصوره التجارية، وتوسعت فيه شبكة التعاون بين المؤسسات المالية بشكل غير مسبوق، وانتشرت معه أنواع جديدة من التصرفات المالية وصناعتها، مثل: بطاقات الائتمان، والحسابات بأنواعها، والتجارة الإلكترونية التي لا يوجد لها أحكام في المصادر الفقهية القديمة، وإن وجدت الأحكام فإن المصرفيين القائمين على النشاط المصرفي غير مؤهلين للكشف عنها بأنفسهم، فهذا كله يؤكد ضرورة وجود هيئة رقابة شرعية ترعى وتراقب العمل الشرعي في تلك المصارف والمؤسسات، وتدفع به إلى أقصى مداه، وذلك بالتعاون مع إدارة تلك المؤسسات.

٦ - إن صور الاستثمار والتمويل في المؤسسات المالية الإسلامية كثيرة ونوازله عديدة ومن الصعب أن توجد لها قالبًا واحدًا تنتظم فيه جميع العمليات، وبمن ثم فهي محتاجة إلى من ينظر في كل ما يعرض عليها من العمليات والمعاملات وغيرها من العلماء المتخصصين، ولا يتحقق ذلك للمؤسسة المالية على الوجه المطلوب والمرغوب إلا إذا انتظم أولئك العلماء في هيئة تلبي طلبات المؤسسات بصورة سريعة ودائمة مهما كانت كثافة تلك الطلبات ووتيرة ورودها.

٧ - إن وجود هيئة للرقابة الشرعية في المؤسسة المالية الإسلامية يكسبها مصداقية لدى الرأي العام، ويعزز ثقة المساهمين والموظفين والمتعاملين بها، وبخاصة إذا كان التزام تلك المؤسسة بمقررات الهيئة التزامًا كاملا، كما يشيع جوًّا من الارتياح والطمأنينة في نفوسهم، ويزيل شك المترددين في التعامل معها.

٨ - هناك العديد من التحديات تواجه العمل المالي المصرفي الإسلامي، ولقد تواطأت الدواعي والأسباب العلمية والعملية، ونادى العديد من المصرفيين الإسلاميين والفقهاء الشرعيين بضرورة تطوير أنظمة الرقابة الشرعية في المؤسسات المالية الإسلامية من خلال وضع أنظمة وأسس وإجراءات تضمن السلامة المهنية للتدقيق والرقابة الشرعية، ولن يتأتى ذلك إلا في ظل وجود هيئة شرعية متمكنة في الفتوى والرقابة.

٩ - إن العصر الذي نعيش فيه تحدث فيه الكثير من الابتكارات والتطورات المصرفية، وفي كل يوم تظهر صيغ جديدة في المعاملات المالية مما يتطلب وجود هيئة من العلماء عندها الإحاطة بقواعد المعاملات الإسلامية، وعندها القدرة للإجابة على تلك القضايا والنوازل المصرفية المعقدة.

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

فِقـهُ النّـوازِل عند فقهاء المَـالكيَّـة المغاربـة:

مفهومه وأهميته

د. عبد العزيز وصفي
مدير مركز البصائر للبحوث والدراسات
أستاذ باحث في علوم الشريعة الإسلامية والقانون
المغرب

الحمد لله الذي أنزل القرآن شِرْعَةً ومنهاجًا، وجعل السُّنَّة تبيانًا له فأضحت سراجًا وهّاجًا، لا ينضب ماؤها؛ إذْ غدا منهمرًا ثجّاجًا، سائغ المذاق، بَلْسمًا كالتِّرياق لا مِلحًا أُجاجًا، فاستجلتْ معالم الأحكام، واستبان الحلال والحرام، وأثبتت صلاحيتها لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، واستيعابها حاجات كل عصر ومتطلَّبات مختلف الأقوام، فلا تجد حادثةً إلَّا وللشريعة فيها حكمٌ، ولا تنزل نازلةٌ إلَّا ولأهل العلم والفقه فيها رأيٌ وفهمٌ[1]، والصَّلاة والسَّلام على خيرة خلق الله في أرضه وسمائه محمد بن عبد الله؛ سيّد أنبيائه، وعلى آله وأصحابه وأصفيائه، وكل من سار على نهجهم، واقتفى أثرهم، وورث علم النبوَّة منهم. أما بعد؛

فمن سنن الله في كونه ودلائله على خلقه: تعاقب الوقائع والأحوال، وتقلُّب الأحداث والأهوال، وبعث الأئمَّة المجدِّين أوتادًا للأمَّة كالجبال، للاجتهاد في تفسير النُّصوص والنَّظر فيها، وجني ثمرتها، وجعلها سهلة المنال؛ ولا يكون ذلك إلا لذي الرَّأي الحصيف، المدرك لعلم الشرع المنيف.

هذا، وإنَّ العبد بحاجة مُلحّة إلى معرفة أحكام نوازل عصره فيما يتكرَّر عليه في حياته، سواء في العبادات أو المعاملات؛ لئلا يقع فيما حرَّم الله؛ إذ الحياة أمانةٌ بين أيدينا لا بدَّ أن نُسأل عنها يوم القيامة، ولا سبيل للفلاح في الدَّارين إلا بالعمل بالوحيين - قرآنًا وسنَّة-؛ فهما طوق النَّجاة ومَهْيَعُ النمو والارتقاء في جميع الميادين التي تكتنف حياة الإنسان.

ولما كان الأمر كذلك انبرى في كل زمانٍ أعلامٌ فحولٌ وطّنوا أعمارهم وجهودهم لبيان الأحكام الشّرعيّة المناسبة لكلّ نازلة، فذلّلوا الصّعاب، وأخذوا بيد الأمّة إلى برّ الأمان، وبرهنوا على صلاحية الشريعة لكل زمانٍ ومكانٍ.

ومن خلال هذه الرؤية ألّفت أهم الكتب الأمهات، وأعظم الموسوعات، وتنافست المذاهب في هذا التسابق العلمي؛ مما أدّى إلى تكوين ثروة فقهيّة عظيمة وصلت إلى أبعد نقطة في أنحاء العالم، ولا زال الغرب يمتح منها إلى يومنا هذا.

وقد رافق هذه المادة الفقهية ظهور كتب ومصنفات علم النوازل في مختلف المراحل الفقهية منذ القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ مما ساعد على نمو وحركية الاجتهاد والفتوى في كل ما ينزل بالمجتمع من وقائع ويُستجدُّ من أحوال وظروف؛ وهو الأمر الذي ترك هامشًا مهمًا لاجتهاد المفتين داخل المذهب الواحد (أي داخل فقه المذهب)؛ ليراعي كل مفتي ظروف النازلة والملابسات التي تحيط بها، والأعراف الخاصة التي يلزم اعتبارها ومراعاتها. وبذلك ظلّت النوازل مستجيبة لمتطلبات حياة المسلمين المتغيرة حسب الظروف والأقاليم، وبقي المسلمون يتحاكمون إلى شريعة الله آمنين على أنفسهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم، وسائر مصالحهم.

وقد تعدّدت طرائق المجتهدين من أتباع المذاهب في تأليف وتدوين هذه النوازل وَفْق ما تقتضيه قواعد كل مذهب، كما تعدّدت أسماء هذه النوازل من مكان لآخر، وهذا يُبيّن ما لهذه النوازل من أهمية ودور ريادي في إثراء المادة الفقهية والتاريخية وتزويدها بمادة غنية.

ولا يخفى أن هذه المصنّفات الفقهيّة النّوازليّة هي الدّعامة المؤكّدة لصلاحية الشّريعة لكلّ زمانٍ ومكانٍ؛ لما تحمله من فقه واقعي عملي، ومن صورة حقيقية عن مجريات الأحداث والتطورات التي عاشتها المجتمعات الإسلامية، وكيف تعامل الفقهاء العباقرة مع تلك المستجدات والنوازل بروح اجتهاديّة مرنة متبصّرة، ونظرة موسوعيّة فريدة.

وانطلاقًا من هذا التّصوُّر الشُّمولي لما قام به فقه النوازل - عبر مختلف العصور - من أدوارٍ رياديّة طلائعيّة في إنماء وازدهار حركة الاجتهاد والفتوى، رُمنا في بحثنا هذا الوقوف على جانبٍ مشرقٍ من هذا الفقه عند فقهاء المالكيّة المغاربة تعريفًا وتوصيفًا، وجمعًا وترتيبًا لأهمِ مصادره، مع الإشارة إلى نماذج من نوازل **"المعيار المعرب"**، للإمام الونشريسي (ت. ٩١٤هـ) المندرجة في بابٍ واحدٍ، ودراستها أصوليًا وتاريخيًا وعمرانيًا، ثم تذييل ذلك بجرد ببليوغرافي استفرغت فيه جهدنا لاستقصاء كتب النّوازل المغربيّة المؤلّفة في الحقبة الممتدّة من **القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر هجري**.

هذا، وقد اعتمدت في معالجة محاور البحث الخطة المنهجية الآتية:

المقدمة.

المبحث الأول: خصّصته للتعريف بفقه النوازل، وذلك بتعريف جزأيه، وتعريفه باعتباره عِلمًا ولقبًا، ثم ذكر المصطلحات المرادفة للنّوازل عند الاستعمال، وذلك في أربعة مطالب وَفق التّصوُّر المنهجي الآتي:

المطلب الأول: حقيقة الفقه لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: النوازل لغة واصطلاحًا.

المطلب الثالث: "فقه النوَّازل" باعتباره لقبًا.

المطلب الرابع: المصطلحات المرادفة للنَّوازل.

ثم انتقلنا إلى المبحث الثاني، والذي اقتصرنا فيه على إبراز أهمية كتب النوازل، وذلك من خلال أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: أهمية الكتب النوازليَّة فقهيًا.

المطلب الثاني: أهمية الكتب النوازليَّة تديُّنيًا.

المطلب الثالث: أهمية الكتب النوازليَّة تاريخيًا.

وفي المطلب الرابع: أهمية الكتب النوازليَّة اجتماعيًا.

لأدلف - بعد ذلك - إلى **المبحث الثالث، وقد تناولنا فيه: دراسة تطبيقيَّة لأربع نوازل فقهيَّة من كتاب "المعيار"**، للإمام الونشريسي، مندرجة ضمن **"باب البيوع"**، فجاء ذلك في أربعة مطالب، أفردنا لكل نازلة مطلبًا تم استهلاله بسرد النَّازلة، ثم ببيان أصول الإفتاء المعتمدة فيها، وختمناه بذكر أهم **الفوائد العمرانيَّة والتَّاريخيَّة** المتَّصلة بها.

وتلونا هذا بمبحثٍ رابعٍ جعلنا سيماءه: **ببليوغرافية بأهم كتب النوازل المغربية**، وتناولناه في مطلبين، خصَّصنا الأول **لسرد هذه الكتب مرتبة ترتيبًا زمانيًا**، في حين قمنا في المطلب الثاني **بقراءة وصفية لهذه الببليوغرافية** من خلال رسمٍ بياني واصفٍ لنسب التأليف كثرة أو قلَّة حسب كل قرن من القرون المذكورة في الثَّبت مع تذييله **بخلاصة واستنتاج**.

ثم ختمنا البحث **بخاتمة** ضمَّناها أهم النتائج والخلاصات التي توصّلنا إليها.

نسأل الله العظيم أن يَنفع الأمّــة بهذا العمل، وأن يكتبه خالصًا صوابًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وكل من قرأه، أو صوَّبه، أو كل من ساهم فيه من قريب أو بعيد، بكثير أو قليل؛ ولو بشقِّ كلمة.

وصَلَّى الله على سيِّدنَا محمد وآله وصحبه.. وسلّم تسليمًا كثيرًا.

المبحث الأول:

التَّعريف بفقه النَّـوازل

قبل الدخول في أي علم وسبر أغواره وبيان أصوله وفروعه وحيثياته، لا بدَّ من ضبط حدِّه وبيان حقيقته وكنهه، ومن ثم فأوَّلُ ما نستفتح به هذا البحث بيان حقيقة "فقه النوازل" لغة واصطلاحًا مقتفين في ذلك أثر أهل الفن - في اللغة والاصطلاح - عند تعريفهم لما رُكّب من جزأين من المصطلحات العلميَّة؛ حيث جرت عادتهم على تعريف المركَّب بالوقوف على أجزائه ثم تعريفه ككل، باعتباره لقبًا.

وبناءً على هذه النظرة المنهجية، فقد كشفنا لثام فقه النَّوازل عبر المحاور الآتية:

تعريف الفقه لغة واصطلاحًا.

تعريف النَّوازل لغة واصطلاحًا.

تعريف فقه النوازل باعتباره لقبًا.

المطلب الأول:

تعريف الفقه لغة واصطلاحًا

يأتي الفقه اللغة بمعنى: **العلم بالشيء والفهم له**. قال تعالى حكاية عن موسى *: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ ﴾[٢].

ويأتي كذلك بمعنى: **دقة الفهم، ولطف الإدراك، ومعرفة غرض المتكلم**، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴿٩١﴾ ﴾[٣]، وقال سبحانه : ﴿ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾[٤].

قال ابن فارس (ت. ٣٩٥هـ): "الْفَاءُ وَالْقَافُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى إِدْرَاكِ الشَّيْءِ وَالْعِلْمِ بِهِ"[٥].

فمادة "**الفقه**" إذًا - من حيث اللغة - تدور على: **الفهم**، و**الإدراك**، و**العلم**؛ وهي معانٍ متقاربة الدّلالات ومتّحدة المرامي والغايات.

الفقه اصطلاحًا:

لقد تقاربت عبارات أهل الفنّ وأقوالهم فيما يخص تعريف "الفقه" اصطلاحًا، وهذه بعض تعريفاتهم نسوقها على سبيل التّمثيل لا الحصر وفق الآتي:

١- يقول الإمام **السُبكي** (ت. ٧٥٦)هـ في بيان حدّه بأنّه: ((**العلم بالأحكام الشرعيّة العمليّة المكتسب**[٦] **من أدلّتها التّفصيليّة**))[٧].

٢- وذكر الإمام علاء الدين المرداوي (ت. ٨٨٥)هـ عدّة تعريفات لمصطلح "**الفقه**" قارنًا ذلك بإبداء ما عنّ له من ملاحظات وإشكالات، وفي ذلك يقول: ((**إنّه نفس الأحكام الشّرعيّة الفرعيّة** - وأعقب بقوله-: **وهو أظهر، وهو الذي اختاره ابن مفلح، وابن قاضي الجبل، والعسقلاني، وجمع كثير**))[٨]، ثم فرّق بين الفقه الذي هو نفس الأحكام والعلم الذي يتوصّل به إليها فقال: ((**إذ العلم أو المعرفة بالفقه غير الفقه، فلا يكون داخلًا في ماهيته، وما ليس داخلًا في الماهيّة لا يكون جنسًا في حدّه**))[٩].

٣- بينما عرّفه العلّامة الشّوكاني (ت. ١٢٥٠هـ) بقوله: ((**العلم بالأحكام الشّرعيّة عن أدلته التّفصيليّة بالاستدلال**))[١٠].

وعليه فالمشهور عند عامة الفقهاء في حدّ الفقه ومعناه، هو التّعريف القائل بأنّه: ((**العلم بالأحكام الشّرعيّة العمليّة المكتسب من أدلّتها التّفصيليّة**)).

هذا، ولم يكن الفقه مقتصرًا عند القدامى على الأحكام العملية فقط بل كان شاملًا للأحكام العلميّة أيضًا؛ إذ نجد مثلًا الإمام **أبا حنيفة** (ت. ١٥٠هـ) قسّمه إلى فقهٍ أكبر؛ وهو ما يتعلّق بالعقيدة، وفقه أصغر، ويشمل كلًّا من: **العبادات والعادات والمعاملات**.

فبعد هذا التّعريف المقتضب للفقه وشرحه بإيجاز، ننتقل إلى الجزء الثاني من المصطلح "أي النّوازل"، لنبرز دلالاته.

المطلب الثاني:

تعريف النّوازل في اللغة والاصطلاح

النّوازل في اللغة:

النوازل: على وزن فواعل من: نزَل ينزِل نزولًا؛ فهي نازلة. جاء في "**لسان العرب**"، لابن منظور: ((**نـزل: الـنُّـزولُ: الحلول، وقد نزلهم، ونزل عليهم، ونزل بهم، ينزل نزولًا ومَنْزَلًا ومَنْزِلاً، والنازلة: الشديدة تنزل بالقوم، وجمعها النوازل**))[١١].

فالنَّوازل: جمع نازلة[١٢]، **والنَّازلة:** الشدَّة[١٣] أو الشديدة[١٤] من شدائد الدهر[١٥].

وقد عرَّف **الجوهري** (ت. ٣٩٣هـ) **"النَّوازل"** فقال: **"النَّازلة: الشَّديدة من شدائد الدَّهر تنزل بالناس"**[١٦].

النَّوازل اصطلاحًا:

لقد تعدَّدت دِلالات **"النَّوازل"** واختلفت حتى صارت من الاصطلاحات الخاصة بكل مذهب. فجد مثلًا أن لفظة النوازل تُطلق في اصطلاح الحنفية خاصة على **"الفتاوى والواقعات"**؛ وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخِّرون لَمّا سُئلوا عن ذلك ولم يجدوا فيها رواية عن أهل المذهب المتقدِّمين، وهم أصحاب **أبي يوسف** (ت. ١٨٢هـ)، و**محمد بن الحسن** (ت. ١٨٩هـ)، وأصحاب أصحابهما، وهَلُمَّ جَرًّا[١٧].

يقول **ابن عابدين** (ت. ١٢٥٢هـ) في وصف "النَّوازل" بأنها: **"الواقعات؛ وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخِّرون لما سُئلوا عن ذلك، ولم يجدوا فيها رواية عن أهل المذهب المتقدّمين"**[١٨].

بينما في اصطلاح المالكيَّة - خصوصًا في بلاد الأندلس والمغرب العربي - فإنَّها تُطلَق ويُراد بها: **"القضايا والوقائع التي يَفصِل فيها القضاة طبقًا للفقه الإسلامي. والنَّوازل بهذا الاصطلاح تأتي بمعنى الأقضية، وهي نوازل الأحكام من المعاملات المالية، والإرث، ونحو ذلك مما يتعلَّق بالحقوق، وتقع فيه خصومة ونزاع"**[١٩].

إلَّا أن الشَّائع عند الفقهاء عامة، أنه عند إطلاق النَّازلة يراد بها:

المسألة أو الواقعة[٢٠] **الجديدة التي تستلزم اجتهادًا، وبيان حكم مناسب لها، أو الوقائع الجديدة التي لم يرد فيها نص أو سَبْقُ اجتهاد.**

هذا ويرتبط لفظ **"النازلة"** عند الإطلاق في الشَّرع **بالشَّدائد العويصة التي يُشرع لها القنوت**[٢١]. يقول **الشافعي-/-: "ولا قنوت في شيءٍ من الصَّلوات إلا الصُّبح، إلا أن تنزل نازلةٌ فيقنت في الصَّلوات كلِّهن إن شاء الإمام"**[٢٢]

فكما عني العلماء الأقدمون بالنَّوازل تعريفًا ودراسة، وتصنيفًا وتأليفًا، فكذلك الشأن بالنسبة للعلماء المحدَثين والدَّارسين والباحثين المعاصرين، وهذه شذرات مما توصَّلوا إليه في تعريفاتهم:

عرَّفها الشيخ **عبد العزيز بن باز** (ت. ١٤١٩هـ) بقوله: **"هي القضايا والوقائع التي يفصل فيها القضاة طبقًا للفقه الإسلامي"**[٢٣].

حدَّها الشيخ **بكر أبو زيد** (ت. ١٤٢٩هـ) قائلاً: **"هي الوقائع والمسائل المستجدَّة، والحادثة المشهورة بلسان العصر باسم: النظريات والظواهر"**[٢٤].

١- وعرّفها من العلماء المعاصرين **الدكتور/ وهبة الزحيلي** (ت. ١٤٣٦هـ) فاعتبرها أنها: **"المسائل أو المستجدّات الطّارئة على المجتمع بسبب توسُّع الأعمال وتعقُّد المعاملات، والتي لا يوجد نصٌّ تشريعيٌّ مباشرٌ، أو اجتهادٌ فقهيٌّ سابقٌ ينطبق عليها. وصورها متعدِّدة ومتجدِّدة، ومختلفة بين البلدان أو الأقاليم؛ لاختلاف العادات والأعراف المحلِّية"**[٢٥].

٢- وقال عنها **الدكتور/ عبد الناصر أبو البصل**: **"إن كلمة "النوازل" تُطلَق بوجهٍ عامٍّ على المسائل والوقائع التي تستدعي حكمًا شرعيًا.**

والنوازل بهذا المعنى تشمل جميع الحوادث التي تحتاج لفتوى تبيّنُها سواء أكانت هذه الحوادث متكرّرة أم نادرة الحدوث، وسواء أكانت قديمة أم مستجدَّة""[26].

٣-وذكر الدكتور/ **روّاس قلعجي** ورفاقه في تعريف **"النازلة"** أنّها: **"المصيبة ليست بفعل فاعل، وهي الحدثة التي تحتاج لحكم شرعي"**[27].

٤- وعرّفها الدكتور/ **محمد بن حسين الجيزاني** بقوله: ((**النوازل: ما استدعى حكمًا شرعيًا من الوقائع المستجدة، أو هي: الوقائع المستجدة المُلِحَّة**))[28].

٥- أما الدكتور/ **أنور محمود زناتي**[29] فعرّفها بقوله: ((**هي الواقعات والمسائل المستجدة التي تنزل بالعالِم الفقيه، فيستخرج لها حكمًا شرعيًا**))[30]، وهو بهذا التعريف دقّق المعنى المراد بالنازلة من حيث كونها: مستجدة، وواقعة، ويصل الفقيه بها إلى استخراج الحكم الشرع لها.

فمن خلال هذه التعريفات والحدود يتبيَّنُ أنَّ النّوازل تشترك في أمورٍ تُميِّزها عن غيرها وهي:

١-**الوقوع:** أي الحلول والحصول لا الافتراض، **بمعنى:** أن النوازل لا تُطلق على المسائل الافتراضية المقدَّرة؛ وهذه المسائل الافتراضية نوعان: إما **مسائل مستحيل وقوعها**، وإما **مسائل يبعد وقوعها.**

٢- **الجدَّة:** وهي التي لم يسبق وقوعها، ولم يرد فيها نصٌّ أو اجتهادٌ مسبق؛ أي عدم وقوع المسائل من قبل؛ فالنوازل إذًا تختصُّ بنوعٍ من الوقائع، وهي المسائل الحادثة التي لا عهد للفقهاء بها؛ حيث لم يسبق أن وقعت من قبل.

٣- **الشِّدَّة:** أي أن تستدعي المسألة حكمًا شرعيًا، بحيث تكون مُلِحَّة من جهة النَّظر الشرعي[31].

وبعد استجلاء المعنى اللغوي والاصطلاحي للنوازل، بقي لنا أن نبيّن المصطلح (أي فقه النوازل)؛ بوصفه لقبًا، وهو ما تمّ تناوله في المطلب الموالي.

المطلب الثالث:

تعريف "فقه النوازل" باعتباره لقبًا

بما أن **"فقه النوازل"** لم يكن بابًا من أبواب الفقه المعتمدة، وإنما كان ضمن المباحث الفقهيّة المختلفة، ولهذا لا نجد له في تراثنا الفقهي تعريفًا خاصًّا دقيقًا مثلما نجد ذلك في سائر المسائل والأبواب.

وبإمعاننا النَّظر مليًا لم نقف عند العلماء الأوائل على تعريفٍ علميٍّ جامعٍ مانعٍ لهذا الفقه (أي فقه النوازل)، باعتباره لقبًا، بخلاف المتأخِّرين الذين تنوّعت ألفاظهم ومبانيهم دون مقاصدهم ومعانيهم، ولهذا نذكر هنا بعض ما ذكره العلماء والباحثون المتأخرون مما يمكن أن يستنتج من خلاله تصوُّرهم له:

١- عرّفه الدكتور/ **روّاس قلعجي** وصديقه **حامد صادق قنيبي** بأنه: ((**الحدثة التي تحتاج إلى حكم شرعي**))[32].

٢- وعرّفه الدكتور/ الشيخ بكر أبو زيد بأنه: ((**الوقائع والمسائل المستجدَّة، والحدثة المشهورة بلسان العصر باسم النظريات والظواهر**))[33].

٣- وعرّفه الدكتور/ **الحسن العبّادي** بقوله: **"هي: تلك الحوادث والوقائع اليومية**

التي تنزل بالناس وتحتاج إلى حكم، فيتَّجهون للبحث عن الحلول المناسبة لها"[٣٤].

٤- وعرَّفه الدكتور/ **نسيم حسبلاوي** فقال: **"هو تلك التَّساؤلات التي أجاب ويجيب عنها الفقيه عبر ما يسمى بـ "الفتاوى"، هذه التَّساؤلات المنبعثة من الناس بمختلف مشاربهم ومستوياتهم، سواء كانت مشافهة، أو بواسطة، أو عبر الكتابة"**[٣٥].

٥- وعرَّفه الدكتور/ **محمد التَّمسماني**، فاعتبره أنه: **"أجوبة شرعية عمَّا ينزل بالناس من وقائع ومسائل يطلب حكم الشرع فيها"**[٣٦]، وفي موضع آخر قال عنه أيضًا: **"فقه النوازل: هو نظر الفقيه النَّوازلي في النَّازلة ومباشرته لها مباشرة تُمكِّنه من تنزيل الحكم عليها"**[٣٧].

وبعد أن سُقنا هذه الأمثلة من التعريفات لهؤلاء الباحثين المعاصرين، يظهر لنا أن فقه النَّوازل هو:

((العلم الذي يُعنى بالبحث والتَّنقيب عن الحلول والأجوبة الشرعيَّة الملائمة للمستجدَّات والحوادث التي تنزل بالناس والتي لم يرِد فيها نصٌّ أو سبقُ اجتهادٍ)).

ولعل إطلاق **"النازلة"** على "المسألة الواقعة" يرجع لسببين:

١- إما **لملاحظة معنى الشدَّة** لما يعانيه الفقيه في استخراج حكم هذه النازلة، ولذا كان السلف يتحرَّجون من الفتوى ويسألون: هل نزلت؟

٢- أو أنها سميت **"نازلة" لملاحظة معنى الحلول**؛ فهي مسألة نازلة يجهل حكمها تحلُّ بالفرد أو الجماعة[٣٨].

المطلب الرَّابع:

المصطلحات المرادفة لمصطلح "النَّوازل"

لقد وردت عدة مصطلحات للدلالة على مفهوم **"النوازل"**، وقد أطلق الفقهاء والدارسون على تلك المسائل التي استجدَّت بالناس في عصورهم المتتالية عدة ألفاظ ومصطلحات، كما تعدَّدت تعبيراتهم وتسمياتهم لهذا اللون من التأليف في الفقه. وكلها تُطلقُ ليُراد بها نوع واحد من الكتب ذات المسائل الفقهية[٣٩] التي اهتمت بتفاصيل شؤون الناس وحياتهم اليومية في مجالات متعددة (عبادات، معاملات، سلوك...) ونحوها من الموضوعات[٤٠].

يقول الباحث نسيم حسبلاوي: **((حمل مصطلح "النوازل" أسماء عديدة، لكنها تعبِّر كلها عن شيء واحد، فهي "الأجوبة"، وهي "النوازل"، وهي "المسائل"، وهي أيضًا "الفتاوى"، وحملت أحيانًا أخرى اسم "الأحكام"، إلا أن هذه الأخيرة اختلفت في الغالب على ما سبقها؛ لأنها لم تكن واقعية؛ بل أحكام عامة اتَّفق حولها فقهاء المذهب المالكي الأوائل، أو اختلفوا في جزئياتها))**[٤١].

ومن أهم التسميات التي ذكرها عدد من الفقهاء والباحثين نشير إلى الآتي:

١- الأجوبة أو الجوابات:

ومفردها: إجابة أو جواب، وهو رديد الكلام ورجعه، يقال: أجابه عن سؤاله، وقد أجابه إجابة وإجابًا وجوابًا[٤٢]. وسميت بذلك؛ **لأن فيها أجوبة عن أسئلة وردت**[٤٣].

وقد سمَّاها بعض علماء الأندلس بـ **"الجوابات"**؛ لأنها مسائل أجاب عنها العلماء

بطلب من الناس، وقد شاع استخدام هذا اللفظ (أي **الأجوبة**) في مؤلَّفات الفقهاء. ومن بين المكتب المصنَّفة في هذا المجال نذكر:

- **الأسئلة والأجوبة**، لأبي حفص أحمد بن نصر الداودي (ت.٣٠٧هـ)، **والأجوبة**، لأبي الحسن علي بن محمد القابسي (ت. ٤٠٣هـ)، وغيرها.

٢- الحوادث:

ومفردها: حادثة، وأصلها من الحداثة أو الحدوث، وهو ما كان على عكس القدم[٤٤]، **ويقال**: الحدث من أحداث الدهر: شبه النازلة[٤٥]، قال الشيخ محمد البركتي: "**الحوادث: هي النوازل التي يُستفتى فيها**"[٤٦].

ومناسبة هذا المعنى للنوازل ظاهر؛ إذ هي مسألة حصلت لشخص أو أشخاص لم تكن من قبل؛ فهي جديدة على الأقل بالنسبة للمستفتي، وربما لعموم الناس[٤٧].

٣- المسائل، أو الأسئلة، أو كتب الأسئلة:

ومفردهما: مسألة أو سؤال، من سأله يسأله سؤالًا ومسألة، **يقال**: سألته الشيء: بمعنى استعطيته إياه، وسألته عن الشيء: أي **استخبرته وطلبت معرفته، وهو المراد هنا**[٤٨].

وسماها بعض العلماء القدماء بـ "**المسائل**"؛ لأنها تتناول قضايا مطلوبة تطلب حلًّا أو تطلب فتوى، وبعضهم يسميها بـ "**الأسئلة**"؛ لأنها أسئلة يطرحها الناس ويتكفَّل العلماء بالردِّ عليها، ومن أشهر من ألف بهذا الاسم: **القاضي أبو الوليد بن رشد**.

ووجه العلاقة بين المسائل والنوازل: هو أن السؤال مطلوب في الشرع لإزالة الجهل، وبيان العلم[٤٩].

وسميت بذلك؛ **لأنها حدثت بعد أسئلة وردت على المفتين**[٥٠].

٤- الوقائع أو الواقعات:

ومفردها واقعة، وهي لغة: بمعنى نزل، وتعني: الداهية والنازلة من صروف الدهر[٥١]، قال ابن عابدين: "**الفتاوى أو الواقعات وهي: مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون لما سئلوا عن ذلك**"[٥٢].

أما في الاصطلاح: فهي الحادثة التي تحتاج إلى استنباط حكم شرعي لها، وقيل: هي الفتاوى المستنبطة للحوادث المستجدة[٥٣].

والمعنى الملاحظ فيها: هي أنها من الأمور الواقعة لا المفروضة[٥٤].

٥- الفتاوى:

لغة: هي جمع فتوى - بالواو- بفتح الفاء، وبالياء، فتُضم، وهي اسم مصدر من: **أفتاه في الأمر**؛ إذا أبانه له[٥٥]، **وأفتى العالم**؛ إذا بيَّن الحكم[٥٦].

واصطلاحًا: تبيين الحكم الشرعي للسائل عنه[٥٧].

وقيل: هي الإخبار بحكم الله تعالى عن دليل شرعي[٥٨].

وللإشارة هنا نجد أن أهل المشرق يستعملون لفظ (**الفتاوى**) بكثرة لهذا النوع من العلم، أما أهل المغرب فيستخدمونه أيضًا، ولكن مصطلح "**النوازل**" هو الأكثر شيوعًا واستعمالًا؛ حتى عرفوا به وتميزوا عن غيرهم.

وقد أطلق على هذا المصطلح لفظ "**الفتاوى**"؛ لما فيها من الإبانة للأحكام الشرعية التي يجهلها المستفتي، ملاحظة لمعنى الفتوى اللغوي[٥٩].

ولعل إطلاق اسم "**الفتاوى**" على "**القضايا الفقهية المعاصرة**" هو الأشهر والأكثر تداولًا بين الناس، ومن أمثلتها: **الفتاوى الهندية، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وفتاوى ابن حجر الهيثمي، وفتاوى الشاطبي**، ونحوها.

٦- المسـتجدّات، أو القضايا المستجدة أو المعاصرة:

وضعت مادة (جدّ وجدّد) في اللغة للدلالة على معنى: **الأمر الجديد، والمقطوع، وما لا عهد لنا به، والاجتهاد**.

وقد اهتمّ كثيرٌ من العلماء والباحثين المعاصرين بالمستجدات والنوازل، إلاّ أنهم في التعريف غالبًا ما يكتفون بتعريف النوازل دون المستجدات.

والمقرر أنّ المستجدات والنوازل يطلقان على مراد واحد، ويعتبران مترادفين لدى أهل الاصطلاح، ومن هنا فإنّ المستجدات تُطلق ويراد بها: **((كل مسألة جديدة، سواء كانت المسألة من قبيل الواقعة أو المقدَّرة، ثم إن هذه المسألة الجديدة قد تستدعي حكمًا شرعيًا وقد لا تستدعيه، بمعنى: أنها قد تكون ملحَّة وقد لا تكون ملحَّة))**.

وبمعنى آخر: **((هي النوازل والوقائع الحادثة في العصر الحاضر، الجديدة في وقوعها أو في صورتها وحالها، مما لم يُعرف لها حكمٌ فقهيٌّ سابقٌ))**(٦٠).

وبناءً عليه، فإن المستجدَّات هي: **المسائل الحادثة التي لم يكن لها وجود من قبل وهذه المسائل يكثر السؤال عن حكمها الشرعي**(٦١).

وهي بهذا المعنى تعدُّ من المصطلحات المترادفة مع النوازل، وهي مما يغلب استخدامه في النَّوازل المعاصرة(٦٢).

أما القضايا: فهو جمع قضية، وهي الأمر المتنازع عليه، وأضيف إليها "المستجدة"؛ لأنها مسائل مستحدثة حديثة الوقوع.

ويُذكر هذا المصطلح (أي القضايا) في بعض القضايا المعاصرة، وللدّلالة على ما يُعرض على المحاكم من نوازل قضائيَّة ومنازعات واقعية(٦٣).

٧- الأحكام أو كتب الأحكام:

ومفردها: حُكمٌ؛ وهو لغة: **المنع**، يقال: حكمتُ وأحكمت، بمعنى: **منعتُ ورددتُ**، ومن هذا التصوُّر قيل للحاكم بين الناس: حاكم؛ **لأنه يمنع الظالم من الظلم**(٦٤).

والحكم اصطلاحًا: هو خطاب الشارع المفيد فائدة شرعية(٦٥). وقد سميت بذلك؛ **لأنها بيّنت أحكامًا خاصة لحوادث خاصة**(٦٦).

أو هي غالبًا ما تتعلَّق بأبواب **الأقضية والمعاملات المستجدَّة**(٦٧).

ومن كتب الأحكام نذكر:

- كتاب أحكام ابن سهل، وكتاب جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكَّام(٦٨)، لأبي القاسم البرزلي وغيرها.

٨- العمليات:

وهو مصطلحٌ لا يُستخدم كثيرًا، وقد انفرد به أهل المغرب خاصَّة، مثل: "**العمل السُّوسي**"، و"**الرباطي**"، و"الفاسي"؛ الذي نظَمه عبد الرحمن الفاسي (ت. ١٠٩٦هـ)، **و"العمل الجبلي"**؛ أي: ما يجري به العمل في هذه الأماكن خاصة، وهو قاصر عليها لا يجوز أن يعتمد في غيرها من بقية الأقاليم الأخرى(٦٩).

٩- المشكلات:

جمع مشكلة، وهي في اللغة: من أشكل، يقال: أشكل الأمر: إذا التبس[٢٠]. وقد عبّر عنها الإمام شلتوت في كتابه "الفتاوى"؛ حيث قال: "**مشكلات المسلم المعاصر التي تعترضه في حياته اليومية**"، وكذلك سمّاها الدكتور/ **محمد فاروق النبهان في كتابه "المدخل للتشريع الإسلامي"**[٢١].

١٠- فقه النوازل:

ويُسمّي كثير من العلماء "**القضايا الفقهية المعاصرة**" فقه النوازل؛ وذلك لأنّهم اعتبروا النازلة هي الأمر الشديد الذي يقع بالناس[٢٢]، وبيان حكمها الشرعي يعني فقه النوازل، فأطلق عليه هذا المصطلح، واشتهر استعماله عند فقهاء المغرب خاصة.

ومن بين المصنّفات النوازلية المشهورة في هذا الفن نذكر: **نوازل محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي المشهور بالورزازي الكبير (ت. ١١٦٦هـ)**"[٢٣].

المبحث الثاني:

أهمية كتب النوازل في التراث الإسلامـي

تُعدُّ النّوازل لونًا جديدًا من المسائل لم يسبق حدوثها، كما يهدف فقهها إلى الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها الناس وتقديم الحلول المناسبة للمشكلات التي تتعلّق بحياتهم اليومية؛ إذ لا تخلو هذه الأخيرة من تغيُّرات وتقلّبات وطعم خاص تمتاز به، فيقبل عليه الناس بشوقٍ، ويتلهّفون إليه لمعرفة كل جديد وللإحاطة بالحلول المناسبة لمشكلاتهم وأحوالهم المتقلّبة. ومن ثم فإنّ لكتب النّوازل أهمّية عظيمة في جوانب متعدّدة، **كالجانب الديني، والفقهي، والتاريخي، والاجتماعي، والاقتصادي، وغيرها**.

فما هي مظاهر وتجليات هذه الأهمية يا ترى؟

المطلب الأول:

الأهمية الفقهية لكتب النّوازل

تشتمل كتب النوازل الفقهية على أحكام فقهية وتشريعية وقانونية غزيرة في مختلف المجالات الحياتية، تعود على الفقيه المفتي والمجتهد الناظر في الوقائع المستجدة بالنفع والفائدة العظيمة، ويمكن إجمال الأهمية الفقهية في النقاط الآتية:

أولًا: معرفة اتّجاه وموقف صاحب الفتوى من النازلة، والاطلاع على أصوله التي اعتمد عليها في اجتهاده وفتواه:

وهو السبيل الأمثل للنهوض بالأمة الإسلامية والطريق الأقوم لحسن تطبيق الأحكام على الواقع، كما أنه يغني الفقيه بعلم من سلفه من العلماء، فيجعله أكثر إتقانًا لمهمّة الإفتاء لاستفادته بفتاوى من سبقه إذا كانت متطابقة مع النازلة المعروضة عليه، أو أن يسلك منهجهم في دراسة نوازل عصرهم على نازلة عصره حتى يصل إلى استنباط الحكم الشرعي المناسب لها. يقول الدكتور/ **محمد التمسماني**: "**إذا أردنا أن نسهم في إحياء تراثنا، لا بدّ لنا أن نقرأ تراث أسلافنا وعلمائنا - رحمهم الله- لنستفيد منه في معالجة النوازل و القضايا المستجدّة في عصرنا الحاضر.**[٢٤]"، وإذا أنعمنا النظر في أصول الإفتاء عند المالكيّة رأيناهم يعتمدون على أصل التخريج أو الإجراء. **وحقيقته**: تخريج الفروع على الفروع، فقد استدلّ أبو العباس

فقهُ النّوازل عند فقهاء المالكيّة المغاربة: مفهومه وأهميته

الونشريسي بأصل **"القياس على النوازل"**، وهو أصل اعتمده متأخِّرو الفقهاء والمفتون في المذهب المالكي، وقد لاحظنا أن أبا العباس الونشريسي لم يشذ عن هذا المنهج، فقد أجاب عن النوازل المعروضة عليه، واعتمد في تعليقه على النَّوازل التي أجاب عنها غيره معتمدًا في هذا وذاك على نوازل سابقة تتَّفق مع النَّازلة المعروضة في العلة والحكم، وذلك في مواضع مشهودة من موسوعته **"المعيار المعرب"**(٧٥).

ثانيًا: الإسهام في وضع الأصول والضوابط الاجتهادية ومعرفة مدى جدواها وقابليتها للتطبيق على الواقع:

وهذا الأمر يُسهِّلُ على الفقيه النوازلي عمله في استنباط الأحكام الشرعية لوقائع عصره، وهو ما أشارت إليه الدكتورة/ **أمينة مزيغة** بقولها: **"لقد أسهمت كثرة التأليف في فقه النوازل في خلق نهضة اجتهادية خاصة بعد أن أولاها العلماء والفقهاء قسطًا كبيرًا، وحظًا وافرًا من العناية والتمحيص، والدراسة والتحقيق، فعملوا على إمعان النظر فيها، وبذلوا مجهودًا في استجلاء حكم ما يرد عليهم ويعرض لهم من الفتاوى والأحكام، ويطرأ لهم من النوازل والقضايا المستجدة مع توالي الأيام، وتطور الحياة في مختلف مناحيها وجوانبها المتعددة، التي تعتبر النوازل والفتاوى صورة لها، ومرآة صافية تعكس واقع الحياة الاجتماعية للناس، وتقتضي التعمق في البحث والنظر، للتعرف على الحكم الشرعي والاهتداء إليه في النازلة المعروضة"**(٧٦).

وأضافت في نفس السياق: **"إن نظر الفقيه النَّوازلي في الوقائع يعبِّر عن ارتباط الفقه بالحياة اليومية التي تقتضي منه الاجتهاد في إيجاد أحكام لما يطرأ من القضايا والنوازل، وجعلها ملائمة لروح الشريعة، فعرفت تلك الفترة نضجًا وإبداعًا، فكان الاتجاه النوازلي ممتزجًا بأصول الاجتهاد والاستنباط؛ مما يؤكِّد أن الاجتهاد ضرورة ملحَّة، وبابه مفتوحٌ ما دامت الحوادث وجدَّت النَّوازل"**(٧٧).

ثالثًا: الوقوف على دقائق المسائل الفقهيَّة مما لا نجد له أثرًا أو ذكرًا في كتب الفقه:

يقول الدكتور/ إسماعيل الخطيب: "إن الاستفادة الفقهية تظلُّ في مقدمة ما يجنيه الدارس؛ ذلك أننا نجد في كتب "الفتاوى" و"النوازل" من دقائق المسائل ما لا نجده في كتب الفقه الأخرى؛ وذلك نظرًا لارتباط تلك المسائل بوقائع الحياة وبالمشكلات المستجدَّة"(٧٨).

رابعًا: التَّعرُّف على الفقه التَّطبيقي العملي:

إذ لا سبيل لذلك إلا عن طريق الاطِّلاع ودراسة هذه الكتب النَّوازلية التي دَمجت الفقه النَّظري بالتَّنزيل العملي على واقع الناس المعيش، وهذا هو الثَّمرة المرجوَّة والفائدة المنشودة من التَّنظير والتَّأصيل للفقه. قالت الدكتورة/ **زهور أربوح** في دراستها المعمقة لهذا الفقه(٧٩): **"عُدَّ فقه النَّوازل نقلًا لنصوص الفقه النَّظري من الأمَّهات الفقهيَّة إلى مواقع العمل بها تطبيقًا وتنفيذًا في المحاكم والأسواق، وفي الحِسبة، وفي البيوت والأحوال الشخصيَّة، وفي الطرقات، وإخراجًا للفقه من فروضه النَّظريَّة إلى بُعده الواقعي الاجتماعي"**(٨٠).

وتذكر الدكتورة/ **فاطمة بلهواري** أن فقه النَّوازل **"يعكس قضايا ذات طابع نظري وتطبيقي، وبخاصة ذلك المتعلِّق بالمعاملات؛ ففائدته جمَّة لا تُحصى، كالتعرُّف والاستفادة من**

الفقه التطبيقي"[81].

خامسًا: البرهنة على مدى صلاحية الشريعة الإسلامية والأحكام الفقهية لكل زمان ومكان ولمختلف الأحوال والأوضاع، مع التدليل على أفضلية هذه الأحكام على القوانين الغربية والأحكام الوضعية.

فالمجتمعات الإسلامية التي حكمت الشريعة الإسلامية في مختلف جوانب حياتها نعمت بحياة متميزة واستقرار نفسي ولم تعوزها أحكام هذه الشريعة الربانية عن إيجاد الحلول الملائمة لمستجدات حياتها كيفما كانت، وفي هذا دليل عملي ملموس على شمولية الشريعة الإسلامية، وغنى أحكامها، وتنوُّع أصولها لتستوعب مختلف الأوضاع والمجالات سياسية كانت، أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو غيرها.

يقول الدكتور/ مصطفى الصَّمدي: **"لما كانت أجوبة الفقيه مجيبة عن أسئلة المستفتين، فإننا وجدنا أنفسنا أمام وتيرة متسارعة من الأسئلة والأجوبة يُراد منها: اختبار قُدرة الفقيه على ملاحقة التطورات ومواكبة المستجدَّات، وهي بالتبع مِرآة صادقة لمجتمع يتحرَّك في الزمان، وتتنوَّع أقضيته بتنوُّع الحال والسؤال. ومن هنا اتَّسمت بالواقعيَّة والتَّجدُّد، وكانت الأجوبة فيها مراعية للسِّياق المحلِّي والاجتماعي"**[82].

سادسًا: احتواؤها على فتاوى لبعض العلماء الذين فقدت كتبهم وضاعت:

يقول الإمام الونشريسي في مقدمة كتابه **"المعيار المعرب": "جمعتُ فيه من أجوبة متأخِّريهم العصريين ومتقدِّميهم؛ مما يعسُر الوقوف على أكثره في أماكنه، واستخراجه من مكامنه، لتبدُّده وتفريقه، وانبهام محلِّه وطريقه، رغبة في عموم النفع به، ومضاعفة الأجر بسببه"**[83].

إذًا لا مناص من الرجوع لهذه الكتب للحفاظ على تراثنا الأصيل، ولا شرف، ولا عزَّة للأمة الإسلامية إلا بالأوبة إلى تاريخها العريق ومجدها العتيق.

ولا يفوتنا في نهاية هذا المطلب أن ننبِّه على القول بأن الكتب النَّوازلية تحتوي على فوائد فقهيَّة، أو بتعبير آخر: بأهمية كتب النوازل بالنسبة للفقيه في العصر الراهن ليس بالأمر المزمع عليه، فهناك من يرى أن هذه الكتب لا أهمية لها فقهيًا، أو تشريعيًا، أو فكريًا، أو لا تحتوي على كبير فائدة بالنسبة للفقيه، وعلَّلوا ذلك بقولهم: **إن الظروف الحياتية قد تغيَّرت، والمعاملات بمختلف أنواعها قد تطورت، وبالتالي فلا يصحُّ القياس مع هذه الفوارق، علاوة على أنه يمكن الوصول إلى الحكم الشرعي لكل نازلة مستجدة بتطبيق القواعد والأصول المقررة في كتب الأصول والفقه من غير الاستعانة بهذه الكتب.**

غير أن ما أثبتناه يدلُّ بجلاءٍ على ما لهذه الكتب من أهمية فقهية وتشريعية وفكرية واجتماعية وتاريخية؛ إذ لا يكفي معرفة القواعد والأصول الشرعية مجردة دون الدراية بكيفية تنزيلها على الواقع، وكتب النوازل بمثابة ميدان عملي نكتسب من خلاله حسن الربط بين التنظير والتطبيق، وهذا شبيه بعمل الرياضي والفيزيائي والكيميائي، ونحوهم.

ووجه الشبه يظهر في كون القواعد الرياضية أو الفيزيائية والكيميائية لا يمكن فهمها بشكلٍ واضحٍ جليّ إلا بتطبيقها على تمارين وأنشطة تمثيلية واقعية أو مفترضة الوقوع.

المطلب الثاني:

الأهمية التّديّنية لكتب النوازل

نقصد بالأهمية التَّديُّنية هنا: ما كانت عليه المجتمعات الإسلامية من تدين في مختلف جوانب حياتها، وكذا مدى اهتمامهم بالشعائر الدِّينيِّة، ولا شك أن كتب النوازل تعكس صورة المجتمع التَّديُّنية التي ارتبطت به. يقول في هذا السياق الباحث **محمد زاهي: "نستخلص من خلال النصوص العديدة التي ذكرها الونشريسي في "المعيار" مدى اهتمام المجتمع في المغرب الإسلامي والأندلس بالمساجد ومدى أهميتها في حياتهم الدينية؛ فهو يعطينا فكرة صحيحة عن حالة المساجد وما كانت تحتوي عليه من الداخل، حيث يذكر أنه تم الاهتمام بتزيين المساجد، وإمدادها بالماء للوضوء، وطلاء جدرانها وفُرُشها بالسَّجاد والحُصُر، وتوفير زيت للوقود...**

وثمَّة حقيقة أخرى ذكرها (أي الونشريسي) عن مدى اهتمام سكان المغرب الإسلامي لتسهيل فريضة الحج إلى البقاع المقدسة؛ وذلك عن طريق إنشاء فضاءات لاستراحة الحجاج...[٨٤].

وفي السياق نفسه تقول الباحثة **أمينة مزيغة** أيضًا:

"إن معايشة الفقيه لكل المستجدات، جعلته يُفتي في نوازل دقيقة وآنية تمسُّ جوانب مختلفة من حياة أفراد المجتمع، وهذا دليلٌ على حرص الناس على معرفة الحلال والحرام، والوقوف عند حدود الشرع، وعدم التجرُّؤ عليها"[٨٥].

إذًا فالذي نستفيده مما سبق بيانه هو:

أن من له مسكة عقل لا يمكن أن ينكر أن النوازل تحمل في عباراتها وإشاراتها ما يفيد في إبراز مقياس تديّن المجتمعات الإسلامية في العصور السابقة.

المطلب الثالث:

الأهمية التاريخية لكتب النوازل

تُعد كتب النوازل الفقهية من المصادر الأساسية للكتابة التاريخية، ويتبيَّن ذلك من الأمور الآتية:

أولًا: تمُدُّ هذه الكتب الباحث في المجال التاريخي بمادة تزخر بها كتب التاريخ؛ كون هذه الكتب تتَّجه أساسًا للحديث عن طبقة خاصة، بينما تُزوِّدنا "كتب النوازل" بمادة نستشفُّ من خلالها الأوضاع الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة لمختلف الطبقات البشرية[٨٦].

ومن الأمثلة الدالة على هذا المقصد:

ما جاء على لسان الدكتور/ **إسماعيل الخطيب** بقوله: **"فمن الطرائف التي استفدناها من خلال من "مسائل ابن لب": توفُّر غرناطة على تعاونيات للألبان وتعاونيات لمنتجي زيت الزيتون. والملاحظ أن أصحاب هذه التعاونيات هم صغار الفلاحين، كما استطعنا التعرُّف على الأوضاع الاجتماعية للطبقات الفقيرة، وتردِّي الأحوال الاقتصادية في غرناطة، وما نتج عن ذلك من أزمات خانقة**[٨٧].

ثانيًا: إن كتب النوازل غنية بمادة إنسانية دسمة تهُمُّ الدارس للتاريخ الحضاري، باعتبارها الوصف الصحيح والكامل للمجتمع أثناء ممارسته لحياته اليومية العقائدية والاقتصادية وحتى السياسية"[٨٨].

ولقد "استدعى الأمر مع تطوُّر حقول المعرفة التاريخية، وفي غياب وثائق بديلة لجوء الباحثين

إلى أدوات مصدرية جديدة وبديلة يحويها التراث الإسلامي لا تنتمي من ناحية تصنيف العلوم إلى الحقل التاريخي، غير أنها تتضمّن نصوصًا تاريخية ووثائق هامة تعزّ في الحوليات التاريخية الكلاسيكية، وتغطّي فضاءات اجتماعية واقتصادية، ويراد بها على وجه الدقة: **كتب النوازل**"[٨٩].

ومما يدُلّ كذلك على أهميتها كونها" **تحظى باهتمام متزايد لدى الباحثين المحدثين؛ لأنها تمثل شكلًا من أشكال الخطاب التراثي، وهو يعكس نزعة علمية وسمة واقعية بعيدة عن** أي **صبغة إيديولوجية** أو **سياسية**، فخطابه يتسم بالمحايدة مما يعطيه مصداقية قد تفوق قيمة النص التاريخي[٩٠].

بيد أن كتب النوازل لم تسلم من الانتقادات من بعض المؤرخين والباحثين المهتمين بالشأن التاريخي، وفي ذلك يقول الباحث محمد مزين: "**من العيوب التي تؤخذ على النوازل من طرف بعض المؤرخين: أنها لا تعتبر التسلسل الزمني**[٩١]، **وأنها نادرًا ما تشير إلى خبر سياسي صحيح، وأن جلّها لا يخضع لمنطق زمني ملموس من أول قراءة، بحيث إنها لا تقصد أحداثًا محدودة في الزمان، بل تريد إبراز حالات تتعمّد عدمَ ربطها بزمن ما أو أشخاص بعينهم**"[٩٢].

المطلب الرابع:

الأهمية الاجتماعية لكتب النوازل

نتلمّس من النوازل العادات الاجتماعية السائدة والمنتشرة في المجتمع الإسلامي التي تعلّقت به الفتوى، ومما يبرهن على ذلك ما قرّرته الباحثة فاطمة بلهواري؛ حيث نصّت على أن كتب النوازل رفعت - من الناحية الاجتماعية- الحُجُب عن مجتمع الغرب الإسلامي، وذلك بالتّعريف بتركيبته المتنوعة، وبطبقاته المتجذّرة، وطوائفه المختلفة، وقد رصدت طبيعة العلاقات الأسرية، ورسمت عاداته وتقاليده وأعرافه"[٩٣]، بما توفّره من معلوماتٍ تتعلّق بتفاعل مختلف مكوّناته وفعالياته؛ حيث تُشكّل انعكاسًا صادقًا لوقائع الناس الجارية ومشكلاتهم الناشئة، وأقضيتهم الطارئة، بحسب المقتضيات النابعة من الظروف المختلفة بحكم خصوصية المجتمعات في الزمان والمكان[٩٤].

ومن **الأمثلة على هذه الأهمية:** ما ذكره الونشريسي في "المعيار" من مدى تفنُّن المجتمع في المغرب الإسلامي والأندلس في مساعدة المحتاجين والفقراء، ومدى اهتمامهم بالتضامن الاجتماعي من خلال المؤسسات الخيرية الوقفية التي كانت منتشرة في جميع القرى والمدن بالمغرب الإسلاميّ والأندلس[٩٥].

هذا، وإن للنوازل أهمية كبيرة في جوانب أخرى ومجالات شتى؛ ومن بين المجالات الأخرى يدخلها الفقه النوازلي نذكر الآتي:

- **ففي المجال الاقتصادي:** أسهمت كتب النوازل بما تتضمّنه من عقود متنوعة ونصوص ثمينة في بيان الأنشطة الاقتصادية والألوان التجارية المتعلّقة بالمجتمعات الإسلامية. ومن ذلك: ترميمها لجوانب هامة من النشاط الفلاحي للغرب الإسلامي، "حيث أفادت قضايا المزارعة، والمغارسة، والمساقاة في إماطة اللثام عن مظاهر تنظيم البوادي في الغرب الإسلامي من مختلف الأوضاع والعلاقات"[٩٦].

- **أما في المجال الصحّي:** فلها أهمية كبيرة

أيضًا، ومما يدلُّ على ذلك: ما أفصح عنه عدد من الباحثين المعاصرين، يقول الباحث محمد زاهي - في دراسته لهذا الموضوع-: **"يتَّضح لنا من خلال النصوص العديدة التي ذكرها الونشريسي: عن مدى التطور الذي عرفته بلاد المغرب الإسلامي والأندلس في المجال الصحي، خاصة منها الأندلس، وعلى سبيل المثال: الخدمات الصحية التي تقدِّمها المراكز الطبية الموجودة بقرطبة - عاصمة الأندلس- من علاج، وعمليات، وأدوية، وطعام كانت مجانًا، بفضل الأوقاف التي كان المسلمون يرصدونها لهذه الأغراض الإنسانية(...)، كما يؤكِّد لنا الونشريسي حقيقة تاريخية عن مدى التقدُّم الذي عرفه المغرب الإسلامي والأندلس في المجال الصحي، حيث انتشرت المستشفيات الخاصة ببعض الأمراض"**[٩٧].

- **وفي المجال الأمني والعسكري**: تُقرِّب لنا كتب النوازل الصورة الحقيقية كثيرًا في هذا المجال المهم والحيوي الذي يشغل بال الدول والشعوب والقبائل والعشائر والجماعات، ونحوها، وما يسود المجتمعات في حالة غياب هذا المطلب الضروري للحياة والبناء والعمران. وقد أطلعنا **الونشريسي** على عدة حقائق تاريخية فيما يتعلَّق بدور المجتمع الإسلامي لتلبية حاجات المجتمعات الأمنية خاصة في المجتمع الأندلسي، وهكذا يمكن من خلال النصوص الكثيرة التي أوردها استنباط عدة حقائق عن الخطط الأمنية والحربية (العسكرية) التي استخدمها المسلمون بالأندلس من أجل الدفاع عنها وعن مقدسات المسلمين لصدِّ العدوان والهجومات المتكررة التي كان يقوم بها العدو الإسباني في حربهم ضد المسلمين من أجل طردهم من الفردوس المفقود (الأندلس).

ويؤكِّد لنا **الونشريسي** في هذا الصدد مدى أهمية الأوقاف كمورد مالي للنفقات الضرورية في مجال الدفاع عن العالم الإسلامي، خاصة في فترة حروب الاسترداد الإسباني في مناطق الثغور الشمالية، فكان لازمًا الوقف على الثغور والحصون[٩٨].

كما تُطلعنا كتب النوازل على المستوى الثقافي والعلمي السائد في المجتمع، ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره الونشريسي في "**المعيار**" من مدى اهتمام السلاطين والأمراء بالمغرب الإسلامي والأندلس ودورهم الكبير في بناء المدارس والوقف عليها، ومدى اهتمامهم وتشجيعهم للعلماء، من خلال الإنفاق الوقفي عليهم، ومدى الرعاية التي شاهدها طلبة العلم في المغرب الإسلامي والأندلس، حيث كان يُقدَّمُ لهم المسكن والمنح الدراسية، فكان للطلبة الوافدين على المدارس أوقافٌ مخصَّصة لسكناهم وأخرى للإنفاق عليهم ورعايتهم، إضافة إلى خدمة التعليم من طرف أشهر وأمهر العلماء والمدرِّسين[٩٩].

فلذا، لا يمكن أن نتغاضى عن أهمية كتب النوازل في ميادين عديدة ومجالات متنوعة، وحريٌّ بنا أن نهتمَّ بها ونصرف هممنا إليها دراسة وتصنيفًا وتنقيحًا وتصحيحًا، لنمتح من معينها الفيَّاض علمًا كثيرًا نستفيده في حياتنا وواقعنا حاضرًا ومستقبلًا ووجودنا الفكري والثقافي، ونستلهم من فرائدها ما نَبَزُّ به غيرنا، ونعاند به من تفوّقوا علينا.. ونباهي به أنه من ثقافتنا وحضارتنا فقط، ومن أصولنا العريقة التي مهما حاول التَّزييف الاستشراقي طمس معالمها فلن يفلح أبدًا في نيل ذلك!!

المبحث الثالث:

نماذج تطبيقية لبعض النوازل الفقهية من خلال "المعيار" للونشريسي

تتميَّز كتب النوازل عامة بميزة خاصة، فهي تنقل نص السؤال الموجه إلى المفتي ثم تقدّم حكم النازلة المستفتى فيها، وهذه الميزة تدلُّ على واقعية القضايا المسؤول عنها، لذلك تعدُّ هذه الكتب من أهم المصادر التي يجب الاعتماد عليها في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية؛ لأنها تعكس بوضوح واقع المجتمع ومشكلاته[١٠٠].

وفيما يتعلّق بكتاب "**المعيار المعرب**" للإمام **الونشريسي** يجد الباحث ضالته فيه فيما يخصُّ الفقه النوازلي؛ كونه يزخر بزخمٍ هائلٍ وضخمٍ من النوازل في مختلف الأبواب الفقهية والعقدية، تجعل عقل الحصيف يَلَهُ مندهشًا ويَشرَئِبُّ مندهشًا لغناها وثرائها بالدُّرر النفيسة والفرائد الثمينة في مجالاتٍ عديدةٍ تاريخيّة كانت، أو عمرانيّة، أو فقهيّة، أو غيرها.

وفي هذا الجانب وقفنا على أربع نوازل مندرجة في **باب البيوع**، ومن خلالها أبرزنا تلكم **القواعد والأصول** العلمية والمنهجية المعتمدة في أجوبتها، وكذا ما احتوت عليه من فوائد عمرانيّة وتاريخيّة، وقد تمّ انتقاؤها جميعًا من هذا السِّفر العظيم.

المطلب الأول:

نازلة ابن لُبّ الغرناطي

اشتهر الفقيه **ابن لُبٍّ**[١٠١] بمشاركته العلمية لأحوال عصره، وباجتهاداته الفقهية النيرة في الإجابة عن قضايا ونوازل كانت ترده من المستفتين. ومن بين تلكم النوازل التي شهدت له بالرياسة في الفقه والاجتهاد نذكر النازلة الآتية:

النازلة: وقد سئل ابن لب عن ثوب الميت بالوباء؟

فأجاب: ((توهُّم كونه عيبًا في السلعة في باب البيوع، إن كان قد اشتهر وأثر كراهية في النفوس، بحيث إذا ذكره البائع، كان ذكره عائدًا عليه بنقص في الثمن أو بزهد في السلعة، فيظهر أنه عيب؛ لأن العيوب في السلعة بحسب ما عند الناس، لا بحسب حكم الشرع))[١٠٢].

أولًا: الأصول والقواعد المعتمدة في الفتوى:

لقد اعتمد الإمام ابن لبٍّ في تأصيله للفتوى وجوابه للمستفتي على قواعد أصوليّة وفقهيّة مهمّة مرتبطة بالعرف والعادة وهي:

- "**المعروف عرفًا كالمشروط شرطًا**"[١٠٣]، "**العادة محكَّمة**"[١٠٤]، وكذا "**ردُّ المعيب على مقتضى العادة والعرف**"[١٠٥]؛ حيث جعل خيار الردّ منوطًا بالعيب المؤثِّر في المبيع باعتبار عادة الناس وعرفهم؛ لقوله: ((**لأن العيوب في السلعة بحسب ما عند الناس**))، ويظهر كذلك في قوله: ((**بحيث إذا ذكره البائع، كان ذكره عائدًا عليه بنقص في الثمن أو بزهد في السلعة**))، أنه لم يجعل كل عيبٍ مؤثرٍ في البيع بحيث يكون سببًا لفسخه، وإنما خصّ العيب الموجب للفسخ بالعيب المزهد في السلعة أو المنقص من قيمتها.

ثانيًا: الفوائد العمرانية والتاريخية المستنبطة من الفتوى:

يظهر من سؤال النازلة أن بلاد الأندلس في زمن ابن لب الغرناطي -أي القرن الثامن

الهجري- شهدت اضطرابًا صحيًا يتمثَّل في ظهور الوباء الفتَّاك الذي يسمى بالطاعون الأسود الجارف؛ حيث حصد أرواح العديد من الناس والعلماء، كالإمام المؤرخ **ابن جابر الوادي آشي الأندلسي** (ت. ٧٤٩هـ) وغيره. ونلحظ كذلك أن أهلها عرفوا تدهورًا اقتصاديًا، ويتجلى ذلك في: لجوئهم إلى بيع ملابس الميت والاستفادة من ثمنها، بل وصل بهم الأمر إلى الاستفتاء عن حكم بيع ملابس الموبوء الذي لقي حتفه بسبب الطاعون!! وهذا دليل على انتشار الفقر والمسغبة آنذاك، ولعل من أهم أسباب هذه العَيْلَةِ المُدْقِعَة التأثُّر بهذا الوباء العُضال.

المطلب الثاني:

نازلة المازَري

سُئل الإمام المازَري[١٠٦] كثيرًا في نوازل جاد بها عصره، وننقل هنا أنموذجًا مشرقًا من تلك الإجابات التي تميَّز بها هؤلاء الفقهاء النوازليين قديمًا، ومدى استيعابهم لقضايا عصرهم.

النازلة:

وسئل المازري ممن اشترى دارًا ثم أراد القيام بعيب فيها، وفي الإشهاد أنه أحاط بالدار معرفة وقدرًا وعلمًا، وادعى خفاء العيب عليه، فهل له قيام أم لا؟

فأجاب: إذا قام بعيوبٍ فله الرَّد بها إن كانت كثيرة، أو قيمتها إن كانت يسيرة، والقول قوله في عدم العلم بها إذا أمكن، ولو شهدت بيِّنة بأنها لا تخفى عليه وقت البيع إلى الآن، فلا كلام له، ولا يلزمه يمينٌ عند مالك أنه ما رآها إذا كان مما يخفى عنه إلا أن يدَّعي البائع أنه أراه إياه، ولا حجَّة لقول الموثِّق: **إنَّه أحاط به إذ ذلك في تلفيقهم، والعادة تقتضي عدم قصده في الإشهاد**[١٠٧].

أولًا: الأصول والقواعد المعتمدة في الفتوى:

بنى الإمام المازري في تأصيله للفتوى وجوابه عن المستفتي على قواعد فقهية وأصولية متنوعة من بينها:

- **((القول قول المشتري عند التنازع في عيوب المبيع))**[١٠٨].

ومحلُّ الشاهد: هو قوله: **((والقول قوله -أي المشتري- في عدم العلم بها إذا أمكن))**.

- وقاعدة: **((القول قول المشتري في عيوب المبيع إلا إذا أقيمت البينة على خلاف ادعائه))**[١٠٩].

والشاهد على ذلك قوله: **((والقول قوله في عدم العلم بها إذا أمكن، ولو شهدت بينة بأنها لا تخفى عليه وقت البيع إلى الآن، فلا كلام له، ولا يلزمه يمين عند مالك أنه ما رآها إذا كان مما يخفى عنه))**.

- وقاعدة **"العادة محكمة"**، لقوله: **((والعادة تقتضي عدم قصده في الإشهاد))**.

ثانيًا: الفوائد العمرانيَّة المستخلصة من الفتوى:

نلمس من هذه النازلة أن نظام بيع الدور والعقارات من أهمِّ المعاملات المالية التي تُشكِّل نواة للمعاملات التجارية، وموروثًا حضاريًا في الجانب التجاري.

لأجل ذلك كان هذا النظام مقننًا ومحاطًا بسياج من الدقة والحماية، إذ تبيَّن من فتوى الإمام المازري أن عقود بيع الدور خاضعة لنظام الإشهاد والتوثيق من طرف من تُنصِّبهم الدولة

لهذه المهمة.

ومما نستفيده أيضا من النازلة: أن نظام الحكم الرسمي لأهل المغرب الأقصى في عهد الدولة المرابطية هو نظام **يستمد مرجعيته من الأحكام الشرعية لا القوانين الوضعية.**

المطلب الثالث:

نازلة ابن الفخار

لقد عرف الإمام الجليل **ابن الفخار**[١١٠] بخصال طيبة وكريمة كثيرة، من بينها: **العلم، والورع، ومتانة العدالة،** وأنه كان من العلماء النوابغ الأفذاذ المشاركين في مختلف قضايا عصرهم، يجيب السائل بروح الفقيه المشارك الذي لا يتوانى في بيان الحق والدفاع عنه مهما كان الثمن. ومن بين النوازل التي شارك بها في عصره نذكر النازلة الآتية:

النازلة: وسئل ابن الفخار عن حنَّاط[١١١] باع الرجل ثلاثة أرباع دقيق ونقده الثمن -أعطاه الثمن في الحل نقدًا- وقبض الدقيق، أتى به إلى منزله ووزنه فنقصه ثلاثة أرطال.

فأجاب: القول قول المبتاع مع يمينه؛ لأنه ادَّعى العرف؛ لأن العرف في الحناطين أن **ينقصوا الناس في الوزن**[١١٢].

أولا: الأصول والقواعد المعتمدة في الفتوى:

استند الإمام ابن الفخار في تأصيله للفتوى وجوابه عن المستفتي على قواعد أصولية وفقهية مهمة كثيرة وهي:

- قاعدة: **"المعروف عرفا كالمشروط شرطا"**، وقاعدة **"العادة محكمة"**، وكذا **"رد المعيب على مقتضى العادة والعرف".**

ويتّضح أن هذه القواعد كلها تندرج تحت أصل العرف الصحيح، باعتباره أصلًا من أصول التشريع تُبنى عليه الأحكام الشرعية.

- وقاعدة: **"القول قول المبتاع عند التنازع في عيوب المبيع"**؛ لقوله: "القول قول المبتاع مع يمينه"، وهذا فيه اعتبار **"يمين المدعي"**، وقد قال ﷺ: (**البينة على المدعي واليمين على من أنكر**)[١١٣].

كما حكَّم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- **"القرائن"** وقاعدة **"الغالب كالمحقق"** أو **"الحكم للغالب لا النادر"** وقاعدة **"الظن الغالب ينزل منزلة اليقين"؛ لأن المدعى عليه عرف بالإنكار والظلم؛ لذا جعل القول عند التنازع قول من خالف من عُرف بالتعدي والظلم، فعدُّ الموصوف بهذه الأوصاف مدعياً، والمقابل له مدعى عليه فقبل بذلك يمينه، وفي هذا تحكيم لغالب الظن وللقرائن التي أحاطت بالموصوف بالظلم والإنكار.**

استنتاج:

نستخلص من النوازل السابقة أن العادة لها تعلّق بالعيب في المبيع في أمرين:

- **الأول:** في حقيقة كون العيب معتبرًا أم لا.
- **الثاني:** في درجة هذا العيب ومقداره وتأثير ذلك في أصل العقد.

ثانيا: الفوائد العمرانية المتصلة بالفتوى:

تُقدّم لنا هذه النازلة معلومات قيّمة بخصوص بعض المكاييل والموازين المستعملة في بلاد المغرب في عهد كل من الدولتين المرابطية والموحدية، والمتمثلة في **"الرطل"**؛ حيث يزن ستة عشر أوقية، وهذه الأخيرة تساوي إحدى

وعشرين درهمًا[114].

ومما نستشفّه من جواب ابن الفخار -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: أن الحنّاطين في عهده عرفوا بالغش والتدليس والاحتيال للتطفيف في الميزان، ومن أمثلته: ما كان يفعله بعض التجار من وضع "**الزِّفْت**"[115] في المكيال حتى يزيدوا في وزنه...!!

المطلب الرابع:

نازلة ابن رشد

سئل الفقيه العلاّمة ابن رشد في بعض القضايا التي استجدّت في عصره، ونشير في هذا المقام إلى نماذج من ذلك؛ لنعرف مدى تفاعل الفقه مع مستجدات الواقع والاستجابة لأحوال المكلَّفين.

النازلة: وسئل ابن رشد عن بيع أصول الكرْم للنصارى وهم يعصرون خمرًا، وهل يفسخ البيع إن وقع؟

فأجاب: ((هو مكروه لا يبلغ به التحريم))[116].

أولًا: الأصول والقواعد المعتمدة في الفتوى:

عوَّل الإمام ابن رشد في تأصيله للفتوى وجوابه عن المستفتي على قاعدة أصولية مشهورة وهي:

"**قاعدة سد الذرائع**"[117]؛ وذلك بتطبيقها على حكم بيع ما يستعان به على الإثم وضرر المسلمين؛ حيث أفتى -:- بكراهة بيع أصل الكرم للنصارى لاحتمال استعماله في صنع الخمر، بيد أنه لم يُفت بتحريم ذلك مع ورود الاحتمال وعدم قوته، ويرجع ذلك إلى أن سدَّ الذَّرائع ليس على درجة واحدة بل له مراتب تختلف باختلاف ما تؤول إليه الذريعة، ويمكن حصر ذلك في الآتي:

- **المرتبة الأولى:** بيع ما كان فيه إضرار على جماعة المسلمين، كبيع السلاح والمركوب وكل ما يستعان به على قتال المسلمين للكفار... فهذا يحرَّم قولًا واحدًا.

- **المرتبة الثانية:** بيع ما يؤول إلى الحرام غالبًا، كبيع العصير ممن يتخذه خمرًا...

فالراجح حرمة ذلك - حسب ما يظهر لنا -؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۝٢ ﴾[118]؛ ولأن "**الغالب كالمحقق**"[119].

- **المرتبة الثالثة:** بيع ما يُشكُّ في وقوع المفسدة منه؛ وذلك لضعف الاحتمال الوارد، كبيع أصول الكرم...؛ فهذا يُكره، ولا يُحرَّم؛ لوجود الشكِّ من غير يقين[120].

ثانيًا: الفوائد العمرانيَّة المتَّصلة بالفتوى:

تحمل هذه النازلة إشاراتٍ مهمةً ذاتَ صبغة اجتماعية واقتصادية وسياسية؛ لكونها تدل على أن الأندلس حاضرة تجمع بين سرادقها أناسًا مختلفي الملل والنحل كالمسلمين -وهم السواد الأعظم- والنصارى - وهم الأقلية- وقد تعايش الكل تحت بيرق الإسلام وحكمه، وتبادلوا المنافع والمصالح فيما بينهم عن طريق المعاملات التجارية من بيع وكراء وإجارة وغيرها، ومما نستلهمه من هذه الفتوى أن هؤلاء الأقلية غير المسلمة لا يتحرون الحلال في معاملاتهم؛ لكونهم يعصرون الخمور، ولا يرون في ذلك بأسًا.

وأخيرًا.. لقد وصلنا إلى المبحث الختامي، الذي نعتقد أننا حاولنا من خلاله الإشارة إلى أكبر عدد ممكن من المصنّفات النوازلية المالكية المغربية؛ وهو أمر لا يخلو من مشقّة وإغفال

مقالات

لبعضٍ منها؛ لما فيه من تتبع وإحصاء لهذه الكتب عن غيرها من كتب أهل الأندلس والمغرب العربي؛ وهو عمل - في حقيقته- يحتاج إلى جهود جماعية مركّزة ومكثّفة من أجل جمعها والإحاطة بها وتصنيفها ودراستها.

وما دام الأمر المتفق عليه: أن ما لا يدرك كله فلا يترك جلُّه، فإن عملنا في هذا المحور تركّز حول الآتي:

- رتّبنا هذه الكتب النّوازلية حسب تاريخ وفاة أصحابها بالتاريخ الهجري بشكل تصاعديّ.
- قمنا بعد ذلك بتحويل هذه المعطيات إلى رسم بياني.
- ذيّلنا الرسم البياني بقراءة وصفية مجملة بما توصلنا إليه من نتائج.

المبحث الرابع:

ببليوغرافية كتب النوازل المغربية

لا يخفى على جمهور الباحثين والدارسين قيمة الأعمال البيبليوغرافية وأثرها الكبير في تأطير البحوث العلمية وترشيدها، ومن هذا المنطلق توجهت عنايتنا في هذا البحث - قدر المستطاع- إلى جمع جملة من عناوين البحوث المتعلقة بالنوازل المغربية، منها الذي شقّ طريقه إلى المناقشة بالجامعات المغربية، ومنها من نال حظه من التحقيق والدراسة، وكثير منها لا زال حبيس الرفوف. وقد عملنا على ترتيبها وفق السنة الهجرية التي توفي فيها صاحبها، مع ذكر عنوان البحث كاملًا، واسم الباحث، واسم المشرف، ونوع العمل، والمؤسسة الجامعية التي نوقش بها، ومكان تواجده -إن لم يكن رسالة علمية- وتاريخ المناقشة.

ومن الضروري التنبيه إلى أننا استفدنا من بعض الأعمال البيبليوغرافية المتاحة، وكذا سجلات وإعلانات بعض المؤسسات والجامعات، وعلى الخصوص: (مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، دار الحديث الحسنية، جامعة محمد الخامس، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء - المحمدية، جامعة ابن زهر، وكلية الشريعة بأيت ملول وفاس ...)، كما استعنا أيضًا بمواقع الشبكة العنكبوتية.

كما تجدر الإشارة إلى أن محاولة حصر المصنفات النوازلية أمر عسير المنال في حدود وقتنا الحاضر؛ نظرًا لعدة أسباب يطول شرحها وتفصيل القول فيها في هذا المقام.

لقد حاولنا من خلال هذا المبحث القيام بمسح تاريخي شبه متسلسل قصد جمع أكبر قدر ممكن من كتب النوازل المغربية والأندلسية وتصنيفها -كما أشرنا آنفًا- حسب سنوات وفاة أصحابها، ووضعها في ببليوغرافية شاملة لأهم ما دُوّن في هذا الفن الإسلامي الأصيل (**المطلب الأول**)، ثم الاستعانة بإعداد استبانة توضّح نِسب تأليف كتب النوازل في بلدنا المغرب وما جاوره في الأندلس، انطلاقًا من القرن الخامس إلى حدود القرن الخامس عشر الهجري (**المطلب الثاني**)، وبعد ذلك قمنا بقراءة وصفية تحليلية مبسطة (استنتاج) لهذه النِّسَب قصد الخلوص إلى نتيجة علمية نهائية في الموضوع المدروس.

المطلب الأول:

جرد تاريخي بأهم كتب النوازل المغربية

ر ـ ت	كتب النوازل	سنة وفاة المؤلِّف	القرن الهجري
١	أجوبة الفقهاء، لمحمد بن سحنون التنوخي القيرواني، طبع بدار ابن حزم في مجلد واحد، في (٥٣٠ صفحة سنة ٢٠١١، ويتضمّن إجابات صادرة عن عالم القيروان "محمد بن سحنون بن سعيد التنّوخي" على أسئلة كثيرة ومتنوّعة تتضمّن أحكامًا شرعيّة عامّة، وخصوصًا على الفقه المالكي.	(ت. ٢٥٦هـ)	٤
٢	فتاوى أصبغ بن خليل أبي القاسم القرطبي، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط، رقم: ٨١٧٨.	(ت. ٢٩٣هـ)	٤
٣	الأسئلة والأجوبة، لأبي حفص أحمد بن نصر الداودي، مخطوط بجامع الزيتونة في تونس تحت رقم: (١٠٤٨٦)، وقد تفرَّد المحقق "فؤاد سزكين" بالإشارة إلى هذا الكتاب الفريد، وذكر أنه يقع في ١٢١ صفحة.	(ت.٣٠٧هـ)	٤
٤	فتاوى ابن لبابة، لشيخ المالكية أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبي ، مولى آل عبيد الله بن عثمان.	(ت. ٣١٤هـ)	٤
٥	مسائل ابن زرب، أبي بكر محمد بن يبقى القرطبي، جمعها: يونس القاضي، أبو الوليد بن عبد الله بن محمد ابن مغيث يعرف بابن الصفار(ت. ٤٢٩هـ)، وهي من مصادر فتاوى ابن رشد، وقد طبعت باسم (فتاوى ابن زرب القرطبي) سنة ٢٠١١، نشر: دار اللطائف.	(ت. ٣٨١هـ)	٤
٦	فتاوى ابن أبي زيد القيرواني، جمعها الدكتور/ حميد لحمر، وطبعت سنة (١٤٢٤ـ ٢٠٠٣هـ).	(ت. ٣٨٦هـ)	٤
٧	منتخب الأحكام، لابن أبي زمنين: محمد بن عبد الله بن علي الإلبيري ، مطبوع ومحقق، وقد نوقش في أطروحة دكتوراه للدكتور/ محمد حمَّاد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة عبد المالك السعدي، كلية أصول الدين بتطوان. انظر: جهود فقهاء المالكية، مرجع سابق، ص٢٢٥.	(ت. ٣٩٩هـ)	٤

٨	"فتاوى ابن الزُّوَيْزي"، للقاضي عبد الله بن أيمن الأصيلي (نسبة إلى مدينة أصيلة) المغربي، الذي كان يُضرب به المثل في صحّة الفُتيا كما يقول القاضي عياض، وكان المغاربة يقولون مقولة مشهورة عنه وهي: "لا أفعل كذا؛ ولو أفتاك به ابن الزُّوَيْزي".	(توفي في حدود ٤٠٠هـ)	٥
٩	فتاوى ابن المكوي، لأبي عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي	(ت. ٤٠١هـ)	٥
١٠	المقنع في مسائل الأحكام وفقه القضاء، لابن بطال المتلمس سليمان بن محمد البطليوسي.	(ت. ٤٠٢هـ)	٥
١١	أجوبة القابسي، لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف التونسي، مخطوط الخزانة الناصرية بتمكروت، رقم: ١٩٠٩د.	(ت. ٤٠٣هـ)	٥
١٢	فتاوى ابن الشقاق، عبد الله بن الشقاق بن سعيد القرطبي.	(ت. ٤٢٦هـ)	٥
١٣	"فتاوى الشيخ أبي عمران الفاسي"، للفقيه الإمام العلاّمة أبي عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الزّناتي، حاج الغفجومي، الفاسيُّ القيرواني، جمع وتقديم: الدكتور/ محمد البركة، طَبع ونشر: دار أفريقيا الشرق ـ الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٠م.	(ت.٤٣٠هـ)	٥
١٤	نوازل ابن مالك، لأبي مروان عبيد الله بن مالك القرطبي، ينقل عنها ابن عبد الرفيع في "معين الحكام".	(ت. ٤٦٠هـ)	٥
١٥	نوازل الباجي، أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، وتعرف بـ: "فصول الأحكام فيما جرى به عمل المفتين والحكام"، وقد ذكرت في "معين الحكام"، لابن عبد الرفيع، وفي "المعيار المعرب" للونشريسي.	(ت. ٤٧٤هـ)	٥
١٦	فتاوى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد اللخمي القيرواني، جمعه وحققه وقدم له: الدكتور/ حميد لحمر، طبع بدار المعرفة بالدار البيضاء (دون تاريخ) ضمن سلسلة: من "نفائس فتاوى فقهاء الغرب الإسلامي"، وجاء تقسيم الكتاب بين مقدمة وقسمين رئيسيين. انظر: مقدمة الكتاب، ص٤.	(ت. ٤٧٨هـ)	٥

١٧	الإعلام بنوازل الأحكام أو الأحكام الكبرى، لابن سهل أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي القرطبي، وقد قام بتحقيقها: الدكتور/ محمود علي مكي، والدكتور/ محمد عبد الوهاب خلاف.	(ت. ٤٨٦هـ)	٥
١٨	الأحكام، للشعبي أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم المالق، ويسمى بنوازل الشعبي، طبع بتحقيق الدكتور الصادق الحاوي. انظر: قضايا المجتمع المرابطي من خلال النوازل الفقهية، مرجع سابق، (٦٤/٢). وكان قد نال به درجة الدكتوراه في الفقه والسياسة الشرعية من الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين في تونس بإشراف: محمد الشاذلي سنة ١٤٠٢هـ. انظر: فتاوى الشاطبي، مقدمة المحقق: محمد أبو الأجفان، مطبعة الاتحاد العام التونسي ، ط١، ١٩٨٤، ص٨٦.	(ت. ٤٩٧هـ)	٥
١٩	"الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك مما ينزل عند القضاة والحكام"، وهي نوازل للقاضي أبي محمد عبد الله بن أحمد بن دبُّوس الزناتي اليفرني، قاضي فاس، تقع في أربعة أجزاء، يوجد منها فقط سفران في خزانة القرويين تحت رقم ٣٤٩/١، كما في طُرَّة المخطوط. وقد حقق الباحث: إدريس السفياني، الجزء الأول والثاني بإشراف الدكتور/ محمد الروكي، (رسالة ماجستير)، بجامعة محمد الخامس، وقد نوقشت في: ١٩٩٤/١١/٢١.	(ت. ٥١١ هـ)	٦
٢٠	نوازل ابن بشتغير، لأحمد بن سعيد اللخمي اللورقي، وقد حققه قطب الريسوني، حيث كان موضوع أطروحته للدكتوراه، وطبع في مجلد واحد بدار ابن حزم سنة ٢٠٠٨، ويتألّف هذا الكتاب من قسمين: قسم الدراسة، وقد اشتمل على خمسة فصول، وقسم التحقيق.	(ت. ٥١٦هـ)	٦
٢١	فتاوى ابن رشد، لأبي الوليد محمد بن أحمد القرطبي، جمعها تلميذاه الفقيهان القرطبيان: أبو الحسن محمد ابن الوزان، وأبو مروان عبد الملك بن مسرة، وقد طبع بدار الغرب الإسلامي في ثلاثة أجزاء سنة ١٩٨٧، بتحقيق الدكتور/ المختار التليلي.	(ت. ٥٢٠هـ)	٦

٢٢	المسائل والأجوبة، لعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، طبع قسم منه ببغداد بتحقيق الدكتور/ إبراهيم السامرائي في مجموعة سماها: ((رسائل في اللغة)) سنة ١٩٦٤. وهذا الكتاب يشتمل على الردود والأجوبة، عن بعض المشاكل والأسئلة التي كان ابن السيد قد طولب بالجواب عنها، بعضها استفهام واسترشاد وبعضها امتحان وعناد.	(ت. ٥٢١هـ)	٦
٢٣	نوازل الأحكام أو الفصول المقتضبة من الأحكام المنتخبة، لابن الحاج الشهيد محمد بن أحمد بن خلف التجيبي القرطبي، وهو يحقق حاليًا من قبل الدكتور/ أحمد اليوسفي. انظر: جهود فقهاء المالكية المغاربة، مرجع سابق، ص ٢٢٦.	(ت. ٥٢٩هـ)	٦
٢٤	مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، وقد جمعها ابنه أبو عبد الله محمد بن عياض (ت. ٥٧٥هـ)، وأصله جذاذات وبطائق ضمّنها القاضي عياض مجموعة من النوازل له ولغيره، تحقيق: د. محمد بن شريفة، نشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط. الثانية ١٩٨٢م.	(ت.٥٤٤هـ)	٦
٢٥	"إعتماد الحكام في مسائل الأحكام وتبيين شرائع الإسلام من حلال وحرام"، مما عني بجمعه وترتيبه على توالي مدونة سحنون، للشيخ الفقيه أبي علي حسن بن زكون، وتوجد منه الأجزاء: ٧، ٨، ٩، ١٠ في مجلد ضخم بالخزانة العامة بالرباط برقم: ٤١٣ ق.	(ت.٥٥٣ هـ)	٦
٢٦	"الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه"، لابن مناصف (نزيل مراكش)، تحقيق: قاسم الوازاني، منشورات: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط. الأولى ٢٠٠٣م.	(ت.٦٢٠ هـ)	٧
٢٧	"طُرر" على المدونة، للعلّامة أبي إبراهيم إسحاق بن يحيى ابن مطهر الورياغلي الملقب بالأعرج، ذكرها جمع من أهل العلم ممن ترجموا له أو نقلوا عنه في تعليقاتهم على "المدونة".	(ت. ٦٨٣هـ)	٧

٢٨	"فتاوي أو نوازل الزرويلي"، لعلي بن محمد بن عبد الحق، أبي الحسن، ويعرف بالصَّغير الزرويلي، الفقيه المالكي المحصِّل، أحد الأقطاب الذين دارت عليهم الفتيا أيام حياته ، طبعت حجريًا بفاس سنة (١٣١٩هـ)، وتوجد منها نسخة بالخزانة الملكية تحت رقم: ٤٨٦، وأخرى بالخزانة الناصرية.	(ت.٧١٩هـ)	٨
٢٩	"أجوبة العبدوسي"، من تأليف أبي محمد عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي، دراسة وتوثيق: هشام المحمدي، منشورات: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.	(ت. ٨٤٩هـ)	٩
٣٠	"أجوبة القَوري"، لمحمد بن قاسم بن محمد بن أحمد اللَّخمي نسبًا، المكناسي دارًا ومسكنًا ومولدًا، الأندلسي سلفًا، القَوْري شهرةً ولقبًا، الفاسي وفاةً، واشتهر بالقَوْري، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم: ١٠٢٤٧.	(ت. ٨٧٢هـ)	٩
٣١	"الدُّر النَّثِير على أجوبة أبي الحسن الصَّغير"، لإبراهيم ابن هلال السجلماسي، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي وأحمد بن علي، وقد صدر عن مركز التراث الثقافي المغربي - الدار البيضاء ودار ابن حزم - بيروت، ط. الأولى ٢٠١١م.	(ت.٩٠٣هـ)	١٠
٣٢	"المعيار المعرب، والجامع المغرب، عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب"، للإمام العلامة الفقيه النوازلي أبي العباس الونشريسي،طبع المعيار لأول مرة في المطبعة الحجرية بفاس سنة (١٣١٤هـ/١٨٩٧م) في اثني عشر جزءًا، بعناية جماعة من العلماء المغاربة.	(ت.٩١٤هـ)	١٠
٣٣	"أجوبة ابن داود التاملي الرسموكي"، لحسين بن داود ابن بلقاسم بن الحاج محمد بن يحيى، التقتيني، المعروف بالرسموكي،مخطوط بخزانة الإمام علي بتارودانت، رقم: ك ٦٣ (مجموع)، نسخة كاملة.	(ت.٩١٤هـ)	١٠
٣٤	"مجالس القضاة والحكام والتنبيه والإعلام فيما أفتاه المفتون وحكم به القضاة من الأوهام"، للقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله المكناسي، تحقيق: الدكتور/ نعيم عبد العزيز سالم بن طالب الكثيري، منشورات: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.	(ت.٩١٧هـ)	١٠

٣٥	"الإشارات الحسان المرفوعة إلى حبر فاس وتلمسان" للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي المكناسي، مطبوعة ضمن "أزهار الرياض في أخبار عياض"، لشهاب الدين أحمد بن محمد، أبي العباس المقري (ت.١٠٤١هـ)، ضبط وحقق وعلق على الأجزاء (الثاني والثالث): د. مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبد العظيم شلبي، والجزء الرابع: سعيد أحمد أعراب، محمد بن تاويت، والجزء الخامس: سعيد أحمد أعراب، عبد السلام الهراس. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر المشتركة بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية - بيت المغرب، ١٩٨٠م	(ت.٩١٩هـ)	١٠
٣٦	"نوازل الجزولي"، للحسن بن عثمان التملي السوسي.	(ت.٩٣٢هـ)	١٠
٣٧	"نوازل عمرو المفتي"، أحمد بن زكرياء البعقيلي السوسي.	(ت.٩٦٩هـ)	١٠
٣٨	أجوبة التمنارتي، لمحمد بن إبراهيم الشيخ اللكوسي السوسي، مخطوط ضمن مجموع خاص عند الدكتور/ الحسن العبادي. انظر: لائحة المصادر والمراجع في كتابه: فقه النوازل في سوس: قضايا وأعلام، ص: ٥٥٢.	(ت. ٩٧١هـ)	١٠
٣٩	"أجوبة ابن عرضون"، أحمد بن الحسن بن يوسف الزجلي الشفشاوني.	(ت.٩٩٢هـ)	١٠
٤٠	"مقنع المحتاج في آداب الأزواج"، لأبي العباس أحمد بن الحسن بن عرضون، منشورات: دار ابن حزم ومركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، دراسة وتحقيق: د. عبد السلام الزياني، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.	(ت.٩٩٢هـ)	١٠
٤١	"أجوبة القاضي سيدي سعيد بن علي الهوزالي الفقهية"، دراسة وتحقيق: د. عبد الواحد لعروصي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.	(ت. ١٠٠١هـ)	١١

٤٢	"أجوبة ابن سعيد بن عبد المنعم"، لعبد الله بن سعيد ابن عبد المنعم الداودي المناني، المعروف بابن عبد المنعم، وهي أجوبة على مجموعة من المسائل التي سئل عنها منها: الشركاء في المزارعة، وقضاء الفوائت في العبادات، والتصدق والآداب في المسجد، وغيرها. مخطوط بخزانة الإمام علي بتارودانت ، رقم: ك ٦٣ (مجموع)، بها آثار رطوبة لم تؤثر على جودة النص.	(ت. ١٠١٢هـ)	١١
٤٣	"أجوبة في مسائل شتى"، للعَلامة الأمِير المُسند المكنى بأبي زكريا يَحيى بن عبد الله بن سعيد الحَاجِي الدَّاودي الحَسَنِي. ومنه نسخة بخزانة "تمكروت"، عدد (١٨٢٤) ضمن المجموع الخامس، ونسخة بخزانة تطوان، عدد (٨٢٦).	(ت.١٠٣٥هـ)	١١
٤٤	"المسألة الإمليسية في الأنكحة الإغريسية"، لأبي سالم الجُلالي: دراسة وتحقيق: رسالة علمية لأحمد خرطة، تحت إشراف: د. محمد أبو الفضل، كلية الشريعة بفاس ٢٠٠٢م.	(ت.١٠٤٧هـ)	١١
٤٥	"فتاوي البرجي"، جمعها علي بن أحمد البرجي الرسْموكي، تحقيق ودراسة الطالب الباحث: الحسن الرغيبي، إشراف: الحسن العبادي، (رسالة دكتوراه)، كلية الشريعة بأيت ملول - أكَادير، نوقشت في: (٢٠٠٧/٠٣/٠٩م).	(ت.١٠٤٩هـ)	١١
٤٦	جواب في حكم التَّبْغة (مجموعة الفتاوى)، للعلامة عبد الله ابن يعقوب السملالي الأدوزي، ذكرهما المختار السوسي (ت. ١٣٨٣هـ) في كتابه "سوس العالمة"، منشورات: مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر "بنميد" - الدار البيضاء- المغرب، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص: ١٨٣.	(ت.١٠٥٢هـ)	١١
٤٧	"أجوبة العربي بن يوسف الفاسي"، لمحمد العبي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي، مخطوطة بالخزانة الحمزاوية بالراشدية، رقم ١٢٦٠. ولـه "سهم الإصابة في طابة"، أجاب به عن سؤال وجه إليه بخصوص "عشبة طابة": هل يجوز استعمالها أم لا؟	(ت.١٠٥٢هـ)	١١

٤٨	"الجواهر المختارة فيم وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة"، للزياتي عبد العزيز بن الحسن الغُماري، وقد جمع فيه ما وقف عليه من فتاوى الفقهاء المتأخِّرين من أهل فاس وغيرهم، وأضاف إليه من نوازل الونشريسي وغيرها، مخطوط الخزانة العامة بتطوان تحت رقم: ٩١٣/١٢. وقد حقَّقت الطالبة الباحثة غنية عطوي في رسالتها للماجستير في التاريخ جزءًا منه وهو: نوازل الجهاد والصرف والقرض وبيع السَّلَمِ والأنهار والسواقي، بإشراف: د. إسماعيل سامعي، جامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية - الجزائر، ١٤٤٣هـ/٢٠١٣م.	(ت.١٠٥٥هـ)	١١
٤٩	"نوازل القاضي يوسف بن يعزى الرسموكي"، ليوسف ابن يعزى الرسموكي قاضي إيليغ، مخطوط ضمن مجموع خاص عند الدكتور/ الحسن العبادي. ينظر: لائحة المصادر والمراجع من كتابه فقه النوازل في سوس: قضايا وأعلام، ص: ٥٥٥.	(ت.١٠٥٩هـ)	١١
٥٠	"الأجوبة الفقهية"، للإمام العلامة عيسى بن عبد الرحمن السكتاني الرجراجي المالكي، جمعه تلميذه أحمد بن الحسن السوسي الروداني في سفر ضخم. بتحقيق: أبي الفضل الدمياطي أحمد بن علي، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي- الدار البيضاء ودار ابن حزم - بيروت. وقد حقَّق أجوبة أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني، الطالب الباحث: عبد الكبير أوبريم في رسالته لنيل (دبلوم الدراسات العليا المعمقة) تحت إشراف الدكتور/ محمد جميل، كلية الشريعة بأيت ملول أكادير، نوقشت في: (٢٤/٠٤/١٩٩٥م).	(ت.١٠٦٢هـ)	١١
٥١	"نَصِيحة المُغْتَرين وكفاية المضطرين في التفريق بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين ولا جاء به الرسول الأمين ولا ثبت عن الخلفاء المهديين"، للفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد أحمد ميَّارة، دراسة وتحقيق: دة. مينة المغاري، وحفيظة الدازي، نشر: دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط (المغرب).	(ت.١٠٧٢هـ)	١١

٥٢	"نوازل أحمد بن يعزى بن التاغاتيني الرسموكي"، لأحمد ابن محمد بن يَعزى بن عبد السميح التغاتيني الرسموكي، مخطوط بالخزانة العامة تحت رقم: (٣٥٦٦ د).	(ت.١٠٨٠هـ)	١١
٥٣	"أجوبة سيدي محمد بن ناصر الدرعي" والمعروفة بـ: "الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية"، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر الدين الدرعي، جمعها: محمد بن أبي القاسم الصنهاجي، وقد نشرته دار ابن حزم في طبعته الأولى سنة (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، باعتناء: أبي الفضل أحمد بن علي الدمياطي.	(ت.١٠٨٥هـ)	١١
٥٤	"الأجوبة الصغرى"، للشيخ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، طُبع الكتاب بتحقيق محمد علي بن أحمد الإبراهيمي، ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، وقد صدرت الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، عن دار أبي رقراق للطباعة والنشر بالرباط.	(ت.١٠٩١هـ)	١١
٥٥	"أجوبة فقهية"، لأبي محمد عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي، مخطوطة أولها: سئل شيخنا وقدوتنا وإمامنا العالم العلامة الحبر البحر الدارك إلخ...، في مجموع من ص: ٣٩٦/٣٥٨، مسطرتها ٢٢ مقاسها ٢٠٠/١٥٥، بخط مغربي جيد، وهي أجوبة في عشر مسائل، سئل عنها كل واحدة بمفردها، وهي توجد ضمن "أجوبته الكبرى" المطبوعة بفاس على الحجر سنة ١٣١٩هـ، وتوجد نسخة بالخزانة العامة تحت رقم: (٢١٩٨/٣٤٠٤ د).	(ت.١٠٩١هـ)	١١
٥٦	"أجوبة العلامة أبي سعيد الحسن بن مسعود اليوسي"، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، تحت رقم: (٥٨٢٠ ف ٥١١٦٩٧).	(ت. ١١٠٢هـ)	١٢
٥٧	"نوازل محمد بن الحسن المجاصي"، لقاضي فاس محمد ابن الحسن المجاصي (ت. ١١٠٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. هشام الكراس(رسالة دكتوراه)، إشراف: د. أحمد امحرزي علوي، نوقشت بجامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مراكش ، في ٢٨ من ذي الحجة ١٤٣٥ الموافق ٢٤ أكتوبر ٢٠١٤.	(ت.١١٠٣هـ)	١٢

مقـالات

٥٨	"النوازل"، لأبي الحسن علي بن عيسى العلمي، طبع الكتاب بتحقيق المجلس العلمي بفاس ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، في ثلاثة أجزاء، صدر الجزء الأول سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، والجزء الثاني سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، والجزء الثالث سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.	(ت.١١٢٧هـ)	١٢
٥٩	"أجوبة الهشتوكي"، لأبي العباس أحمد بن محمد، الهشتوكي، توجد من المخطوطة نسختان بالخزانة العثمانية بسوس. الأولى: بخط مغربي متوسط مقروء بالأسود والأحمر، في ٢٩ صفحة ، ضمن مجموع، قياس: ٢٠ × ١٦، نسخها: محمد بن أحمد بن عبد الله المنصوري... ثم الوجاني في ٢٢ رمضان ١١٨٨هـ. والثانية: بخط دقيق مقروء في عشر ورقات، بدون غلاف، نُسخت في ١١ ربيع الأول ١٢٢٤هـ ومخطوط بالخزانة المحجوبية بسُوس بخط واضح، ضمن مجموع رقم ٢٦٢ في عشر صفحات.	(ت.١١٢٧هـ)	١٢
٦٠	"أجوبة ابن بُرْدُلّه"، لأبي عبد الله محمد العربي بن أحمد بُرْدُلّة، جمعها تلميذه: أحمد بن محمد الخياط بن إبراهيم الدكالي الفاسي، طبعت على الحجر بفاس سنة (١٣٤٤هـ).	(ت. ١١٣٣هـ)	١٢
٦١	"نوازل المنبهي"، لمحمد بن علي المنبهي العلامة المفتي الناقد من أئمة مراكش. جمعها تلميذه علي بن بلقاسم بن أحمد البوسعيدي، نسخة. الخزانة الملكية بالرباط رقم ٤٥٠٠.	(ت. ١١٣٣هـ)	١٢
٦٢	"نوازل المسناوي"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المسناوي الدلائي، مطبوعة على الحجر بفاس فى سفر متوسط جمعها تلميذه محمد بن الخياط الدكالي في سفر طبع على الحجر بفاس (١٣٤٥هـ- ١٩٢٦م).	(ت.١١٣٦هـ)	١٢

٦٣	"أجوبة أبي العباس السملالي"، لأحمد بن محمد بن مَحمد (فتحًا) بن سعيد بن عبد الله أبو العباس السَّمْلالي، جمعها تلميذه: أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي (ت. ١١٦٨ هـ)، طبعت على الحجر (طبعة حجرية) بفاس في جزأين (٦٠٠ صفحة). وقد حقَّق قسمًا مهمًّا منها الباحث محمد المدني السافري، (من بداية الكتاب إلى نهاية مسائل الوكالة) في أطروحة الدكتوراه، وقد نوقشت في: ٢٠١٢/٠٤/١٧ برحاب كلية الشريعة بأكَادير. أما الجزء الآخر: فاشتغل عليه الدكتور/ المحفوظ أكريهيم، من باب الشفعة إلى نهاية آخر الكتاب"، وهي -أيضًا- رسالة دكتوراه، نوقشت بتاريخ: ٢٠١٢/٤/١٦ برحاب كلية الشريعة بأكَادير، وكلاهما تحت إشراف: الدكتور/ محمد جميل مبارك.	(ت. ١١٥٢هـ)	١٢
٦٤	"أجوبة أحمد بن المبارك السجلماسي"، لأحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي، جمع وتقديم ودراسة، (رسالة دكتوراه)، من إعداد الطالب الباحث: عثمان رحّو، إشراف: د. عبد الله الترغي، جامعة عبد المالك السعدي تطوان، نوقشت في: (٢٠٠١/٠٧/١٣).	(ت.١١٥٦هـ) ودفن بفاس	١٢
٦٥	"تقييد في النفقة على العالِم على من تكون، وهذا إذا لم ينلها من بيت المال ولم يقم بها جماعة المسلمين تصرف له الزكاة، مع نصوص ومراجعات في الموضوع"، لأبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي، وأوله: ((الحمد لله قال شيخنا الفقيه العالم العلامة البحر الفهامة: أبو العباس سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي إلخ...)) في مجموع من ورقة ١١٥/ب ١١٦أ، مسطرته ٢٧، مقاسه ١٤٥X١٩٥، بخط مغربي واضح منقول من خط عبد الرحمن الزلال، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: (٣٤٠٥/١٧٤٣د).	(ت.١١٥٦هـ)	١٢

٦٦	"جواب في أحكام الطاعون"، أبو العباس أحمد بن مبارك ابن علي السجلماسي اللّمطي البكري الصديقي. أولـه: الحمد لله سئل الشيخ الأمـام العلامة الصالح... ممن حل بلادهم، ونزل بهم إلخ... في مجموع من ورقة ٤٩/ب ٥١/ب، مسطرته ٢٣، ومقاسه ١٧٥X٢٢٥، بخط مغربي جيد محلّى بالألوان، بالخزانة الوطنية تحت رقم: ٣٤٠٦/١٨٥٤د، ولم يذكره "بروكلمان". وأشار الدكتور/ عبد العزيز بنعبد الله في كتابه "معلمة الفقه المالكي" طبعة دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م، أن للمطي كتابًا بعنوان: "أجوبة فقهية في أحكام الطاعون" بمكتبة تطوان.	(ت.١١٥٦هـ)	١٢
٦٧	"نوازل الدليمي"، لمحمد بن محمد بن عبد الله الدّليمي أصلًا الدرعي وطنًا، المصدر: مخطوطات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث (مجموعة أبي مدين اليزيد). تقع هذه المخطوطة في مجلد واحد يحمل رقم: ٢ (من الورقة ٢/ب إلى الورقة ٤٥/أ)، وهي نسخة تامة ومحلاة باللونين الأحمر والأخضر، بها تعقيبات وطرر كثيرة ذات فوائد كبيرة.	(ت.١١٦٦هـ)	١٢
٦٨	نوازل محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي المشهور بالورزازي الكبير (ت. ١١٦٦هـ): دراسة وتحقيق، (رسالة دكتوراه) من إعداد الطالب الباحث: عبد العزيز أيت المكي، إشراف الدكتور: حميد لحمر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس - فاس، نوقشت في: (٢٤/٠٣/٢٠١٦م). طبعته ونشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ط١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م	(ت.١١٦٦هـ)	١٢
٦٩	"أجوبة الويداني"، تقديم وتحقيق (رسالة دكتوراه) للباحث: المدني الهرموش، إشـراف: د. عز الدين جوليد، كلية الشريعة بأيت ملول- أكَادير، نوقشت في: (١٧/١٠/٢٠١٤م). وصدر أيضًا عن دار ابن حزم في طبعته الأولى، سنة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، بتحقيق: أبي الفضل الدمياطي أحمد ابن علي.	(ت.١١٦٩هـ)	١٢

٧٠	"مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال"، و"عنوان الشرعة وبرهان الرفعة في تذبيل أجوبة فقيه درعة"، كلاهما لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن السكتاني الكيكي، وقد حقّق النوازل الأولى الأستاذ أحمد التوفيق، ونشرت في بيروت سنة ١٩٩٧م.	(ت.١١٨٥هـ)	١٢
٧١	"أجوبة التاودي ابن سودة"، لأبي عبد الله محمد التاوُدي ابن الطالب بن محمد بن علي بن سُودة ـ بضم السين وفتحها- المُرِّي القرشي النجار، الغرناطي الأصل، ثم الفاسي المنشأ والدار، طبعت على الحجر بفاس أولًا، وقد قامت الطالبة الباحثة: فدوى شاكير بدراستها وتحقيقها في (رسالة ماجستير)، إشراف: د. السعيد بوركبة ، دار الحديث الحسنية، نوقشت في: (٢٠٠٠/٠٢/١٥).	(ت.١٢٠٩هـ)	١٣
٧٢	"أجوبة محمد بن عبد السلام الفاسي"، (رسالة ماجستير) من إعداد: الدكتورة/ سعاد رحائم، إشراف: د. التهامي الراجي، جامعة محمد الخامس- الرباط، نوقشت بتاريخ: ١٩٩٤/٠٤/٢٢.	(ت.١٢١٤هـ)	١٣
٧٣	"ثلاثمائة سؤال وجواب"، لمحمد بن محمد الدوكالي الفاسي ، مخطوط المسجد الأعظم بتازة، رقم: ٤٢٨.	(ت.١٢٤١هـ)	١٣
٧٤	"النوازل"، للمكي بن عبد الله بناني (مفتي الرباط)، أولها: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبذكره تتنزل البركات وتهب النفحات. ورقاتها (٥١)، مسطرتها ٣٩، ومقاسها ٢٢٥x٣٧٥، بخط مغربي جيد، وبآخرها فهرس النوازل، الخزانة العامة بالرباط: ١٨٥٢/٣٤١٨د.	(ت.١٢٥٥هـ)	١٣
٧٥	"أجوبة التُّسُولي"،لأبي الحسن عليّ بن عبد السلام بن عليّ التُّسُولي، السبراري الملقّب بـ "مديدش"، طبع الكتاب طبعة حجرية بفاس دون تاريخ، ثم أعيد نشره على أوفر نسخه المخطوطة بتحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.	(ت.١٢٥٨هـ)	١٣
٧٦	"الأجوبة الروضية عن مسائل مرضية"، لأبي حفص عمر عبد العزيز الكرسيفي، مطبوع ضمن كتاب الأعمال الفقهية، طُبع الكتاب بجمع وتحقيق: الدكتور/ عمر أفَا، ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.	(ت.١٢٧٩هـ)	١٣

٧٧	"أجوبة الشيخ سيدي محمد بن المدني جنون المستاري"، لأبي عبد الله الحاج محمد بن الحاج المدني ابن علي جَنُّون، المَسْتَارِي أصلًا، الفاسي مولدًا وقرارًا، وهي مطبوعة طبعة حجرية.	(ت.١٣٠٢هـ)	١٤
٧٨	"نوازل سيدي المهدي الوزاني الكبرى" المعروفة بـ: "المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب"، لأبي عيسى محمد المهدي بن محمد بن محمد بن خضر بن قاسم العمراني الوزاني الفاسي الوزاني، تحقيق: عمر بن عباد، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.	(ت.١٣٤٢هـ)	١٤
٧٩	"النوازل الصغرى" المسماة: "المنح السامية في النوازل الفقهية"، للفقيه النوازلي العلامة محمد المهدي بن محمد ابن محمد بن خضر بن قاسم العمراني الوزاني الفاسي، طبع الكتاب طبعة حجرية، وأعادت طبعه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م في أربعة أجزاء.	(ت.١٣٤٢هـ)	١٤
٨٠	"النوازل الفقهية"، للعلامة أبي العباس أحمد بن إبراهيم الجريري المعروف بابن الفقيه (شيخ الجماعة بسلا)، وهو كتاب من منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، قام بتحقيقه الأستاذ مصطفى النجار.	(ت. ١٣٥٣هـ)	١٤
٨١	"الأجوبة المرضية عن النوازل الوقتية"، لأبي الشتاء الغازي الحسيني الشهير بالصنهاجي، دراسة وتحقيق (رسالة دكتوراه) للباحث: عبد السلام اجميلي، إشراف: د. عبد الله معصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، نوقشت في: (١٩/٠٣/٢٠١٥م).	(ت.١٣٦٥هـ)	١٤
٨٢	"نتائج الإحكام في النوازل والأحكام"، لأبي العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني (ثلاثة أجزاء)، نشره: الحسن بن عبد الوهاب، (مطبعة الأحرار بتطوان، سنة ١٩٤١).	(ت.١٣٧٣هـ)	١٤

٨٣	"الجواهر الثمينة في تصبير أولاد مدينة"، لأبي العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني. وأول المخطوطة: "اعلم حفظك الله أن محصل مسألة أولاد مدينة مع أولاد الصور ذو العدلين، شهدا بالهبة والحوز، وبيئة أولاد الصور ذو اللّفيفية شهدت بأن مدينة يتصرف في الغرستين ويعتبرهما... ما يعلمونه رفع اعتماره وتصرفه عنها إلى أن توفي". وهي في مجموع من ص: ١ إلى ١٥٩، مسطرتها مقاسها ٢٢٠/١٣٠، بخط المؤلف مغربي متوسط، الخزانة الوطنية تحت رقم: ٣٤٢٩/٢١٦٠د.	(ت.١٣٧٣هـ)	١٤
٨٤	"تحفة النبيل بالصّلاة إيماء في طَامُوبِيل"، لأبي العباس أحمد بن علي بن إبراهيم الكَشْطِي التَّنَاني. طبع الكتاب أولًا سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، بتقديم: مولاي البشير أَعْمُون، ثم طبع بتحقيق: عبد الله بنطاهر ونشره في مجلة "المذهب المالكي"، العدد الثالث عشر (خريف ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص ص: ١٣٥ ـ ١٤٩.	(ت. ١٣٧٤هـ)	١٤
٨٥	"المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية"، جمع وترتيب: العلاّمة الفقيه المختار السوسي، والكتاب أعده: د. عبد الله الدرقاوي، وقدّم له: العلامة محمد المنوني، وهو من منشورات كلية الشريعة بأكَادير، ضمن سلسلة كتب تراثية رقم (١)، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٢٩١ صفحة (دون الفهرس).	(ت.١٣٨٣هـ)	١٤
٨٦	"الأجوبة الرشيدية في حل النوازل الفقهية والمعاملات المعاصرة"، للفقيه رشيد بن الفقيه محمد الشريف العلمي، المولود سنة ١٩٣٤م، وقد طبعت "الأجوبة" بالمغرب أول مرة ٢٠٠٤م.	(ت.١٩٣٤)	١٥

المطلب الثاني:

قراءة وصفية تحليلية للتأليف النوازلي بالغرب الإسلامي من خلال معطيات الاستبانة

إنّ الحديث عن النّوازل التّطبيقيّة هو حديثٌ عن حصيلة فقهيّة، لمئات الفتاوي والأجوبة والأحكام تحكي ظروفًا سياسيّة، واجتماعيّة، وتاريخيّة، واقتصاديّة متناثرة بين أبواب الفقه، لتُبرز لنا الخصوصيّة والسّعة والمرونة والواقعيّة التي ميّزت المدرسة المغربيّة المالكيّة، كما تُبرز بوضوح وجاهة فقهاءه ونوازلييه بما ألّفوا وجمعوا واستنبطوا وأصّلوا.

لقد عرف التّدوين النّوازلي بالغرب الإسلامي عمومًا جملة من المراحل قسّمها **محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي** (ت. ١٣٧٦هـ) إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تمتدُّ عبر القرنين الثاني والثالث، وهي أزهى عصور الفقه الإسلامي من حيث التّفكير والإبداع.

الثانية: وتمتدُّ من القرن الرابع إلى السابع، وقد توقّف تطوُّر الفقه الإسلامي فيها بإغلاق باب الاجتهاد، ولكن توسع كثيرًا من حيث التدوين، وظهرت النوازل فرعًا مستقلًّا من فروع الفقه، يغلب عليها طابع الاجتهاد المذهبي الذي قلّ في المؤلفات الفقهيّة الأخرى.

الثالثة: وهي ابتداء من القرن الثامن إلى وقتنا الحاضر.

وقد تميّزت كل مرحلة من هذه المراحل بصبغة خاصة، تؤكّد التّطوُّر الذي عرفه الفقه، وتُبيّن المستجدّات التي تقع في المجتمع فيواكبها الفقه بأحكامه، قال الحجوي - وهو يتحدّث عن الأطوار التي مرّ منها الفقه-: **((وفي هذا العصر- يعني أواخر القرن الثاني الهجري- امتدّ الإسلام وكثرت الفتوح واتّسعت المملكة الإسلامية من الهند إلى الأندلس، واختلطت بأمم كثيرة دخلت فيه أفواجًا، كفارس والروم، ودخلت الحضارة والرّفه الفارسي والرومي للعرب فكثرت النّوازل وظهر الفقهاء المفتون والقضاة العادلون، فصار للفقه مكان واعتبار... فنزلت النوازل، وظهرت جزئيات النُّصوص التي كانت كامنة بين العموم والخصوص، فاجتهد الفقهاء واستنبطوا الآراء، وأسّسوا المبادئ وقعّدوا القواعد...))**[٢٤].

والذي يُستفاد من هذا النص: أن هذه النوازل والفتاوى بالغرب الإسلامي لم تُدوّن في كتب خاصة مع تلامذة الإمام مالك من الأئمة الكبار، **مثل: يحيى بن يحيى الليثي، وزياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون، والغازي بن قيس، وعبد الرحمن بن دينار، وأخيه عيسى بن دينار** وأبنائهم وحفدتهم الذين توارثوا الرياسة والفقه في الأندلس أجيالًا عديدة، فكانوا ملء سمع الأندلس وبصرها؛ إذ لم يكن منهجهم متّجهًا إلى هذا النوع من التأليف إلا أنه كان يُنقل ويُحكى بالرواية والسّند من خلال استنباطاتهم واجتهاداتهم في المسائل والحوادث، فينقله العلماء في كتبهم وفهارسهم وتدويناتهم الفقهية.

ومن ناحية أخرى نجد في "مدوّنة" الإمام مالك مثلًا ضالّتنا؛ فهو أقدم كتابٍ وصلنا في المذهب بعد "الموطأ"، واستناده على إجابات ابن القاسم المصري (ت. ١٩١هـ) بما كان سمعه من صحبته للإمام مالك بن أنس (ت. ١٧٩هـ)، وأسئلة سحنون التّنوخي (ت. ٢٤٠هـ)، وقبله سماعات أسد بن الفرات (ت. ٢١٣هـ)، يؤكّد

الاهتمام بالأجوبة والقضايا الحادثة والطارئة في المجتمع، وكذلك الأمر بالنسبة "للمستخرجة من الأسمعة"، أو "العتبية"، لمحمد بن أحمد ابن عبد العزيز العتبي القرطبي (ت. ٢٥٤هـ)؛ إذ إن "المستخرجة" هي: ((عبارة عن حصرٍ شاملٍ لمعلومات فقهيَّة يرجع معظمها لابن القاسم العتقي، عن مالك بن أنس، وهي برواية من جاؤوا بعده مباشرة، كما أنها تشتمل على آراءٍ فقهيَّةٍ لتلاميذ مالك وخلفائه، وقد أدرج المؤلف هذه الآراء ضمن مجموعة مسائله دون أن يكون له حق الرواية))[١٢٢].

فالمستخرجة - إذًا- هي: ((**سماعات أحد عشر فقيهًا**))، وقد جمع فيها الروايات المطروحة، والمسائل الشاذَّة، وكان **العُتبي** حافظًا للمسائل، جامعًا لها، عالمًا بالنَّوازل، وقد أسهم **أبو الوليد ابن رشد (الجد)** في إعادة الاعتبار إلى هذا الكتاب بعد أن شرحه وفكَّ رموزه وأسراره، وأوّل رواياته في موسوعته الفقهية **"البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل"**[١٢٣].

وإذا كانت هذه الكتب تتميَّز بجمعها الآراء والأحكام الفقهية والمسائل الفقهية، فإنَّها بتناولها للسماعات والإجابات تُعتبر تدوينًا غير مباشر للنَّوازل الفقهيَّة بما حكته من قضايا ووقائع شملت مناحي الحياة وأنماطها وتغيُّراتها.

أما الكتب التي تناولت النوازل بشكل موضوعي في مراحله الأولى، فنجدها بداية من القرن الثالث الهجري، كالنوازل المنسوبة **لعبد الرحمن بن دينار القرطبي** (ت. ٢٢٧هـ)، **ولعبد السلام سحنون القيرواني** (ت. ٢٤٠هـ)، **وابنه محمد بن سحنون** (ت. ٢٥٦هـ).

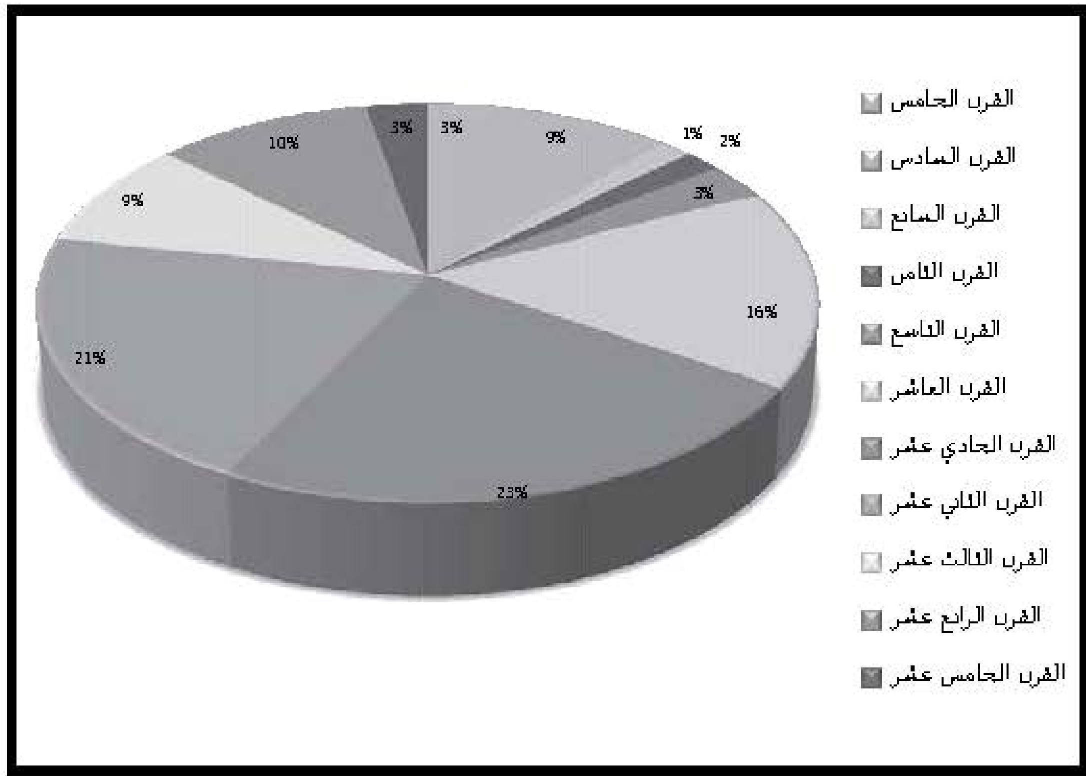
أما في المرحلة الثانية: فقد ألِّفت أهمّ الكتب الأمَّهات، وأعظم الموسوعات، وتنافست المذاهب في هذا التسابق العلمي، مما أدَّى إلى تضخُّم كتب الفقه كثيرًا، وتشابك فروعها، واستطراداتها، وأصبح من العسير أن تُستخرج منها مباشرة المسائل الجزئيَّة التي قد يحتاج إليها؛ لذلك ظهرت في هذه المرحلة كتب النوازل كفرع مستقلٍّ من المؤلفات الفقهيَّة، لا تشتمل إلَّا على المسائل التي حدثت بالفعل، ولا تتناول من المادة الفقهيَّة إلا ما يتعلَّق بهذه المسائل من أحكامٍ، مع ترك هامشٍ مهمٍّ فيها لاجتهاد المفتي داخل فقه مذهبه، ليراعي ظروف النازلة والملابسات المحيطة بها، والأعراف الخاصة التي تلزم مراعاتها. وبذلك ظلَّت النوازل مستجيبة لمتطلبات حياة المسلمين المتغيرة حسب الظروف والأقاليم، وحسب ما يطرأ فيهم من مستجدَّات[١٢٤].

وقد كان لهذه النقلة الكبرى لحركة تدوين النوازل الفقهيَّة الأثر البالغ في نقل هذه الفترة الزمنيَّة الجامدة من مرحلة الحضيض العلمي إلى قمَّة النُّضوج الفقهي؛ حيث تجلَّى ذلك من خلال بروز كوكبة من الفقهاء القضاة والمفتين الذين استطاعوا إبراز الحكم الشرعي في آلاف المسائل المعضلة من خلال الإلحاق على ما ثبت حكمه بالدليل النَّصِّي.

بينما عرفت المرحلة الثالثة الممتدَّة من القرن الثامن الهجري حالة ضَعف كان لها أثر على تدوين النَّوازل الفقهيَّة، وظهر هذا جليًا في نوازل الأندلسيين، بسبب الاضطرابات السياسية المتلاحقة حتى سقوط غرناطة سنة (٨٩٧هـ)، وانتهت دولة الإسلام بالأندلس[١٢٥].

ومن أجل تقريب صورة التأليف النوازلي بالغرب الإسلامي والأندلس عمومًا، أنجزنا هذه الاستبانة لتجمل لنا النظرة العامة التي طبعت هذا الموضوع الدقيق والشائك عبر التاريخ الإسلامي المديد.

استبانة توضِّح نِسب تأليف كتب النوازل بالمغرب
(من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الهجري)



استنتاج:

يتبيَّن من خلال هذه الاستبانة أن نسبة تأليف كتب النوازل تفاوتت من قرن لآخر، غير أنها عرفت ارتفاعًا ملحوظًا وكبيرًا خلال القرن الحادي عشر الذي احتلَّ أكبر نسبة مئوية، ويليه القرن الثاني عشر، ثم العاشر، وهو ما يجعلنا نحكم على أن عصر الدولة السعدية والعلوية في بلد المغرب شهد ازدهارًا معرفيًا وحركة علمية بارزة وطفرة نوعية مهمة في مضمار الكتابة والتأليف في هذا المجال.

بعد هذه الومضات عن فقه النوازل ومسيرته وأهميته في تاريخ المغاربة وتراثهم العريق، نصل إلى تقرير بعض الحقائق في خاتمة هذا البحث، ونجمل أهم ما توصَّلنا إليه من خلال هذا البحث والدراسة والتحليل في نقاط تشمل ما خلصنا إليه من نتائج في الموضوع، وبيانها في الآتي:

١- يُعدُّ فقه النوازل من أهمِّ فروع الفقه الإسلامي؛ لدوره الكبير في بيان أحكام الشريعة الإسلامية المرتبطة بواقع الحياة في جميع مجالاتها؛ إذ يكمن دوره في تنزيل أحكام الشريعة على الواقع الحياتي ليصبغه بصبغتها، ويجري عليه أحكامها.

٢- تتميَّز النازلة بثلاثة أمور وهي:

أولًا: الوقوع: أي الحلول والحصول لا الافتراض.

ثانيًا: الجدة: وهي التي لم يسبق وقوعها، ولم

يرد فيها نص أو اجتهاد مسبق.

ثالثًا: الشدة: أن تكون مُلحّة من جهة النظر الشرعيّ.

٣- فقه النوازل باعتباره لقبًا يعني: **((العلم الذي يعنى بالبحث والتنقيب عن الحلول والأجوبة الشرعية الملائمة للمستجدات والحوادث التي تنزل بالناس والتي يرد فيها نص أو سبق اجتهاد))**.

٤- هناك مصطلحات عديدة تطلق على النوازل منها: **الأجوبة، والمستجدات، والمسائل، والفتاوي، وغيرها**.

٥- تكتسب كتب النوازل أهمية كبيرة في مجالات مختلفة، كالمجال الفقهي، والتَّديّني، والتَّأريخي، والاجتماعي، والاقتصادي، وغيرها.

٦- استند الفقهاء عند الإجابة عن النَّوازل المعروضة عليهم وبيان حكمها إلى قواعد وضوابط فقهية وأدلة أصولية، **كالعرف، وسد الذرائع، والحكم بالقرائن وغالب الظن**.

٧- حضي فقه النَّوازل بأهمية كبيرة عند الفقهاء المغاربة إلا أن نسبة التأليف في هذا الفن تفاوتت في بلاد المغرب الأقصى خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر.

وختامًا نقول: إن أهمية تتبُّع ودراسة كتب النوازل الفقهية عند الفقهاء المغاربة، سواء بالأندلس أو بالغرب الإسلامي خاصة، ينبع من كمّ المؤلفات التي جُمعت ودوّنت من طرف فقهاء المالكيَّة بهذه المنطقة من العالم، والتي لا يزال الكثير منها حبيس رفوف المكتبات ينتظر من يقوم بتحقيقه أو جمعه في مؤلف خاص وَفق المنهجية العلمية والفنية التي اشتغل عليها عدد من الباحثين المعاصرين المدققين، من خلال جمعهم لفتاوى فقهاء معينين، كفتاوى **ابن أبي زيد القيرواني، وأبي الحسن اللخمي** وغيرهما، فضلًا عن القضايا الأخرى التي يمكن الرجوع إليها والاشتغال عليها ضمن هذه المصنفات، كمراعاة التقعيد المقاصدي في استنباط الأحكام للنازلة، والتأصيل لفهم الواقع، وغيرها من الأصول التي تمكّن البحوث والدراسات المستقلة من الوقوف عليها، وكذلك دراسة الجوانب التاريخية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والحضارية وغيرها التي تحتوي عليها.

إن كتب النوازل في التراث المالكي المغربي خلال القرون الماضية تُعدُّ اليوم من الذخائر النفيسة التي لا يُستغنى أبدًا عن الإفادة منها في تبيُّن معالم منهج الفقهاء المالكية في استنباط الأحكام وكيفية تنزيلها على وقائع الناس المختلفة؛ ولذلك عُرف العالم النوازلي في الغرب الإسلامي **بالعالم المجتهد** الذي فاق غيره حالة كونه مالكًا لقدرٍ كبيرٍ من التجارب العملية؛ **مما جعل علماء النوازل بالغرب الإسلامي قلّة بالنظر إلى غيرهم من المفتين**.

والله المستعان، والحمد لله ربّ العالمين.

الحواشي

١- انظر: الرسالة، للشافعي، ص: ٢٩، وفتاوى ابن رشد، (٢ /٧٦١).

٢- سورة طه، الآيات: ٢٧-٢٨.

٣- سورة هود، الآية: ٩١.

٤- سورة النساء، الآية ٧٨.

٥- معجم مقاييس اللغة، مادة: "فقه"، (٤٤٢/٤)، ويراجع في بيان معنى "الفقه" أيضًا: لسان العرب، مادة "فقه"، (٣٤٥٠/٥)، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة: "فقه"، ص: ١٢٥٠.

٦- ملحوظة: يذكر البعض مصطلح "المكتسبة" بدل "المكتسب"، وهو لفظ مرجوح؛ لأن "المكتسب" صفة للعلم لا الأحكام على التحقيق.

٧- الإبهاج في شرح المنهاج (٢٨/١)، وهو عين ما قاله الزركشي في كتابه: البحر المحيط (١٥/١)، والإسنوي في: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، ص: ٥٠.

٨- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، (١٦٣/١).

٩- المرجع السابق، (١/ ١٦٣).

١٠- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، (١٧/١).

١١- مادة (نزل)، (٦٥٨/١١).

١٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (٩١٥/٢).

١٣- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (٤٧/٩)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

١٤- لسان العرب (٤٤٠١/٦)، وكتاب العين مرتبًا على حروف المعجم، للفراهيدي (٢١٣/٤)، ترتيب: عبد الحميد هنداوي.

١٥- معجم متن اللغة، أحمد رضا، (٤٤٢/٥).

١٦- انظر: مادة (نزل)، الصّحاح، (١٨٢٩/٥)، ويراجع كذلك: معجم مقاييس اللغة، مادة (نزل)، (٤١٧/٥)، ولسان العرب، مادة (نزل)، (٤٤٠١/٦)، والمصباح المنير، للفيومي، مادة (نزل)، ص ٣٠٩، وتاج العروس، للزبيدي، مادة (نزل)، (٤٨٢/٣٠).

١٧- رد المحتار على الدُّر المختار، (٦٩/١).

١٨- المرجع السابق، (٦٩/١).

١٩- فقه النوازل: دراسة تطبيقيّة تأصيليّة، لمحمد بن حسن الجيزاني، (٢١/١).

٢٠- الوقائع: تُطلق على كل واقعة مستجدة كانت أو غير مستجدة، ثم إن هذه الواقعة المستجدة قد تستدعي حكمًا شرعيًا وقد لا تستدعيه، بمعنى: أنها قد تكون ملحّة وقد لا تكون ملحّة.

٢١- انظر: الأم، (٢٠٥/١)، ومجموع الفتاوى، (١٥٥/٢١)، وشرح فتح القدير، (٤٣٥/١)، وحاشية ابن عابدين، (١١/٢).

٢٢- الأم، (٢٠٥/١).

٢٣- مقدمة الفقه المالكي، لعبد العزيز بن عبد الله، ص ١٨.

٢٤- فقه النوازل، (٩/١).

٢٥- انظر: سبل الاستفادة من النوازل والفتاوى والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة ، ص٩.

٢٦- المدخل إلى فقه النوازل، بحث منشور ضمن كتاب "بحوث في دراسات فقهية في قضايا فقهية معاصرة"، (٦٠٢/٢).

٢٧- معجم لغة الفقهاء، (٧٥/٢).

٢٨- انظر: فقه النوازل: دراسة تأصيلية تطبيقية، (٢٤/١).

٢٩- يشغل أستاذًا للتاريخ والحضارة بكلية التربية جامعة عين شمس.

٣٠- انظر: كتب النوازل مصدرًا للدراسات التاريخية والقانونية بالمغرب والأندلس، مجلة البيان، العدد (٢٨٤)، ١٤٣٢هـ، ص١٢٢.

٣١- انظر: فقه النوازل، لمحمد الجيزاني، (٢٢/١).

٣٢- انظر: معجم لغة الفقهاء، ص ٤٧١.

٣٣- انظر: فقه النوازل، ص ٨.

٣٤- انظر: رسالتان في اللغة، أبو الحسن الرماني (٨١/١).

٣٥- التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي: من البداية

إلى عصر الونشريسي، مجلة الحكمة، العدد الثاني عشر، ٢٠١٢م، ص ٢٢٥.

٣٦- انظر: فقه النوازل لدى علماء المغرب: الحقائق- الخصائص- الآثار، مجلة الإبصار، فبراير ٢٠١٣م، ص ٢٣.

٣٧- فقه النوازل في المذهب المالكي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بن طفيل- القنيطرة، ١٤ مارس ٢٠٠١م.

٣٨- انظر: سبل الاستفادة من النوازل والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، المحفوظ بن بَيَّه، مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، ع (١١)، ص: ٥٣٣ بتصرف.

٣٩- انظر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، عمر الجيدي، ص ١٢٨.

٤٠- انظر: مسالك التأليف في فقه النوازل بالغرب الإسلامي، مجلة الذخائر، العددان (١١-١٢)، ١٤٢٣هـ، ص ٢٠.

٤١- انظر: التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي: من البداية إلى عصر الونشريسي (٩١٤هـ)، مجلة الحكمة، ع١٢، ٢٠١٢، ص٢٢٥.

٤٢- لسان العرب، (٢٨٣/١).

٤٣- انظر: مناهج كتب النوازل بالمغرب والأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، محمد الحبيب الهيلة، مشاركة في ملتقى مؤسسة الفرقان، ص ٢١٨.

٤٤- لسان العرب، مادة: (حدث)، (٣١/٢).

٤٥- لسان العرب، مادة: (حدث)، (٧٩٧/٢).

٤٦- قواعد الفقه، (٢٦٩/١).

٤٧- النوازل الفقهية المالية من خلال كتاب "المعيار المعرب" للونشريسي، محمد بن مطلق الرميح، رسالة ماجستير في الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص ٣٠.

٤٨- لسان العرب (٣١٩/١١).

٤٩- ومن الكتب التي عنونت بهذا المصطلح: "المسألة الإمليسية في الأنكحة الإغريسيَّة"، لأبي سالم الجُلالي، و"ثلاثمائة سؤال وجواب"، لمحمد بن محمد الدوكالي الفاسي.

٥٠- انظر: مناهج كتب النوازل، ص: ٢١٨.

٥١- لسان العرب، مادة (وقع)، (٤٨٩٥/٦).

٥٢- رد المحتار على الدر المختار، (٦٩/١).

٥٣- انظر: المعاملات المالية المعاصرة، محمد عثمان شبير، ص ١٢- ١٣.

٥٤- انظر: النوازل الفقهية المالية من خلال كتاب "المعيار المعرب" للونشريسي، مرجع سابق، ص ٢٩.

٥٥- لسان العرب (١٤٧/١٥).

٥٦- انظر: شرح منتهى الإرادات، (٤٨٣/٣)، وكشاف القناع (٣٠٥/٦)، وإعلام الموقعين (١٦٤/١)، ومعالم في أصول الفقه عند أهل السنة، ص ٥١٢.

٥٧- لسان العرب (١٤٧/١٥).

٥٨- مباحث في أحكام الفتوى، عامر سعيد الزيباري، ص ٣٢.

٥٩- مناهج كتب النوازل، ص ٢١٨.

٦٠- انظر: مستجدَّات العصر ومظاهر التَّكامل المعرفي في التَّعامل الفقهي، أ.د. عبد الله الزبير عبد الرحمن، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة، مركز بحوث القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويّة، أبحاث المؤتمر العلمي العالمي الثاني حول "التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الكون"، من: ٦- ٨ يناير ٢٠٠٩م الموافق: ٩-١١ المحرّم ١٤٣٠هـ، ص٤.

٦١- مستجدات فقهية في قضايا الزواج والطلاق، أسامة عمر سليمان الأشقر، ص ٢٧.

٦٢- المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل، لأبي بكر بن عبد الله أبو زيد، (٩١٩/٢).

٦٣- المدخل إلى فقه النوازل، لأبي البصل، (٦٣٨/٢) بتصرف.

٦٤- لسان العرب (١٤١/١٢).

٦٥- إحكام الأحكام، للآمدي (١٣٦/١).

٦٦- انظر: مناهج كتب النوازل، ص: ٢١٨.

٦٧- فقه النوازل عند علماء القرويين وأثره في الحركة الاجتهادية، أمينة مزيغة، ص٢٩١.

٦٨- طُبع للمرة الأولى بتحقيق: الدكتور/ محمد الحبيب الهيلة، ونشرته دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة ٢٠٠٢م، في سبعة مجلدات، وخصّص الجزء الأخير للفهارس العامة.

٦٩- فقه النوازل عند علماء القرويين، لمزيغة، ص ٢٩٠ بتصرُّف، وانظر أيضًا: العرف والعمل، لعمر الجيدي، ص ٣٤٨، وسبل الاستفادة من النوازل والفتاوى والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، للزحيلي، ص٩.

٧٠- لسان العرب، مادة (شكل)، (٣٥٧/١١).

٧١- انظر: ص٣٩٢.

٧٢- لسان العرب، مادة (نزل)، (١٨٢٩/٥).

٧٣- قام بدراسته وتحقيقه: ذ. عبد العزيز أيت المكي، وتولّت طبعه ونشره، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

٧٤- فقه النوازل في الغرب الإسلامي، حوار الدكتور/ محمد بن إدريس العلمي والدكتور/ محمد التمسماني على هامش الندوة التي نظمتها شعبة الدراسات الإسلامية ووحدة الدراسات المنهجية الشرعية في الغرب الإسلامي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة ابن طفيل - القنيطرة، في موضوع: "فقه النوازل في الغرب الإسلامي تاريخًا ومنهجًا"، الأربعاء ١٤ مارس ٢٠٠١م. انظر الموقع التالي: http:// articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id=2630

٧٥- الأصول التي استند إليها أبو العباس الونشريسي في فتاوى المعيار المعرب، عفيفة خروبي، ندوة "المدرسة المالكية الجزائرية"، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر، ١٤-١٥-١٦ أفريل ٢٠٠٩م، ص٤٩٧.

٧٦- فقه النوازل عند علماء القرويين وأثره في الحركة الاجتهادية، ص: ٣٠٠.

٧٧- المرجع السابق، ص: ٣٠٦.

٧٨- أهمية النوازل في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية، مجلة دعوة الحق، العدد ٣١٦، رمضان ١٤١٦هـ.

٧٩- وذلك من خلال إعدادها لرسالة الدكتوراه في إحدى الجوانب المهمة عن المرأة المغربية ومكانتها من خلال نوازل "المعيار المعرب"، للونشريسي (رحمه الله تعالى).

٨٠- أوضاع المرأة بالغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي، ص: ١٨.

٨١- النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص:٨٤.

٨٢- النوازل الفقهية وإشكالية المنهج، مجلة "بصمات"، العدد السادس، ٢٠١٥، ص ١٥٥.

٨٣- المعيار المعرب، (١/١).

٨٤- انظر: أهمية كتب الفقه في الدراسات التاريخية: كتاب المعيار للونشريسي نموذجًا، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الثامن، مارس ٢٠١٥م، ص ص: ٦٣- ٦٤ بتصرف.

٨٥- فقه النوازل عند علماء القرويين، مرجع سابق، ص ٢٩٢.

٨٦- أهمية النوازل في الدراسات الفقهية والاجتماعية والتاريخية، مجلة دعوة الحق، ع ٣١٦، رمضان ١٤١٦ بتصرف.

٨٧- المرجع السابق، نفس المكان.

٨٨- انظر: التاريخ المغربي ومشكل المصادر: نموذج النوازل الفقهية، لمحمد مزين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد الثاني، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ص ص: ١٠٦-١٠٧ بتصرّف.

٨٩- النص النوازلي للغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص: ٨٣.

٩٠- المرجع السابق، ص: ٨٤.

٩١- يراد بالتسلسل الزمني: تحديد الأحداث حسب التسلسل الزمني لها.

٩٢- التاريخ المغربي ومشكل المصادر، محمد مزين، مرجع سابق، ص: ١٠٦-١٠٧ بتصرف.

٩٣- النص النوازلي للغرب، مرجع سابق، ص: ٩٢.

٩٤- المرجع السابق، ص: ٩٤.

٩٥- أهمية كتب الفقه في الدراسات التاريخية، مرجع سابق، ص: ٦٤.

٩٦- فِرَقُ العمل العلميَّة في الحضارة الإسلامية، محمد فؤاد علي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٦٣٩)، ذو القعدة ١٤٣٩هـ - يوليو ٢٠١٨م، ص: ٥٩ - ٦٠ بتصرف.

٩٧- أهمية كتب الفقه في الدراسات التاريخية، محمد زاهي، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الثامن، مارس ٢٠١٥م، ص: ٦٥ بتصرف.

٩٨- المرجع السابق، ص: ٦٧.

٩٩- نفسه، ص: ٦٦.

١٠٠- انظر: مسالك التأليف في فقه النوازل بالغرب الإسلامي، مصطفى الصمدي، مجلة الذخائر، العدد الحادي عشر والثاني عشر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٢١.

١٠١- هو فرج بن قاسم بن أحمد بن لُبٍّ، أبو سعيد التَّغلبي الغرناطي: نحوي، من الفقهاء العلماء، انتهت إليه رياسة الفتوى في الأندلس، وليَ الخطابة بجامع غرناطة... من مؤلفاته: "الباء الموحدة"، و"الأجوبة الثمانية"، و"أرجوزة في الألغاز النحوية"، وغيرها. توفي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- سنة (٧٨٢هـ). انظر في ترجمته: الأعلام، للزركلي، (١٤٠/٥).

١٠٢- المعيار المعرب، (٣٥/٦).

١٠٣- انظر: شرح القواعد الفقهية، لأحمد الزرقا، ص: ٢٣٧.

١٠٤- انظر المرجع السابق، ص: ٢١٩.

١٠٥- وهذه القاعدة من فروع قاعدة: ((العادة محكَّمة)).

١٠٦- هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، ويكنى: أبا عبد الله، وهو إمام أهل إفريقية وما وراءها من المغرب، وصار الإمام لقباً له. نزل المهدية من بلاد إفريقية، وأصله من "مازر"، وهي مدينة في جزيرة صقلية على ساحل البحر، أخذ عن اللخمي وأبي محمد: عبد الحميد السوسي وغيرهما من شيوخ إفريقية. ألَّف في الفقه والأصول، وشرح كتاب مسلم، وكتاب التلقين للقاضي أبي محمد عبد الوهاب. توفي سنة (٥٣٦هـ) انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون، (٢/ ٢٥٠).

١٠٧- المعيار المعرب، (٥٨/٦).

١٠٨- انظر: شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، للمنجور، (٢/ ٤٨٩).

١٠٩- انظر المرجع السابق، (٢/ ٤٨٩).

١١٠- هو الشيخ الإمام الحافظ البارع المجود أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خلف، الأندلسي، المالقي، ابن الفخار، ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة. سمع شريح بن محمد الرعيني، وأبا جعفر البطروجي، والقاضي أبا بكر بن العربي، وأبا مروان بن مسرة، ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن القرشي، وطبقتهم... كان صدرًا في الحُفَّاظ، مقدمًا، معروفًا

بسرد المتون والأسانيد، مع معرفة بالرجال وحفظ للغريب... وكان موصوفًا بالورع والفضل، مسلمًا له في جلالة القدر، ومتانة العدالة، طلب إلى حضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه بها، فتوفي هناك في شعبان سنة تسعين وخمسمائة.

انظر: التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبّار البلنسي، (٢/ ٦٩)، وسير أعلام النبلاء، (٢١/ ٢٤١-٢٤٢).

١١١- بائع الحنطة: أي القمح.

١١٢- المعيار المعرب، (٦/ ٢٢٢).

١١٣- أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، (١٠/ ٢٥٢)، رقم: (٢١٧٣٣)، وقال عنه الإمام النووي: ((حديث حسن رواه البيهقي وغيره هكذا، وبعضه في الصحيحين)) انظر: الأربعون النووية، ص: ٩٩.

والحديث يمثّل قاعدة فقهية. انظر: شرح القواعد الفقهية، للزرقا، ص: ٣٦٩.

١١٤- انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (٥/ ١١٤).

١١٥- الزّفت: مادة سوداء، لزجة، تُستخرج من تقطير المواد القطرانية، وتُخلط بحجارة صغيرة كي تُستخدم في تبليط الشوارع والأزقة والطرق والممرات، ونحوها، وهي ما يُعرف بـ: القار والقير.

١١٦- المعيار المعرب، (٦/ ٢٠٢).

١١٧- انظر معنى القاعدة ومتعلقاتها في: شرح تنقيح الفصول، للقرافي، ص: ٤٤٨، وتقريب الوصول، لابن جزي، ص: ١٩٢، والبحر المحيط، للزركشي، (٤/ ٣٨٢).

١١٨- سورة المائدة، الآية: ٢.

١١٩- انظر: شرح المنهج المنتخب، للمنجور، (١/ ١١٠).

١٢٠- انظر: شرح تنقيح الفصول، ص: ٤٤٨، وتقريب الوصول، لابن جزي، ص: ١٩٢، والبحر المحيط، (٨/ ٣٨٥).

١٢١- انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة إدارة المعارف بالرباط، ١٣٤٠هـ، وكمل بمطبعة البلدية بفاس، ١٣٤٥هـ، (٢/٢).

١٢٢- انظر: جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية، مبارك جزاء الحربي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (الكويت)، العدد الرابع والستون، المجلد الواحد والعشرون، السنة الحادية والعشرون، مارس ٢٠٠٦، ص٢١٢.

١٢٣- انظر: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، محمد بن حسن شرحبيلي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط. الأولى، ٢٠٠٠-١٤٢١هـ، ص٣٠٧.

١٢٤- انظر: جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية، مرجع سابق، ص١٢٦.

١٢٥- لمزيد من التفصيل انظر: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الجزء الثاني، وبحث: جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية، مرجع سابق.

المصـادر والمراجع

- مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي برواية حفص عن عـاصـم.

أولاً: الكتب والموسوعات:

١- إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون (ت٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث - القاهرة (بدون بيانات).

٢- أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: السنن الكبرى، مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد، ط. الأولى ١٣٤٤هـ.

٣- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني (ت. ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، حقّقه: أنور الباز وعامر الجزّار، دار الوفاء - المنصورة، ط. الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط. الأولى ١٩٨٧م.

٥- أحمد بن علي المنجور (ت.٩٩٥هـ)، شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، دراسة وتحقيق: محمد الشيخ محمد الأمين، دار عبد الله الشنقيطي (بدون بيانات).

٦- أحمد بن فارس بن زكريا (ت.٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، حققه: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧- أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - بيروت، (بدون بيانات).

٨- أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجّي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ودار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٩- أحمد رضا: معجم متن اللغة، مكتبة الحياة - بيروت، [د. ط]، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

١٠- أحمد محمد الزَّرقا (ت.١٣٥٧هـ)، شرح القواعد الفقهية، صحَّحه وعلَّق عليه: مصطفى أحمد الزَّرقا، دار القلم - دمشق، ط. الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١١- إسماعيل بن حماد الجوهري (ت.٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط. الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٢- بكر بن عبد الله أبو زيد، فقه النوازل (قضايا فقهية معاصرة)، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٣- جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة، مركز بحوث القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويّة: أبحاث المؤتمر العلمي العالمي الثاني حول "التكامل المعرفي بين علوم الوحي وعلوم الكون"، ٦- ٨ يناير ٢٠٠٩م/٩-١١ المحرّم ١٤٣٠هـ.

١٤- الحسن العبَّادي: فقه النَّوازل في سوس: قضايا وأعلام، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، ط. الأولى ١٤٢٠هـ.

١٥- خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت. ٥٧٨هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، اعتنى به: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط. الثانية، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.

١٦- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. ١٧٠هـ / ٧٨٦م): كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم، رتّبه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٧- خير الدين الزركلي (ت. ١٣٩٦هـ): الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ط. الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

١٨- زهور أربوح: أوضاع المرأة بالغرب الإسلامي من خلال نوازل "المعيار" للونشريسي: دراسة فقهيَّة اجتماعيَّة، دار الأمان - الرباط، ط. الأولى١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٩- شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت.٦٨٤هـ)، شرح تنقيح الفصول، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط. الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢٠- عبد العزيز بنعبد الله، معلمة الفقه المالكي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢١- علاء الدين علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت. ٨٨٥ هـ): التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، تحقيق: عبد الرحمن الجبرين وآخران، مكتبة الرشد - الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٢- علي بن إسماعيل ابن سيده، أبو الحسن (ت. ٤٥٨هـ - ١٠٦٦م): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط. الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٣- علي بن عبد الكافي السبكي: الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٤- كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة ابن طفيل - القنيطرة: حوار الدكتور/ محمد العلمي مع الدكتور/ محمد التمسماني حول "فقه النوازل في الغرب الإسلامي" على هامش الندوة التي نظمتها شعبة الدراسات الإسلامية ووحدة "الدراسات المنهجية الشرعية في الغرب الإسلامي" في موضوع: "فقه النوازل في الغرب الإسلامي: تاريخًا ومنهجًا"، الأربعاء ١٤ مارس ٢٠٠١م.

٢٥- كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت.٦٨١هـ)، شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت [بدون بيانات].

٢٦- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار المعارف - مصر، ط. الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢٧- محمد الحبيب الهيلة: مناهج كتب النوازل بالمغرب والأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، مؤسسة الفرقان - لندن، ط. الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م.

٢٨- محمد أمين بن عبد العزيز عابدين (ت.١٢٥٢هـ)، رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر- بيروت، ط. الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٩- محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ابن الأبّار (ت.٦٥٨هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهرّاس، دار الفكر للطباعة - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٠- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت.٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣١- محمد بن إدريس الشافعي (ت. ٢٠٤هـ)، الرسالة، حققه: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي - القاهرة، ط. الأولى، ١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م.

٣٢- محمد بن إدريس الشافعي، الأم، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٣هـ.

٣٣- محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي (ت. ١٣٧٦هـ): الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، مطبعة إدارة المعارف بالرباط، ١٣٤٠هـ، وكمل بمطبعة البلدية بفاس، ١٣٤٥هـ.

٣٤- محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت.٧٩٤هـ) البحر المحيط في أصول الفقه، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

٣٥- محمد بن حسن الجيزاني، فقه النوازل: دراسة تطبيقية تأصيلية، دار ابن الجوزي، ط. الثانية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٦- محمد بن حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط. الأولى، ٢٠٠٠ - ١٤٢١هـ.

٣٧- محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الملقّب بـ "مرتضى الزَّبيدي": تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية [بدون بيانات].

٣٨- محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت.٧٤١ هـ)، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط. الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٩- محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت. ١٢٥٠هـ): إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي - بيروت، ط. الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤٠- محمد بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي (ت.٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، حققه: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط. الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٤١- محمد بن مكرم ابن منظور (ت. ٧١١هـ - ١٢١١م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف - القاهرة [د. ت].

٤٢- محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت.٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط. الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤٣- محمد رواس قلعة جي، حامد صادق قنيبي، قطب مصطفى سانو: معجم لغة الفقهاء (عربي - انجليزي - فرنسي)، دار النفائس - بيروت - لبنان، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٤- محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: قواعد الفقه، الصدف ببلشرز- كراتشي، ١٤٠٧ - ١٩٨٦م.

٤٥- محيي الدين يحيى بن شرف النووي، أبو زكريا (ت.٦٧٦هـ): الأربعون النووية، عُنِيَ بِهِ: قُصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع - بيروت، ط. الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٦- مركز دراس بن إسماعيل التابع للرابطة المحمدية للعلماء: جهود علماء القرويين في خدمة المذهب المالكي: الأصالة والامتداد، سلسلة ندوات ومؤتمرات (١)، ط. الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.

٤٧- وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر، بحوث ندوة "المدرسة المالكية الجزائرية"، ١٤- ١٥- ١٦ أفريل ٢٠٠٩م.

٤٨- وهبة الزحيلي، سبل الاستفادة من النوازل والفتاوى والعمل الفقهي في التطبيقات المعاصرة، دار المكتبي - دمشق، ط. الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤٩- يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، طبعة سنة ١٣٨٧هـ.

ثانيًا: المجلات والدوريات:

١- مجلة الإبصار (مجلة علمية محكّمة، تصدرها جمعية إبصار للتربية والثقافة والبحث العلمي بطنجة)، السنة الأولى، المجلد الأول، العدد الأول، ربيع الأول ١٤٣٤هـ - فبراير ٢٠١٣م.

٢- مجلة الحكمة، العدد الثاني عشر، السنة الرابعة، ٢٠١٢م.

٣- مجلة الحوار المتوسطي، العدد الثامن، مارس ٢٠١٥م.

٤- مجلة الذخائر، العدد الحادي عشر والثاني عشر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (الكويت)، العدد الرابع والستون، المجلد الواحد والعشرون، السنة الحادي والعشرون، مارس ٢٠٠٦م.

٦- مجلة الوعي الإسلامي (الكويت)، العدد (٦٣٩)، ذو القعدة ١٤٣٩هـ - يوليو ٢٠١٨م.

٧- مجلة بصمات، تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك - جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء - المحمدية، العدد السادس، ٢٠١٥م.

٨- مجلة دعوة الحق (الرباط)، العدد (٣١٦) رمضان ١٤١٦هـ.

٩- مجلة عصور، جامعة وهران - الجزائر، العدد السابع عشر- ديسمبر (جوان) ٢٠١١م.

١٠- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، العدد الثاني، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

السرد في رحاب الأندلس

المقامة أنموذجًا

أ. أمينة الشنوفي
الرباط - المغرب

رغم ما عرفته الأندلس من طفرة أدبية وصحوة فكرية، وما حققته من نهضة علمية في تاريخ الأدب الأندلسي، ما نزال نصطدم بأحكام فيها الكثير من التجني تجعل الأدب الأندلسي بشعره ونثره مغرقًا في التقليد والتبعية، مجترًا لما سبق إليه المشارقة. وهو رأي بعض دارسي الأدب الأندلسي ممن لم يتعاملوا بعمق مع هذا الأدب واكتفوا بتناوله تناولاً سطحيًا، وفي "جعبتهم نموذج مشرقي أعجبوا به، ونَظَروا من خلاله"[1]؛ فكان من الطبيعي أن نصادف مثل هذه المواقف التي لا تعدو أن تكون أحكاما تصورية بعيدة عن الواقع الأدبي الأندلسي؛ لأنه "ليس من رأى كمن خبر"[2]

إنها رؤية نقدية تحتكم إلى التعصب الإقليمي؛ لذلك كانت مجمل الآراء التي تصب في هذا الاتجاه تفتقر إلى الحس الموضوعي. فهذا الإشكال ليس حديث عهد بالحقل الأدبي، بل إنه قديم قدم الأدب، شغل تاريخ الأدب الأندلسي، وما يزال مداد الكثيرين يسيل بصدده ليؤكد أن الإجادة لا تتجدد بمعيار السبق الزمني؛ وذلك ما انتصر له القدماء من الأندلسيين حين صرخ ابن بسام (٥٤٢هـ) محتجًا: "ويارب مُحْسِنٍ مَاتَ إِحْسَانُهُ قَبْلَهُ، ولَيْتَ شِعْرِي من قَصَرَ العِلْمَ عَلى بَعْضِ الزَّمَان، وخَصَّ أَهْلَ المشْرِق بالإحْسَان"[3]. وأضاف: "... فالإحْسَان غَيْر مَحْصُور ولَيْسَ الفَضْلُ على زَمنٍ بمقْصُور، وعَزِيزٌ علَى الفَضْلِ أَنْ يُنْكَر، تَقَدَّم بِه الزَّمانُ أو تَأَخَّر"[4].

إننا لا ندعي بهذا أن "الأدب الأندلسي" تاريخ مفصول عن بقية الآداب، وإن كان فيه ما يميزه عنها، فهو جزء من الأدب العربي اشتق من رحم مشرقية، ونشأ في بيئة أندلسية؛ لذلك كان الأديب الأندلسي يحس أنه إزاء كيان أدبي متميز على مستوى النشأة، فبات السعي منه إلى إضافة المزيد من النضج والكمال على إنتاجاته الأدبية، سعيًا مقرونًا بالتحدّي وإظهار التفوّق شعرًا ونثرًا..

إن البحث في السرد الأندلسي، هو بحث في النصوص التي تنهض على أساس وجود مادة حكائية، بوصفها "المقولة الجامعة التي تلتقي بواسطتها كل الأعمال الحكائية، ومن خلالها

أخيرًا، تتجسد، (بغض النظر عن بعدها الواقعي أو التخييلي)، وبها تختلف عن غيرها من الأجناس والأنواع"[٥]، ذلك أن السرد حاضر في مصادر كثيرة تحمله نصوص متعددة الأنواع والأشكال. وبما أن الأدب في الأندلس عرف ضروبًا عديدة من أنواع النثر الفني، فإن السرد بما هو مفهوم شامل لكل الممارسات الحكائية[٦]، حاضر في ما أنجزوه من إنتاجات نثرية كالأخبار والأسمار والنوادر والرحلات والسير والتراجم...، وتأتي المقامة على رأس تلك الأنواع من حيث قدرتها التعبيرية الدالة على الأنساق الثقافية والحضارية للأندلس.

في مفهوم المقامة.

ورد في لسان العرب: "المقامُ موضع القدمين... والمقامُ والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه. والمقامة بالضم: الإقامة. والمقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس...، ومَقامات الناس مجالسهم. ويقال للجماعة يجتمعون في مجلس: مَقامة، ومنه قول لبيد:

ومَـقـامـةٍ غُـلْـبِ الـرِّقـابِ كـأنّـهـمْ

جِـنٌّ، لـدى بـابِ الحَصيرِ، قيـامُ[٧]

ويشرح الشريشي معنى "مقامة" بقوله: "المجالس، واحدها مقامة. والحديث يجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة ومجلسًا؛ لأن المستمعين للمحدِّث ما بين قائم وجالس، ولأن المحدّث يقوم ببعضه تارة ويجلس ببعضه أخرى، قال الأعلم: المقامة المجلس ويقوم فيه الخطيب يحض على فعل الخير..."[٨].

والمقامة في المعجم الوسيط: الجماعة من الناس، والمجلس، والخطبة أو العظة، وقصة مسجوعة تشتمل على عظة أو ملحة كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم، كالهمذاني والحريري[٩].

بناء على هذه التعاريف التي خصت بها المعاجم العربية المقامة، يمكننا القول إن لفظ "مَقامة" لم يكد يخرج عن أحد معنيين: المجلس، أو الجماعة من الناس التي تجلس في ذلك الموضع أو المجلس. بحيث تكاد تتفق معظم المعاجم العربية القديمة[١٠] على ارتباط لفظ "مقامة" بالدلالة على المجلس من حيث هو مجلس، أو الجماعة من الناس وما يدور بينهم من حديث، وقد كانت "العرب تطلق على المجلس القديم أو ما يدور فيه اسم مقامة"[١١]؛ مما يؤكد ارتباط المقامة بالتواصل الذي يتأسس داخلها.[١٢]

بيد أن مفهوم المقامة تتوزعه سمات أدبية وأخرى اجتماعية، وما لبث أن اصطبغ بصبغة دينية حين ارتبط بالوعظ والإرشاد عند الجاحظ، وابن قتيبة[١٣]، وظلت تتمازجه الدلالات إلى أن وسمَه بديع الزمان الهمذاني(٣٩٨هـ) بسِمة أدبية جعلت منه اسمًا لفن قائم بذاته.

أما المقامة في اصطلاح الأدباء فهي نوع سردي "يصدر عن موهبة أدبية، غايتها ابتداع حكاية وليس رواية واقعية، مما جعل المقامة لتحقيق هذا الهدف، تقوم على راوٍ وهمي يختلق متْناً وهميّا"[١٤]. هذا الراوي الوهمي الذي يروي أحداثًا وهمية هو ما جعل بعض الباحثين يرون أنها: "شكل قريب من القصة القصيرة، تنتظم فيه الأحداث حول بطل خيالي، ويرويها راوِيَة خيالي أيضًا"[١٥] في جماعة من الناس، فاختيار "تسمية المقامة معلّلٌ إذن بخصائص المقامة ذاتها"[١٦].

لذلك، تبلورت صورة هذا المفهوم في الأدب العربي على أنها "قصة قصيرة الحجم تكتب

بلغة مموسقة (إيقاعية) وموضوعها يدور على حدث واحد متخيل (مستلهمة من أحداث الكدية) وشخصياتها الثانوية محدودة (تتمثل في الضحية أو المخدوع الذي تقع عليه حيلة بطل المقامة، وهي شخصيات تتغير من مقامة إلى أخرى)، ويلعب دور البطولة فيها بطل محتال، جواب آفاق، ويشاركه راوية يتعرف عليه إثر كل مغامرة، ويرويها عنه، وتقع أحداثها في حدود مدينة أو منطقة واحدة، وفي زمن لا يتجاوز مقدار يوم وليلة"[١٧].

تتأسس المقامة إذن، على حكاية مغامرات يقوم بها بطل واحد في كل المقامات، وتنتهي بنجاحه في استغفال الناس والتحايل عليهم، ووصوله إلى تحقيق مآربه وكسب المال، وإلى جانب البطل يوجد راوٍ ينقل أخبار هذا البطل وحيله وبطولاته، وقد لا يكتفي الراوي بالحضور والمشاهدة وإنما يكون مشاركًا للبطل، بل قد يكون هو نفسه بطل المقامة[١٨]. وأثناء عرض هذه البطولات وتلك المغامرات تبرز بعض مظاهر النقد الاجتماعي، والأخبار المتصلة بالسياق الثقافي، غايتها "الغوص في قاع المجتمع لتعرية الواقع الاجتماعي، ونقد الطبقات الاجتماعية والأنماط البشرية السالبة"[١٩]؛ إلى جانب عرض القدرة على الإبداع لغويًا وفنيًا. فلكي ينجح الكاتب في ذلك، عليه أن يحسن اختيار بطل بارع في اللغة والأدب، سريع النكتة حاضر البديهة، ذي ظرف في تقديم حيله وأكاذيبه، ومع تفوقه في كل هذه الصفات، لابد أن يكون في حالاته كلها تقريبًا "متسوّلاً ماكرًا ولوعًا بالملذات، ومستهترًا يحتال للحصول على المال ممن يخدعهم"[٢٠]؛ فضلاً عمّا تشتمل عليه المقامة من عنصر التخييل بوصفه "وسيطا إبداعيا"[٢١]، يتحقق من خلال "التداول في صياغات عدة وتذويب العنصر التاريخي والمواد العادية وتأجيج عناصر التشويق والتعجيب ودينامية فعل الحكي"[٢٢].

ولا تفوتنا الإشارة إلى ما يحيط بنشأة المقامة من إرهاصات تقاطعت فيها العديد من الأنواع السردية البسيطة، كالأخبار، والأسمار، والنوادر، والمستملحات، والخرافات ... ساهمت في بلورتها عدة "تحولات وتأثيرات معقدة وإن ظهرت من فرط تميّزها كالناجمة من غير أصل والمنسوجة على غير منوال"[٢٣]، فشكلت حلقة من الحلقات الأولية لبداية تبلور الوعي السردي العربي؛ حيث "يقع تأليف المقامات في منتصف المسافة بين المكتوب والشفهي"[٢٤].

المقامة في الذخيرة النصية الأندلسية.

لا ننكر الصلة المتينة بين فن المقامة في المشرق وظهورها في الأندلس، ذلك أنه بمجرد ظهورها في المشرق أواخر القرن الرابع الهجري[٢٥]، ووصولها إلى الأندلس عكف الأدباء على روايتها وشرحها ودراستها ومعارضتها، وكان لمقامات الحريري خاصة صدى بعيد بين أدباء الأندلس.

من بين الأدباء الأندلسيين الذين اهتموا بالكتابة في المقامة، نجد ابن شرف القيرواني (٣٩٠هـ-٤٦٠هـ)، ولسان الدين بن الخطيب، (٧١٣هـ-٧٧٦هـ) الذي أفرد لها بابًا خاصًا سمّاه باب المقامات ضمن "ريحانة الكتاب"[٢٦]. والمقّري، وهو من رواد المقامة في الأندلس، وأبو حفص عمر بن الشهيد[٢٧]، وهو من معاصري ابن شرف القيرواني، والفتح بن خاقان، وابن عبد الله الأزدي المعروف بابن المرابع (ت٧٥٠)،

السرد في رحاب الأندلس المقامة أنموذجًا

وله عدة مقامات ذكرها صاحب الذخيرة من بينها "مقامة العيد"، وهناك من الأدباء من لم يتعدّ في كتابة المقامات، الواحدة، أو بمعنى أصح لم يصلنا مما كتبوه إلا واحدة أو اثنتين، من بين هؤلاء عبد الرحمان بن فتوح، وابن مالك القرطبي[٢٨]، وابن عياض اللبلي[٢٩]، كما أورد ابن بسام أيضًا مقامة لأبي الوليد محمد عبد العزيز المعلم[٣٠]، وهي من المقامات التي تستثمر الإمكانات التي توفرها البيئة الأندلسية.

وتعد مقامات ابن أبي الخصال[٣١] (٤٦٥-٥٤٠) من المحاولات الجادة في هذا النوع، إذ اتسمت مقاماته بخصائص متميزة شكلاً ومضمونًا، فهي لا تعالج موضوعة واحدة فحسب، بل تحكي سلسلة من الأحداث يرتبط بعضُها ببعض من خلال شخصية البطل؛ حيث يجمع بين العديد من المقامات في مقامة واحدة، تتضمن سلسلة من المعالم، كصورة الريف والفلاحين، وبيوتهم، وصور الجمهور وكرمه، وصور الحانة، إضافة إلى موقف المكاشفة أو اللقاء الأخير بين الشيخ والحارث وغيرها من الصور والمواقف. مما يفتح أمامنا باب التأويل بالقول، إن غايته من ذلك، هي إثبات التفرد والتميز وإظهار براعته الفنية الفائقة في تصيد المواقف وتصويرها تصويرًا يراعي قواعد التواصل بين المرسِل والمتلقي ضمن شروط النسق الثقافي الأندلسي في عصره.

وذلك ملمح من ملامح المنافحة عن الهوية الأندلسية، وتفنيد لتلك الآراء التي تتهم الأدباء الأندلسيين بالسطحية، وتزعم أن الأدب الأندلسي لاجدة ولا عمق فيه. وهو في كل مقاماته وإن كان اتخذ في بعضها الحارث بن همام وأبا زيد السروجي بطلين لها مثلما فعل الحريري، فإنه سعى إلى التنويع والاختلاف على مستوى التصوير والمواقف مستجيبًا لطبيعة المجتمع الأندلسي المتغاير حضاريًا.

وحقيق بالذكر، عمله الرائد في ذلك النمط الفني الذي خصه الأندلسيون للكتابة عن طائر الزرزور[٣٢]، وقد حفلت مقاماته بهذا النوع؛ حيث تحولت من شكلها المألوف الذي يشبه الخطبة[٣٣] فيما تُفتتح به من الصلوات والأدعية والبركات، على غرار الرسائل الوعظية، إلى أن تتخذ شكل المقامة، في انتقالها من وصف الزرزور وتعداد مآثره، إلى جعله البطل الذي يصنع الحدث ويوجهه[٣٤]، دون أن يتوان (الزرزور) في إبداع قصيدة تحتفي بالقيم الإنسانية وتسمو بالسلوك النبيل، في كل موضع من أحداث المقامة، ويمثل الزرزور (بطل المقامة) الذي يضطلع بأدوار يتفاعل عبرها جنسين أدبيين - السرد والشعر- الشخصية الحريصة على غرس القيم النبيلة في النفوس، يخلع عليه الكاتب أوصاف الوعاظ[٣٥] وهيئة الوقار والهيبة. وتلك أولى المحاولات التي تمردت على القواعد التقليدية للمقامة المشرقية وبخاصة فيما يتعلق بثنائية الراوي والبطل، وهو تمرد سيفتح الأفق أمام تواصل نماذج الانزياح والتمرد على هذه البنية.

إلى جانب ابن أبي الخصال نجد أديبًا آخر برع في كتابة المقامات وتفوق فيها إلى أن ملأ صيته الأرجاء، وهو أبو الطاهر السرقسطي[٣٦] (ت٥٣٨هـ) الذي رجّح إحسان عباس أن يكون أول من عارض مقامات الحريري في مقاماته بإصرار؛ وذلك لتأكيد قدرته الأدبية على الإبداع من جهة، والتعبير عن آرائه ومواقفه ممّا يعيشه المجتمع الأندلسي من تناقضات سياسية وفكرية وثقافية من جهة أخرى، وقد جعلها

خمسين مقامة تتساوى في عددها مع مقامات الحريري[٣٧]؛ غدا لها صيت كبير في الأندلس، وأضحت من أهم الأنواع السردية تميزًا وبراعة وتصويرًا، ليتم التأكيد من خلالها على أن الإبداع والتميز والخيال... لا يختص بقوم دون غيرهم، ولاينحصر في رقعة مكانية أو فترة زمنية دون الأندلس.

وقد أشار السرقسطي لذلك في المقدمة التي كتبها لمقاماته، ذلك أنه وهو بقرطبة، "وقف على ما أنشأه الرئيس أبو محمد الحريري بالبصرة. أتعب فيها خاطره. وأسهر ناظره. ولزم في نثرها ونظمها ما لا يلزم، فجاءت على غاية من الجودة... "[٣٨]. وهو يؤكد بهذه العبارات، أن عمله في معارضته لمقامات الحريري لا يخرج عن كونه دليلاً عمليًا لأبناء حاضرته، على أن المستجدات التي ظهرت في المشرق بإمكان الأندلسيين أن ينتجوا ما يماثلها أو يعارضها أو يتجاوزها فنيّة وإبداعًا... وذلك من باب المنافسة والتميّز.

وقد امتدت إبداعات الأندلسيين في كتابة المقامة لتتجاوز أصول بنيتها التقليدية المشرقية، على مستوى خرق موضوعها الأساس، الذي لم يعد محصورًا في الكدية كما هو الشأن في مقامات الهمذاني والحريري، بل أصبح قابلاً لاستيعاب مختلف التحولات الاجتماعية والثقافية والحضارية التي عرفتها الأندلس، وأصبحت مواضيعها متعددة بتعدد وتنوع مادة الحكي التي تتيحها البيئة الأندلسية على مستوى الطبيعة والعمران...وغيرهما إضافة إلى تناولها لموضوعات شعرية كالمدح والغزل والهجاء والمجون، إلى جانب الموضوعات الاجتماعية والسياسية والثقافية. كما انفتحت على الأنواع السردية التي تشاكلها، خاصة الرحلة، فأصبحت - المقامة الأندلسية- تقف من حيث التجنيس على الحدود بين الرحلة والمقامة؛ إذ تقوم "الرحلة كمرجع محرض على ممارسة الحكي ... عبر دينامية التخييل"[٣٩].

وتندرج مقامتي لسان الدين بن الخطيب، "معيار الاختيار في أحوال المعابد والديار"[٤٠] و"خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف"[٤١] في هذا السياق، إذ يمثل السفر وجغرافية المكان مادة السرد الأولى في المقامتين. فإذا كان السفر بما هو "حركة في الفضاء"[٤٢]، حاضر بكل أشكاله في المقامات[٤٣]، فإن ابن الخطيب بوصفه الراوي لأحداث المقامة يمثّل دور "رجلٍ ظريف النفس كثير الأسفار والتّجوّل"[٤٤]. تنقّل بين العديد من الأماكن، واستوطنت فضاء حكاياته كثيرًا من البلدان، إلى أن أصبح تعدد المكان داخل المقامة عنصرًا أساسًا في بناء الحكي، هذه الخصيصة جعلت ابن الخطيب أقرب إلى الجغرافيين العرب في القرن الرابع للهجرة[٤٥]، وأضافت للمقامة الأندلسية بصمة الخصوصية والتميّز.

هذا، بالإضافة إلى ما اختصت به المقامة الأندلسية من وصف المدن والبلدان وصفًا يعلي من "الذات الجماعية"، ويضخم الشعور بالهوية. كما استُخدمت كذلك لأغراض تعليمية وتربوية كما هو الحال بالنسبة "للمقامة النخيلة" للقاضي أبي الحسن النباهي المالقي، الذي جعلها وسيلة لتعليم قواعد الأدب، درءًا لمشقة التلاميذ في الرجوع إلى مؤلفات أكبر ومصنفات عدة.

ربما كانت المقامات اللزومية من أهم ما أنتج في الأندلس من الأنواع السردية؛ حيث تدور أحداث معظمها، حول ما يستبطنه "البطل"

من أعمال الاحتيال، متنكّرًا في هيئة الواعظ الزاهد في الدنيا، يتنقل في سفره ورحلاته من الصين شرقًا إلى الأندلس غربًا. فليس لمقاماته نسق جغرافي في ترتيبها؛ قد يطل علينا بطل المقامة من مصر، وينتقل في مقامة أخرى إلى البحرين، وفي الموالية يحل في القيروان، ومنها إلى طنجة، ومن هناك ينتقل في مقامة أخرى إلى الأندلس موطن السرقسطي، مشيرًا غير ما مرة إلى جزيرة الطريف، وإلى اختراع الحكايات التي يمكن أن تقرن الجزيرة بفتح الأندلس. وقد اهتم السرقسطي في مقاماته، بحياة الموانئ والرحلات البحرية؛ حيث ضمّن بعض مقاماته[٤٦] كثيرًا من حكايات البحارة، التي تجري أحداثها في الصين. ويمكننا تقدير أهمية العناصر البحرية هذه إذا ما قرأنا هذه المقامات مقرونة بما يعرضه الرحالة الأندلسيون من وصف للرحلات البحرية وخصوصاً بقصة "حي ابن يقظان" لابن طفيل.

هكذا شقت المقامة طريقها إلى الأندلس التي طالما عُرفت بهذا الطراز من الكتاب والأدباء البارعين في الكتابة والتصوير في مقاماتهم لمختلف جوانب الحياة. فمثل ما تفوق الأديب الأندلسي في الكتابة الشعرية، كان الأمر نفسه على مستوى الكتابة السردية بكل أنواعها. نتيجة لذلك، يمكن القول، إن المقامة الأندلسية الجديدة، مع كونها تنتمي إلى الأنواع السردية البسيطة، فهي تتسم بصفات الريادة في السرد، أو بمعنى أدق تمثل بداية الوعي السردي في الأدب العربي.

ومثلما اتخذ الهمذاني من كتابة المقامات تحديًا لانتقادات الخوارزمي، ورهانًا على قدرته في الكتابة والتأليف[٤٧]، كذلك جعل منها الكاتب الأندلسي برهانًا على قدرته في الكتابة السردية بمختلف أنواعها، بحيث لم تعد المقامة تقتصر فقط على موضوعة الكدية، بل أصبحت بالنسبة للكاتب الأندلسي حقلاً خصبًا تنمو بجانبه ومن داخله أنواع سردية مختلفة، وينفتح على أجناس أدبية متعددة؛ لذلك عد كيليطو المقامة من بين الألفاظ التي خصّها التاريخ الثقافي بميزة جليلة بإخراجها من خُمود ولا تَمَيُّز المعجم، وجعلها تدل على أنواع أدبية[٤٨].

ولا يفوتنا هنا أن نعرض مواقف بعض الدارسين المهتمين من هذا التنوع، أمثال سامي يوسف أبو زيد في كتابه "الأدب الأندلسي"، الذي عدَّ هذا التمازج والانفتاح نقصًا يعتور المقامات الأندلسية، مستنتجًا إن "ما أنتجه الأندلسيون من مقامات لا يرقى إلى المستوى الفني الرفيع الذي نجده عند البديع أو الحريري."[٤٩]، مستشهدًا بقول إحسان عباس: في أن "كثيرًا من المقامات الأندلسية أصبح وصفًا للرحلة والتنقل داخل بلاد الأندلس، وفي هذا أيضًا شاركت الرسالة"[٥٠]. ويؤازر هذا الموقف ما ذهب إليه نور يوسف عوض، معتبرًا أن الأندلسيين لم يتناولوا هذا الفن إلا في "مقامة أو مقامتين تشبه الأحاديث الوصفية أو المشاهدات العابرة في أدب الرحلات... وقد كانت الفرصة سانحة أمام السرقسطي غير أن التقليد والتكلف أبعداه عن كتابة عمل أصيل"[٥١].

غايتنا من عرض هذه الآراء هي التأكيد على أن ما يعتبره هؤلاء عيبًا، هو في حقيقة الأمر من المزايا الدالة على انفتاح الأدباء الأندلسيين على مختلف الأجناس الأدبية، والقدرة على مزجها في بوتقة نوع المقامة، مع الحفاظ على المسافة الفاصلة بين كل نوع، ومن دون أن تذوب ملامح المقامة في النوع الذي تفتح له نوافذها. إضافة

إلى إخراج المقامة من إطارها النمطي التقليدي القائم على الكدية إلى أبعاد ترتبط بالأنساق الثقافية الأندلسية التي تتأطر ضمنها.

المقامة والنسق الثقافي الأندلسي

لم يكن السرد بمنأى عن الظروف السياسية والثقافية التي عاشتها الأندلس، ذلك أن المحكي السردي شكل وعاء لاستيعاب جميع التجارب الفردية والإنسانية، وهي فكرة ملازمة للثقافات والآداب منذ القدم(٥٢)، وتطفو على السطح تلك الأحداث المرتبطة بتهديد الهوية ومَحْي الوجود العربي الإسلامي من الأندلس، بعد تتالي الأحداث المغذية للشعور بالخطر من سقوط الخلافة الأموية، وتمزق الأندلس، وتفاقم الزحف النصراني على بعض المدن والثغور، ثم سقوط ملوك الطوائف... وغيرها من الأحداث التي جعلت النص السردي في الأدب الأندلسي ينفتح على الاستعداد للكارثة الحضارية.

تعد المقامات من أهم سرود الأندلسيين التي "تناسب مقتضيات عصرهم، ومتطلبات حياتهم شكلاً ومضمونًا... وقد مثلت في جانب كبير منها، وثائق مهمة لرصد الأنماط السلوكية في مجتمعهم"(٥٣). ولعل السرقسطي من الأدباء الذي التفتوا إلى الأزمة الحضارية؛ حيث عبرت عنها أحداث مقامته "التاسعة والعشرين"، في توظيفه لحدث "خراب القيروان" موضوعًا أساسًا لها، فاستغل بطل مقامته "السدوسي" انشغال السائب (الراوي) بهذا الحدث، وتأثره بما حل بالقيروان التي "استَوْلَى عَلَيْها الخَرَابُ وذهبَتْ بِدَوْلَتها الأَعْرَاب، فأَغَاضَتْ حوْضَها وغَديرَها وزَلْزَلَتْ خَوَرْنَقَها وسَدِيرَها ... فَكَمْ أُديلَ فِيها مِنْ مَصُونٍ وغُولِبَ عَلَيها مِنْ حُصُونٍ..."(٥٤)؛ ليحيك خدعته من أجل الاستيلاء على تفكير "السائب"، مستغلاً تماهي غايتهما في التأثر بما حلّ بالقيروان وما وقع فيها من أحداث أثرت على حياة "البطل" وشكّلت له فاجعة ردّدها في آهات متعددة: "يَا طُلُول أَيْنَ الحُلُول ويَا رُبُوعُ كَمْ ذَا الرُّبُوعُ ويَا دِيَارُ هَلْ فِيكُنَّ دَيَّارُ ويَا وكَنُ، أَيْنَ السَّكَنُ؟ أعِيٌّ أَمْ صَمَمٌ؟ وجِنٌّ أَمْ لَمَمٌ... آهٍ مِنْ رِجَالِكِ، آهٍ مِنْ فَسِيحِ مَجَالِكِ آهٍ مِنْ مَصَاعِبِكِ آهٍ مِنْ مَلاَعِبِكِ. آهٍ مِنْ قُرُومِكِ. آهٍ مِنْ عَرَبِكِ ورُومِكِ..."(٥٥). مما جعل "الراوي" يرثي لحاله، ويتعاطف معه في المصاب الذي يشتركان فيه، وإن تفرقت الغاية في رثاء القيروان بين الراوي والبطل، فالسائب (الراوي) يتحسر على مجد عربي ضاع، والسدوسي (البطل) يتحسر على ضياع ماله وجوع عياله، مستغلاً تلك الحسرة والانكسار النفسي الفعلي "للسائب"، مظهرًا الغبن والانكسار، مركزًا على تعاطف (المروي له) وخداعه، فكان السائب أوّل من انطلت عليه حيل البطل قبل المكاشفة؛ حيث يُظهر (البطل) ذكاء كبيرًا، ومرونة فكرية، في التعاطي مع كل المستجدات والأحداث الطارئة على المجتمع، ليركب موجاتها ويتوسل بها في قوالب مأساوية يتغيى منها الكدية، أو الكسب من خلال الحيل التي تتكشف في نهاية خط السرد، حينما لا يسعه إلاّ البحث عن مسوغات لاحتياله.

يظهر المحكي السردي بتلوينات مختلفة تناسب السياق الثقافي الذي تصور جانبًا منه، ذلك أن الأحداث الاجتماعية والسياسية والوقائع التاريخية تشغل حيزًا مهمًّا من المقامة، فرغم مرور نصف قرن تقريبًا على ما حدث في القيروان، إلا أن المقامة صورت أشجان الأندلسي كأن الأمر حديث العهد بالوقوع، لا يزال حيًا في نفسية الأندلسي، وبخاصة أن النكبات تتوالى

السرد في رحاب الأندلس المقامة أنموذجًا

حيث سقطت طليطلة، وأحرقت بلنسية، وسقطت سرقسطة...، فالمحنة واحدة وإن تغير المكان والزمان، وهو ما يشعل لهيب التحسر على الأندلس، فيذكّر الجديد بالقديم.

وقد امتدت معاني التحسر والتأثر بالأحداث التي تهدد الوجود الحضاري الأندلسي إلى نصوص ومقامات أخرى للسرقسطي كالمقامة البربرية التي كشفت عن الدمار الذي سببه البربر للأندلس؛ لذلك جاءت لغته قاسية، فالبربر "أقوام كالأنعام أو كالنعام وأناس كالسباع أو الضباع،... لا تَنْقَادُ ولا تُسَالِمُ ولاَ تُعَاقِلُ ولاَ تُحَالِمُ"[٥٦]. إنها ترجمة للمشاعر الأندلسية إزاء حضارتها وكل ما من شأنه أن يمس وحدتها، بحيث تبرز الصورة التي ترسبت في الذاكرة الجمعية للأندلسيين عن البربر منذ خراب قرطبة إلى عصر السرقسطي وما بعده. وتتردد أصداء هذه الأحداث عند العديد من أدباء الأندلس من قبيل ابن حزم الأندلسي، وابن حيان، وابن بسام والشقندي وغيرهم[٥٧].

يحضر عنصر المأساة الحضارية لدى السرقسطي في تشكيل مواضيع مقاماته وتلوين ما يتجاذبها من فنون التخييل بلون الواقع التاريخي والاجتماعي والنفسي؛ لتعبر عنها بشكل يناسب القالب الفني للمحكي السردي. ذلك أن توسيع آفاق رؤية الكاتب للمجتمع الأندلسي، تبدأ بالغوص في أغوار التاريخ العربي من منظور ديني بشكل يسخر مما وصل إليه المجتمع من فساد وانهيار للقيم، "فخلف الجدّة الظاهرة والوقار الأسلوبي يقبع هزل عميق غير ظاهر، أول مظاهر ذلك الهزل قلب الحقائق وتمويهها، والتلاعب بالهويات الفردية للشخصيات عبر التنكر الدائم، ثم التّشفّي بالمخادعة"[٥٨]. إذ يقدم (السرقسطي) بطل مقاماته في مشهد يعرف تناقضًا صارخًا بين ظاهر يتمسك بالخطيب الوقور الغيور على وضع المجتمع وانحدار القيم الأخلاقية، وباطن يكشف الاحتيال على الناس لأخذ أموالهم، من خلال الغوص عميقًا في معاناتهم مع انعدام الثقة فيما بينهم، لينتزع له مكانًا في نفوسهم ويصل إلى ما في جيوبهم.

من مظاهر الفشل السياسي الذي جسده المحكي السردي عند السرقسطي أيضًا، التعامل مع الكفار وتسلط العجم على العرب، فقد ركب بطل مقامات السرقسطي "السدوسي" مركب الواعظ المرشد في المقامة السابعة بقوله في ذم ركوب البحر: "أَمَالَكُم فِي قَصْدِ المُلوكِ مَتْجَرٌ رَابِحٌ... حَتَّى تُطَاوِلُوا الأَسْفَار وتُعَامِلُوا الكُفَّارَ، وتُملّكُوهُمْ الرِّقَابَ، وتَخْلَعُوا دُونَهُمْ النِّقَابَ، فَيُجْرُوا عَلَيْكُم الأَحْكَام، ويَغْتَمُوا العِيَابَ والأَعْكَام. ثُم تُعَايِنُوا عِبَادَة النِّيران، ومُرَاقَبَة القِرانِ، والتَّقَرُّبِ بِالأَبْدَانِ،(....) ويَسِمُونَكُمْ سِمَةَ الإِغْفَالِ والإِهْمَالِ"[٥٩].

هنا تبدو الازدواجية في شخصية البطل حاضرة من منطلق ما يقدمه من نصح لهؤلاء الذين يركبون البحر ويختلطون بالعجم، مبديًا غيرته على الدين والهوية العربية، مخفيًا رغبته الحقيقية في الحصول على المال، فهو في أعماقه لا يهمه ما سيلحق بالمسلمين جراء ما يقدمون عليه من ركوب البحر بقدر ما تهمه مصلحته الشخصية. وقد صورت المقامة جانبًا من جوانب الواقع النفسي للإنسان الأندلسي الذي تتملكه مشاعر الخوف والرهبة من التقلبات السياسية التي تعيشها البلاد؛ حيث عظمت هذه الوقائع على السرقسطي فقام بسردها على لسان بطل مقاماته، كما عظمت على الشعراء من قبله كابن عبدون وأبو البقاء الرندي وغيرهما من الشعراء

الذين صورت قصائدهم ما حلّ بالأندلس من خطوب ومحن، وهو لون من التعبير يعكس طبيعة التقلبات السياسية التي تجتاح عصور الحكم في مراحل مختلفة. من منطلق أن "كل ما يَعْظُم في خلد الإنسان يستعظِمُه الفن شعرا ونثرا"[٦٠].

إن ما تفردت به مقامات السرقسطي ليس أمرًا عرضيًا، إنما هو نتاج القلق الوجودي إزاء تجربة الفشل السياسي الذي عاشته الأندلس في فترة من الفترات، ذلك أن طبيعة التقلبات السياسية في الأندلس كانت أشد حدة وأسرع إيقاعًا، وأنها اتخذت شكل المواجهة بين النصارى والمسلمين وبخاصة حين عزم الصليبيون على طرد المسلمين وإخراجهم من الأندلس.

لقد واكب المحكي السردي حركة الإيقاع السياسي راصدًا لأحداثه مستبطنًا دواخله ومقوِّمًا لاتجاهاته، في شكل ساخر مبني على الإضحاك والتسلية، أو بشكل درامي قائم على تصوير التأزم النفسي والاجتماعي في أغلب الأحيان، وبخاصة لـمّا اضطربت بعض البلاد و"تقضّت عليها الذوابل وتفانت القبائل والقنابل فجدّت عليها الذّحول، وهانت عندها الـمُحُول وتأكدت الأحقاد. ففارقت تميم جِماها ورماها بالصَغار ما رماها"[٦١]، هذه الفتن والحروب شغلت حيزًا كبيرًا في الدفع بالأنواع السردية إلى التطور والتبلور؛ لتكتمل صورة المجتمع الأندلسي في المقامة من خلال المزج بين الواقعي والمتخيل في نسج خيوط السرد.

لذلك، نجد محور المحكي السردي يدور حول سلبيات المجتمع الأندلسي بسبب ما انغمس فيه الناس من حياة اللهو والترف والمجون والانصراف عن الجهاد، من هنا بدأ يرتفع صوت السارد بالالتفاف حول قضايا المجتمع والحفاظ على الأندلس من الخطر الداهم، وهو صوت يخالف الأصوات السردية التي يقوم عليها البناء التقليدي للمقامة عند المشارقة.

ربما هذا ما يفسر اهتمام لسان الدين بن الخطيب بأمور السياسة في مقامتيه، الأولى التي ذكر اسمها بشكل صريح "مقامة في السياسة"[٦٢]؛ حيث بناها على حوار بين بطلين هما الخليفة هارون الرشيد وحكيم فارسي الأصل عربي اللسان، وقد تضمّنت آراؤه وتجاربه الشخصية فيما ينبغي أن تكون عليه سياسة الحكم. ثم المقامة الثانية وهي "الإشارة إلى أسباب الوزارة"[٦٣]، والتي جعلها في شروط الوزارة وأركانها وما تقوم عليه من أسس، مستمدًا صورها الفنية ووحداتها السردية من الحياة التي عاشها في كنف السلطان، لما تنم عنه من معرفة واسعة في شؤون السياسة والحكم.

هكذا تحكم النسق الثقافي السائد في الأديب الأندلسي، وجعله ينتج بديلا له عبر التخييل، غير أن هذا النسق الجديد لا يمثل صورة للواقع الفعلي، أو يحيل عليه، بل إنه إمكان من بين إمكاناته المتعددة، يرتبط بنوع من المسخ الذي يقوم به الأدب عن الواقع من خلال التخييل[٦٤]. من أجل خلق واقع جديد عبر الخيال تكتمل فيه الذات وتعبر من خلاله عن هواجسها.

خلاصة:

تعدّ دراسة النص السردي الأندلسي تمهيدًا لرسم صورة أوضح لمعالم هذا الفن وتوضيحًا لأهميته في سياق الحركة الأدبية الأندلسية، التي طالما وصفت بالتكرار والاجترار لما سبق إليه المشارقة شعرًا ونثرًا. وقد قادنا البحث

فيما احتفظت به الذخيرة النصية الأندلسية من نصوص سردية إلى الوقوف عند المقامة بوصفها نوعًا من الأنواع السردية التي تحمل البصمة السردية الأولى في الكتابات النثرية، وأولى بدايات تشكل "الوعي السردي" العربي من حيث حضور التخييل، ولما لها من القدرة على معالجة كل المعاني التي يقترحها السياق الثقافي المجتمعي.

فإذا كان للمشارقة السبق والريادة في كتابة هذا النوع السردي، فإن للأندلسيين السبق والريادة في تجديده وتكسير بنيته التقليدة وتطويعه ليناسب كل المواضيع التي تطرحها السياقات الاجتماعية والثقافية والحضارية في الأندلس. بحيث لم تعد المقامة عند الأندلسيين تقتصر على الكدية، بل تجاوزتها إلى بنية أعمق صوغًا ودلالة، فالمغامرات التي يخوضها أبطال المقامات تخضع للعمق الجغرافي الأندلسي وتعبر عن الهوية الحضارية، بطرق موضوعات سياسية وفكرية وفنية، إضافة إلى انفتاحها على الأنواع السردية الأخرى كالرحلة مثلاً.

وقد وسمت ملامح التميز والتفرد تلك المقامات التـي وظفت عناصر الطبيعة كالأرياف والجبال والبحار والعمران؛ لذلك بدت المقامات الأندلسية و"كأنهـا، لجمالهـا وقوتهـا وفتنتهـا، من فنون العقوق، تنكر نسـبتها، وتتهجـم على مرجعياتها الكبـرى"[٦٥]، تلـك المرجعيـات التقليديـة التي وضعها الهمذاني وكان أول من قام بخرقها فاتحًا لمن جاء بعده باب التجاوز والخرق والانزياح.

هكذا استوعبت المقامة السياقات الاجتماعية والسياسية والحضارية والتاريخية ... للأندلس إلـى جانب سياقاتها الثقافية المتعددة؛ حيث انخرطت أكثر من غيرها في الكشف عن تجليات الهوية الأندلسية، فحرك الأديب من خلال مقاماته سكون المجتمع، وأثار أسئلة قلقة تتعلّق بقضايا استمرار الوجود الحضاري العربي الإسلامي في الأندلس.

الحواشي

١. الحسيني، قاسم، الأدب الأندلسي القضايا والظواهر، المطبعة الحسينية، سلا، ط/١، ٢٠٠٧، ص ٤. (بتصرف).

٢. المرجع نفسه، ص.٤.

٣. ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت ، ط/ ١٩٧٨- ١٩٧٩م. ص.٤.

٤. ابن بسام، (المصدر نفسه) ص.٥.

٥. يقطين، سعيد، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦، ص. ٨٧.

٦. يقطين، (المرجع نفسه)، ص.١١٢.

٧. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠، مادة (قوم).

٨. الشريشي، شرح مقامات الحريري، أشرف على نشره وطبعه وتصحيحه، محمد عبد المنعم خفاجي، طبع ونشر، عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ط/١، ١٩٥٢، ج/١، ص. ١٤.

٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٢، ط/٢، ١٩٨٥،مادة (قوم)،

١٠. نجد ذلك في "لسان العرب" لابن منظور، وفي "أساس البلاغة" للزمخشري، وفي سواهما من أمهات المعاجم العربية كـ "الصحاح" للجوهري وغيره.

١١. عوض، يوسف نور، فن المقامات بين المشرق والمغرب، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط/٢، ١٩٨٦، ص.١٠.

١٢. كيليتو، عبد الفتاح، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة، عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال

للنشر، الدار البيضاء، ط/١، ١٩٩٣، ص.٨٤.

١٣. انظر: ابن قتيبة ، عيون الأخبار، في معرض حديثه عن مقامات الزهاد" وهي مواعظ يقف بها الراوي أمام الخليفة لنصحه وإرشاده، أشهرها مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي، ومقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور.

١٤. إبراهيم، عبد الله، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط/١، ٢٠٠٥. ص.٢٢٤.

١٥. صحراوي ابراهيم، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨، ص.٨٥.

١٦. كيليتو، عبد الفتاح، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، (مرجع سابق)، ص.٨٤.

١٧. النجار محمد، النثر العربي القديم، ، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط٢، ٢٠٠٢، ص. ٢٨٢.

١٨. القاضي محمد، وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ط/١، ٢٠١٠. ص.٤٠٩.

١٩. النجار محمد، النثر العربي القديم، ، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط٢، ٢٠٠٢، ص. ٢٨٢.

٢٠. بديع، محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٠ص.٤٨.

٢١. الماضي، شكري عزيز، أنماط الرواية العربية الجديدة، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٨. نقلا عن سعيد جبار، من السردية إلى التخييلية، بحث في بعض الأنساق الدلالية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط/١، ٢٠١٣. ص. ٥٢٢.

٢٢. شعيب حليفي، تداخل الأنواع الأدبية، مؤتمر النقد الدولي ١٢، علم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، وجدارا للكتاب العالمي، الأردن، ٢٠٠٩، مج/١، ص.٥٣٢.

٢٣. القاضي محمد، وآخرون، معجم السرديات، (مرجع سابق)، ص. ٤٠٩.

٢٤. كيليتو، عبد الفتاح، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، (مرجع سابق)، ص.٨٨.

٢٥. انظر: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٧ ص. ٢٤٣.

٢٦. ابن الخطيب، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، (مصدر سابق)، ٢. ص.٢٤٦.

٢٧. ذكر له ابن بسام مقامة وقال: انه حذف بعض فصولها لطولها، الذخيرة، ق/١، ج/٢ ص. ٥١٥.. (دار الغرب الإسلامي)

٢٨. له مقامة خاطب بها ابن صمادح، حذف ابن بسام جزءا منها لطولها، أنظر الذخيرة، ق/١،ج/٢، ص.٥٦٣.

٢٩. له مقامة واحدة وردت في التكملة، تحت اسم (المقامة الروحية) وفي المغرب، باسم "المقامة الجاضبية الغزلية"، المغرب، ج/١، ص.٣٤٥.

٣٠. الذخيرة، ق/٢، ج/٣، ص. ١٠٠-١٠٣، الجذوة ص.٦٥، المغرب،ج/١ص.١١٢.

٣١. الذخيرة، ق/٣، ج/٦. ص.٥٨٩.

٣٢. فصيلة طير، من رتبة الجواثِمِ، ذاتُ ألوان مختلفة، من أشهر أنواعها الزُّرْزورُ.

٣٣. عيسى، فوزي، الرسائل الأدبية في النثر الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٨، ص. ٩٨.

٣٤. (المرجع نفسه)، ص. ٩٨.

٣٥. عيسى، فوزي، الرسائل الأدبية في النثر الأندلسي، (مرجع سابق)، ص. ٩٩.

٣٦. هو أبو الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي، المنسوب إلى مدينة "سرقسطة"، أديب أندلسي ولغوي، شاعر، توفي سنة ٥٣٨هـ. أنظر ترجمته الكاملة عند ابن بشكوال، الصلة، تاريخ أئمة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ج/٢،١٩٦٦، ص. ٥٥٦.

٣٧. عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين، (المرجع السابق)، ص. ٢٥٤.

٣٨. المقامات اللزومية، السرقسطي، تحقيق حسن

السرد في رحاب الأندلس المقامة أنموذجًا

الوراكلي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط/٢، ٢٠٠٦، ص. ١٧.

٣٩. بوعزة، محمد، سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، دار الأمـان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط/١، ٢٠١٤، ص. ١٧١.

٤٠. وردت المقامة في ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/١، ١٩٨١. ص.٢٧٩.

٤١. ابن الخطيب، ريحانة الكتّاب ونجعة المنتاب، (السابق)، ص.٢٤٨.

٤٢. كيليطو، عبد الفتاح، المقامات (مرجع سابق)، ص. ١١.

٤٣. من المعروف أن الكاتب يعمد إلى تنويع الأماكن من مقامة إلى أخرى، وصل هذا التنويع حد تسمية المقامة بإسم المكان الذي وقعت فيه أحداثها، فنجد مثلا، المقامة العراقية، والمقامة الكوفية، والمقامة البغدادية، والموصلية....، أنظر مقامات الهمداني، ومقامات الحريري.

٤٤. بوجندار، محمد بن الحاج المصطفى، أبدع المقالات في فن المقامات، تحقيق، إلهام السوسي العبد اللوي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط/١، ٢٠١٦، ص.٧٩.

٤٥. كيليطو، عبد الفتاح، المقامات (مرجع سابق)، ص. ١١.

٤٦. انظر: السرقسطي،المقامات اللزومية، مقامة العنقاء، ص.٣٣٦.

٤٧. كيليطو، المقامات، (مرجع سابق) ص. ٨٤.

٤٨. (المرجع نفسه)، ص.٥.

٤٩. انظر: أبو زيد، سامي يوسف، الأدب الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط/١، ٢٠١٢، ص. ٣٣١. ذهب إلى هذا الموقف أيضا عـوض، نور يوسف في كتابه، المقامات بين المشرق والمغرب، ص.٢٩١،

٥٠. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، (مرجع سابق)، ص.٢٤٧.

٥١. عـوض، نـور يوسف، المقامات بين المشرق والمغرب، (مرجع سابق)، ص.٢٩١،

٥٢. ابراهيم، عبد الله، موسوعة السرد العربي، (مرجع سابق)، ص.٢٣٩.

٥٣. الكساسبة، رضا عبد الغني، النثر الفني في عصر الموحدين، وارتباطه بواقعهم الحضاري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص.١٨٧.

٥٤. السرقسطي، المقامات اللزومية، (مصدر سابق)، ص. ٢٥٦-٢٥٧.

٥٥. المقامات اللزومية، ص. ٢٥٧.

٥٦. المقامات اللزومية، ص.٣٨٥.

٥٧. انظر ابن حزم في طوق الحمامة ص.١٧٩، وابن حيان ، المقتبس، مقدمة المحقق محمود علي مكي ص.١١٤، وابن بسام، الذخيرة، ج/١، ص.٩٩، والشقندي من خلال رسالته، في فضائل الأندلس.

٥٨. إبراهيم، عبد الله، موسوعة السرد العربي، (مرجع سابق)، ص.٢٤٥.

٥٩. السرقسطي، المقامات اللزومية، ص.٦٦.

٦٠. ريدان، سليم، ظاهرة التماثل والتميز في الأدب الأندلسي، من القرن الرابع إلى السادس هجريا، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، ج/٢، ٢٠٠١، ص.٧٩٨.

٦١. السرقسطي، المقامات اللزومية ص.٢٦.

٦٢. ابن الخطيب، لسان الدين، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/١، ١٩٨١، ج/٢، ص. ٣١٦.

٦٣. (المصدر نفسه)، ج/٢، ص. ٣٣٥.

64. Ricoeur (paul).Du texte a l’action.Essais d’herméneutique 2.Ed. Seuil. Paris. 1986. P.128

٦٥. إبراهيم، عبد الله، موسوعة السرد العربي، (مرجع سابق)، ص. ٢٤١.

لائحة المصـادر والمراجع

- إبراهيم، عبد الله، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط/١، ٢٠٠٥.
- ابن الخطيب، لسان الدين، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/١، ١٩٨١.
- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ، تحقيق إحسان عباس دار الثقافة بيروت، ط/ ١٩٧٨- ١٩٧٩م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠.
- أبو زيد، سامي يوسف، الأدب الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط/١، ٢٠١٢.
- بديع، محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٠.
- بوجندار، محمد بن الحاج المصطفى، أبدع المقالات في فن المقامات، تحقيق، إلهام السوسي العبد اللوي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط/١، ٢٠١٦.
- بوعزة، محمد، سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط/١، ٢٠١٤.
- الحسيني، قاسم، الأدب الأندلسي القضايا والظواهر، المطبعة الحسينية، سلا، ط/١، ٢٠٠٧.
- ريدان، سليم، ظاهرة التماثل والتميز في الأدب الأندلسي، من القرن الرابع إلى السادس هجريا، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، ٢٠٠١.
- السرقسطي، المقامات اللزومية، تحقيق حسن الوراكلي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط/٢، ٢٠٠٦.
- سعيد جبار، من السردية إلى التخييلية، بحث في بعض الأنساق الدلالية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط/١، ٢٠١٣.
- الشريشي، شرح مقامات الحريري، أشرف على نشره وطبعه وتصحيحه، محمد عبد المنعم خفاجي، طبع ونشر، عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ط/١، ١٩٥٢.
- شعيب حليفي، تداخل الأنواع الأدبية، مؤتمر النقد الدولي ١٢، علم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ٢٠٠٩.
- صحراوي ابراهيم، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٨.
- عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٩٧.
- عوض، يوسف نور، فن المقامات بين المشرق والمغرب، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط/٢، ١٩٨٦.
- عيسى، فوزي، الرسائل الأدبية في النثر الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٨.
- القاضي محمد، وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ط/١، ٢٠١٠.
- الكساسبة، رضا عبد الغني، النثر الفني في عصر الموحدين، وارتباطه بواقعهم الحضاري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- كيليطو، عبد الفتاح، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة، عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط/١، ١٩٩٣.
- مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٥.
- النجار محمد، النثر العربي القديم، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط٢/، ٢٠٠٢.
- يقطين، سعيد، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦.

مرجع باللغة الفرنسية:

Ricoeur (paul).Du texte a l'action.Essais d'herméneutique 2.Ed. Seuil. Paris. 1986. P.128.

أسلحة العصور الحجرية في الجزيرة العربية

من خلال الآثار والرسوم الصخرية

د. رحمة بنت عواد السناني

أستاذ تاريخ الجزيرة العربية القديم المشارك

بقسم العلوم الاجتماعية/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة طيبة/ المدينة المنورة

مقالات

المقدمة:

منذ نشأة الإنسان ووجوده على سطح الأرض لازمه الهلع والخوف الشديد من كل ما حوله من الظواهر الطبيعية، ومن كل من يعيش في البيئة حوله من حيوانات، ودواب، وزواحف ومن طيور ومن ظواهر لا يفهمها، ويخشى على نفسه وأطفاله وسائر أفراد أسرته منها؛ فعندما بدأ يتلمس خطاه في الحياة أصيب بالفزع من تلك المخلوقات التي تحيط به، إضافة إلى خوفه من الظواهر الطبيعية الأخرى كالمطر والرعد والبرق؛ فلجأ إلى الكهوف في أعالي الجبال؛ ليتخذ منها ملجأ وسكنًا وملاذًا آمنًا يحميه وأسرته من تلك الأخطار المحدقة، فكان يحتمي بتلك الكهوف حتى تزول تلك المخاطر، ومن ثم ينزل إلى الأودية ليمارس أنشطته اليومية المعتادة للحصول على الغذاء بطرق ووسائل متعددة.

ولكن مع تقدم الحياة لم يعد سكنى تلك الكهوف ضمانًا للحفاظ على أمنه وسلامته وأسرته، بل واجه خطرًا جديدًا آخر يهدد حياته يتمثل في الموت جوعًا؛ ذلك عندما تجذب الأرض ويحل الجفاف فتختفي النباتات التي يقتات على ثمارها،

وفي نفس الوقت كان يشاهد قطعان الحيوانات البرية تسرح وتمرح أمامه، ففكر حتى هداه تفكيره إلى أنها قد تسد رمقه وأولاده الجياع، لكن أخذ يتساءل عن كيفية السبيل للحصول عليها؛ فاستمر يفكر حتى اهتدى إلى صناعة

الفأس الحجرية اليدوية البدائية التي حرص على أن تكون خفيفة الحمل وزنًا وأنسب حجمًا لتلائم قبضة يده؛ عل مداها يصل للحيوان فتطرحه أرضًا فريسة له ولأسرته.

وهكذا اهتدى الإنسان الأول لبدايات صناعة الأسلحة منذ بواكير وجوده على الأرض، متمثلة في الفأس الحجرية اليدوية البدائية التي يرجح أنها البذرة الأولى لفكرة صناعة الأسلحة في العصور الحجرية، ولعل صناعة هذا السلاح حفظت الإنسان الأول من خطر مهاجمة الحيوانات المفترسة له ولأفراد أسرته، وتصدى بهذا السلاح – كذلك- لخطر الدواب كالأفاعي ونحوها، وهكذا دفع بهذا السلاح اليدوي البسيط أخطار عديدة كانت تهدد بالقضاء عليه وأفراد عائلته الصغيرة، علاوة على أهميتها الكبرى في صيد الحيوانات لتوفير الغذاء لإنسان العصور الحجرية وأسرته عندما تختفي النباتات وتقل الثمار.

إذن يمكننا القول إن فكرة الأسلحة قد ظهرت مع بداية العصور الحجرية؛ بدافع مواجهة خطري الجوع والموت باستخدام السلاح للحصول على الغذاء باصطياد الطيور والحيوانات الصغيرة، ولدرء خطر الحيوانات المفترسة والدواب التي كان من الممكن أن تفني حياة البشر على الارض، لولا التوصل لصناعة الأسلحة، فكانت الأسلحة بمثابة الوسيلة الأولى للحفاظ على الحياة البشرية بدرء خطري الجوع والموت.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذه الدراسة في قلة المصادر الأثرية المتمثلة في أسلحة ساكن الجزيرة العربية في العصور الحجرية؛ حيث يندر أن تتوافر في مجموعات واضحة ومصنفة بتصنيف العصور الحجرية التي عاشها الإنسان خلال المراحل الأولى من عمر الحضارة البشرية في العصور الحجرية أو ما يعرف بعصور ما قبل التدوين في الجزيرة العربية، وفي المقابل احتفظت صخور الجزيرة العربية بكافة مناطقها بمخزون كبير من الرسوم الصخرية التي تحتوي على أنواع عديدة ومتنوعة من أسلحة إنسان العصور الحجرية في المنطقة.

منهج البحث:

أما منهج البحث الذي ستسير عليه الدراسة؛ فهو المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى تحقيق أهداف الدراسة.

أهداف البحث:

وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع ظهور الأسلحة في الجزيرة العربية إبان العصور الحجرية من خلال الآثار المختلفة من رسوم صخرية وآثار منقولة تحمل في طياتها الكثير من تفاصيل حياة إنسان العصور الحجرية في الجزيرة العربية، وما تطلبته مراحل تلك العصور الحضارية من تطورات مختلفة شملت كافة مناحي الحياة: الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية.

وستسعى هذه الدراسة إلى وصف أشكال تلك الأسلحة، تأريخها، مناطق نشأتها قدر الإمكان، وستركز على استخدامات الأسلحة – آنذاك- سواء كان ذلك الاستخدام للدفاع عن النفس والاسرة، أو للصيد بهدف توفير الغذاء والقوت اللازمين لاستمرار الحياة، أو للصيد الذي يهدف للترفيه واللهو في أوقات الفراغ؛ للخروج من روتين الحياة اليومية، كما ستركز الدراسة على النتائج التي ترتبت على ظهور صناعة الأسلحة

وتطور صناعتها في العصور الحجرية على البيئة أو على حياة الإنسان.

كما ترمي هذه الدراسة إلى التعرف على أنـواع الأسلحة التي صنعها إنسان العصور الحجرية في المنطقة من خلال اللقى الأثرية، والرسوم الصخرية بدءًا من الفؤوس الحجرية اليدوية البدائية، والمدى الحجرية، والسكاكين، والنبال والرماح، والسهام، والأقواس، والدروع، والتروس، والأقنعة والخوذات.

ولعل أهم مناطق الرسوم الصخرية المتصلة بأسلحة العصور الحجرية – في الجزيرة العربية- منطقة حائل كونها تزخر بأهم وأقدم تلك الرسوم زمنًا وهي التي تم الكشف عنها في أماكن مختلفة من المنطقة مثل: الشويمس و جبّة؛ حيث سهّلت الصخور الرملية – في تلك المناطق- على الإنسان القديم الحفر فوقها، وقد نُفذت رسوم حائل الصخرية على الواجهات الصخرية بالحز والحفر الغائر وغيرها من الأساليب الفنية التي اتسمت بها الفنون الصخرية، وتمثِّل تلك الرسوم مظاهر حضارية عبّر من خلالها سكان تلك المنطقة- خلال العصور السابقة للتاريخ - عن أنشطتهم المعيشية وحياتهم اليومية، وممارساتهم الدينية، وتفاعلهم مع البيئة.

على إنّ معظم رسوم حائل يرجع إلى فترة ما قبل التاريخ أو العصر الحجري الحديث - أربع عشرة ألف سنة قبل العصر الحاضر تقريبًا – ومن بين تلك الرسوم ما يمثِّل أنواعًا عديدة من الحيوانات التي أستأنسها الإنسان ومن ثم استخدمها، أو تلك البرية التي كان يصطادها، مثل: الأبقار الوحشية، والوعول، والغزلان، والنعام، والماعز الجبلي، في حين يمثل بعضها صورًا تجريدية آدمية متجاورة تصوِّر احتفالات جماعية، أو ممارسات دينية، أو معارك حربية أو مبارزات ثنائية، أو رحلات قنص يظهر فيها الإيقاع التعبيري والحركة في ممارسات الصيد بالأسلحة، وصور الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور[١].

وتشير الرسوم الصخرية واللقى الأثرية في الجزيرة العربية إلى مجموعة من الأسلحة التي استخدمها الإنسان سواء في عصور ما قبل التاريخ المدون أو في العصور التاريخية من أجل الحصول على غذائه بصيد الحيوانات التي كانت تتوافر في بيئته، أو بهدف حماية نفسه أو أفراد أسرته من أخطار الحيوانات المفترسة والزواحف الضارة التي قد تلحق الأذى به وبأسرته بشكل أو بآخر، وقد صنعت هذه الأسلحة من العظام والاحجار – أنواع محددة منها- الأخشاب والنحاس والبرونز والحديد، ومن أنواع أسلحة الجزيرة العربية في عصورها الحجرية:

أ- الفؤوس الحجرية والسواطير والنصال والسكاكين :

يرجح أن الفأس الحجرية ظهرت منذ العصر الحجري القديم الأسفل ثم شهدت صناعتها تطورات متلاحقة بامتداد العصور الحجرية القديم والمتوسط والحديث ووصولاً إلى عصر البرونز والمعادن، وتعد الفؤوس الحجرية من بين أقدم الأسلحة التي عرفها إنسان العصور الحجرية في جنوب الجزيرة العربية، ومن أمثلتها فأس حجرية اكتسى لونها بالأخضر يؤرخ لها بالعصر الحجري الحديث[٢]، وتم العثور على أنصال ومكاشط ورؤوس سهام من موقع دوفرة في شرق الجزيرة العربية (شكل ١أ)، ومن تنقيات وادي فاطمة – مكة المكرمة – تم الكشف

عن أكثر من أربع وعشرين فأس يدوية حجرية تؤرخ بالفترة الآشولية بالمنطقة، وتتشابه مع نظيراتها التي تم الكشف عنها في موقع صفاقة قرب الدوادمي من حيث النمط وتقنية الصناعة، والتي أُرخ لها ب٢٠٠٠٠٠سنة (شكل ١ ب)[٣]، ومن اللقى الأثرية السطحية في موقع الدوسرية في شرق الجزيرة العربية العثور على نصل فأس صغير نُحت بمهارة وتم تنعيم سطحه (شكل ١ ج)[٤]، كما تم العثور في مدافن تيماء على بقايا فأس حجرية فقدت المقبض[٥] (شكل ١ د)، ومن جزر فرسان في جنوب الجزيرة العربية تم العثور على رأس فاس حجرية متقنة الصنع(شكل ١ و).

ومن أسلحة تلك العصور السواطير الكبيرة ذات الحواف والمناشير المصقولة التي تم العثور عليها بكميات كبيرة، ومن آثار وادي فاطمة العثور على ثلاثمائة واثنين من السواطير المؤرخة بالفترة الآشولية المذكورة[٦]، يضاف إليها النصال الصلصالية هلالية الشكل التي استمرت صناعتها في سهول تهامة حتى الألف الثاني ق.م[٧]، ومن شرق الجزيرة العربية وتحديدًا من مواقع حضارة العبيد المختلفة تم العثور على نماذج مختلفة من أسلحة تلك العصور من بينها: مثاقب وقواطع[٨]، كلها استخدمت بشكل أو بآخر في الحصول على الغذاء أو الدفاع عن النفس كسلاح بشكل رئيس للحصول على الغذاء أو الدفاع عن النفس، كما كانت تستخدم في ذبح وسلخ الحيوانات بعد صيدها.

ومن أنواع تلك الأسلحة التي وجدت في آثار الجزيرة العربية السكاكين؛ حيث تم العثور في حفرية الأخدود على سكين مصنوعة من الحديد تتميز بوجود مقبضين لها ثبتت بالمسامير، وإن تأثرت بالأكسدة الشديدة[٩]، ومن وادي فاطمة تم الكشف عن أكثر من سبعة وثلاثين سكينًا تؤرخ بالفترة الآشولية[١٠]، ومن شرق الجزيرة العربية وتحديدًا من مواقع حضارة العبيد المختلفة تم العثور على نماذج مختلفة من السكاكين الحجرية من بينها: سكينًا صنعها إنسان ذلك العصر من الحجر ليقطع بها أو يصطاد الحيوانات[١١]، كما تم العثور في موقع الدوسرية شرق الجزيرة العربية – التي يؤرخ لها بالعصر الحجري المتوسط في الجزيرة العربية - على مجموعة من الأسلحة من بينها كسرة سكين مصنوعة من حجر السبج أو الأوبسيديان[١٢] الحجر البركاني[١٣]، كما تم العثور على الجزء السفلي لسكين كبيرة مصنوعة في جنوب الجزيرة العربية في آثار مدينة فيد التاريخية، ومما لا شك فيه أنها صُنعت في فترة متقدمة[١٤].

ب- الرماح والحراب: تأتي الرماح في المرتبة الثانية من حيث تاريخ ظهورها في لقى ورسوم الجزيرة العربية القديمة، ودورها في الحفاظ على النوع البشري في المنطقة من الهلاك جوعًا أو افتراسًا من قبل الحيوانات والدواب آنذاك؛ حيث تظهر بشكل مكثّف في الرسوم الصخرية، ويعتقد البعض أنها ظهرت في العصر الحديدي، وتصنع الرماح من قطعتين قناة الرمح والنصل الذي أصبح يصنع من الحجر ومن الخشب في فترة لاحقه، وقد اقترن هذا النوع من السلاح بشكل كبير براكبي الخيول في حالتي الحرب أو الصيد[١٥].

ومن منطقة القلعة جنوب سكاكا- شمال الجزيرة العربية- تم الكشف عن مجموعة رسوم صخرية لرجال صوروا، وهم يحملون رماحًا طويلة جدا ويقفون في صفين متقابلين، والأقرب

إنها لوحة صخرية لمعركة تمثل صراعًا بشريًا ليكون البقاء للأفضل (شكل ٢أ)، كما تصور رسوم منطقة سكاكا الجوف فرسان يحملون رماحًا طويلة يهاجمون بها مجموعة من الحيوانات من بينها: الثيران، والإبل والوعول والنعام في لوحة تقدم لنا مشهدًا لعملية الصيد والقنص في تلك العصور (شكل٢ب)[١٦]، كما تحمل رسوم جبل يا طب الصخرية[١٧] فرسانًا يحملون رماحًا طويلة في مشاهد متتالية[١٨].

ومن رسوم سبخة الظبطية[١٩] رسم لخيال ظهر ممسكًا برمح في وضع الاستعداد للرمي أو الصيد، ويؤرخ لهذه الرسمة بمرحلة العصور البرونزية ٢٠٠٠-١٥٠٠ق.م والعصور الحديدية ١٥٠٠ق.م على وجه التقريب[٢٠]، ومن منطقة قارة الحيران[٢١] رسم صخري لخيول يمتطيها أشخاص يحملون رماحًا طويلة[٢٢]، ومن رسوم وادي الريانية[٢٣] الصخرية رسم لخيل يمتطيه خيّال بيده رمح وهو يصطاد وعلاً، ويتضمن رسم آخر- من وادي الجريدل - في وادي الدواسر مشهد لرجل يعلو فرسه وبيده رمح وامامه جمل(شكل٣أ)[٢٤]، أما رسوم وادي تربان[٢٥] الصخرية رسم لخيل يمتطيها رجل ظهر في حالة قتال؛ حيث صُور وهو يرمي برمحه (شكل ٣ب)، وكذلك من رسوم جبل عليق[٢٦] الصخرية رسم لفارس يعلو خيله، وقد أمسك بيده رمح موجه صوب وعل يجري[٢٧].

وتظهر الرماح غالبًا بيد الفرسان؛ حيث يظهر الفارس، وهو يصوب بها على فريسته أو عدوه من بني جنسه، وتختلف الرماح في صناعتها وإن اتفقت بطولها غالبًا إلا أن منها المقوس ومنها ذات الأشكال المستقيمة، وتستخدم الرماح غالبًا في الحروب على صهوات الخيول والجمال أو لصيد الحيوانات المتوحشة كالوعول والغزلان، أو الطيور الكبيرة كالنعام، وتختلف أشكال الرماح من منطقة لأخرى، ويرجح أن الرماح ظهرت في العصر الحجري الحديث وارتبطت غالبًا براكبي الخيول (شكل٤أ)[٢٨]، ومن رسوم الرياض الصخرية لوحة من جبل أم كف تمثل مشاهد صيد من بينها رسم لمجموعة من الرجال يمتطون خيولاً ويطاردون مجموعة من الوعول باستخدام الرماح في عملية الصيد المذكورة (شكل ٤ب)[٢٩].

ومن رسوم سراة عبيدة الصخرية رسمة لفارس ظهر وهو يتصدى لرمح، على أن الفرسان في الرسوم الصخرية يظهرون غالبًا وهم يحملون الرماح باليد اليمنى والترس أو الدرع باليد اليسرى(شكل٤ج)، ومن رسوم منطقة تثليث في جنوب الجزيرة العربية فارس يحمل رمحه ويلبس خوذة بريش، وتظهر الرماح في الرسوم الصخرية في خيبر في منطقة المدينة المنورة؛ حيث تصور لوحات جبل طيران[٣٠] فرسان على ظهور خيولهم وهم مدججين بأسلحة عديدة من بينها الرماح[٣١]، وتصور رسوم نجران الصخرية كذلك عملية صيد للجمال الوحشية باستخدام الرماح الطويلة[٣٢]، ومن جنوب الجزيرة العربية – من الأخدود- تم العثور على رأس رمح (شكل٤ د) .

وتتميز بعض رماح منطقة تثليث من خلال رسومها الصخرية أحيانًا بكونها ذات أشرطة مضلعة (شكل ٥أ)[٣٣]، ومن رسوم نجران جنوب المملكة الصخرية فرسان يمتطون صهوات الخيول وبأيديهم رماحهم الطويلة[٣٤]، وتظهر الرماح الطويلة كذلك في رسوم ظهران الجنوب؛ حيث تبرز الرماح بأيدي الفرسان على خيولهم

في لوحات تكتظ بالخيول والفرسان المسلحين برماحهم؛ مما يؤكد كونها معارك كانت تدور بين الفرسان حينها، كما تُظهر رسوم خميس مشيط الصخرية الفرسان على خيولهم وقد تسلحوا برماح طويلة اتسمت بلونها الاسود[٣٥].

ومن رسوم منطقتي خميس مشيط وبيشة الصخرية تتكرر مشاهد الفرسان على خيولهم وهم يحملون الرماح باليد اليمنى والتروس باليسرى حماية لأنفسهم من طعنات رماح معادية، وتميزت معظم رسوم بيشة بظهور الفرسان بأحجامهم الطبيعية[٣٦]، ومن رسوم منطقة النماص الصخرية في موقع يعرف بذي يمش[٣٧] رسم لوعل جريح أصابته إحدى رماح الصيادين[٣٨]، ويؤرخ للوحة الفنية بالعصر النحاسي طبقًا للون الداكن الذي يغطي اللوحة(شكل ٥ب)، وليس ببعيد عن اللوحة الأولى رسم لوعل آخر اخترقت جسده رماح الصيادين كذلك[٣٩]، ومن لوحات منطقة تثليث رسمة لماعز جبلي اخترق جسده رمح أحد الصيادين[٤٠] (شكل ٥ج) .

ومن أبرز المعثورات الأثرية التي وجدت في مدافن تيماء - شمال غرب الجزيرة العربية- الأسلحة ومن بينها الرماح؛ حيث تم الكشف عن رأس رمح مصنوع من البرونز طوله ١٧,٥سم، ويبلغ قطر فوهة المقبض ١,١ والوزن ٦٥,٥٦غرام، كما تم العثور على رأس رمح فقد جزء من رأسه المدبب وجزء من مدخل القصبة، ويبلغ طوله ٤,٥ سم وعرض النصل ٢,٧ والوزن ١٨,٧٧ غراما[٤١]، كما وجدت رؤوس الرماح في مدافن تيماء (شكل ٥ د)[٤٢]، مما يشير إلى أهمية هذه الأسلحة للفرد حتى حرص على مرافقتها له في قبره وربما عالمه الآخر.

وتتسم خريبة العلا بوفرة رسومها الصخرية ومن بينها؛ رسمة تمثل مشهدًا لمعركة بين رجلين باستخدام الرماح، وتحمل رسوم أخرى مجاورة معارك ضارية بين فريقين تدور رحاها من فوق ظهور الجمل ويستخدم الرجال خلالها الرماح الطويلة، أما رسوم قارة منقرة في العلا فتصور خيول بذيول مشرشرة وعليها رجال يحملون رماحًا طويلة كذلك[٤٣]، ولا تخلو رسوم وادي المعتدل[٤٤] [٤٥](•) الصخرية من رسوم لأشخاص يتعاركون مستخدمين الرماح[٤٦].

ومن رسوم منطقة رنية بالطائف وتحديدًا من جبل القنعية[٤٧] مناظر لمعارك بالرماح[٤٨] (شكل ٦ أ)، ويحمل رسم آخر من موقع ذي يمش مشهد للصيد – غالبًا-؛ حيث يظهر رسم لوعل قد اخترق الرمح جسده فوقع على الأرض[٤٩]، وتحمل بعض صخور منطقة العلا بالقرب من مدائن صالح مشهدًا لصيد- على الأرجح - ظهر من خلاله رجل رسم بالأسلوب العودي[٥٠]، وقد امتطى حيوانًا أقرب ما يكون للحمار، وحمل بيده رمحًا طويلاً على ما يبدو ليصطاد به جملاً كبيرًا (شكل٦ ب)[٥١].

كما تحمل لوحة أخرى على إحدى صخور جبل الغُهين[٥٢] في منطقة الحناكية حُفرت بشكل جميل - وغطت حيزًا بامتداد عشرة أمتار- مشهدًا مرسومًا لصيد أو ممارسة شعائر دينية يضم تسعة رجال أتسموا بالأصابع النحيلة، وقد ظهر أحدهم وقد انفرجت ساقاه، وظهر آخر، وهو يحمل رمحًا، ويؤرخ لهذه الرسوم الصخرية في الفترة من ٤٠٠٠-٢٠٠٠ق.م استنادًا على أسلوب ومستوى الصنعة (شكل٦ ج)[٥٣]، وتحمل صخور جبل طيران في خيبر رسمًا آدميًا نُفذ بالأسلوب العودي لشخص ظهر وقد رفع يديه

عاليًا وحمل سلاحًا ما ربما رمحًا وظهرت أمامه ثلاث نعامات، فربما يصور هذا المشهد مشهدًا لصيد طائر النعام باستخدام الرماح(٥٤).

وتحمل صخور خيبر في شمال منطقة المدينة المنورة رسومًا لخيول ظهرت وقد اعتلى ظهورها أشخاص يحملون أسلحة أقرب ما تكون لرماح طويلة، ما يمكن القول معه إن مثل هذه اللوحة تشير إلى معارك تدار من فوق ظهور الخيول(٥٥)، كما حملت بعض صخور وادي الوطيح(٥٦) في خيبر كذلك رسوم لمعارك تدور على ظهور الخيل، وإجمالاً يستخدم المتحاربون رماحًا طويلة في تلك المعارك، وقد نفذت مثل هذه الرسوم بالأسلوب العودي التجريدي(٥٧).

ومن الرسوم الآدمية التي تظهر بوضوح على صخور منطقة الليث الفرسان الذين يمتطون صهوات جيادهم؛ حيث ظهروا وهم يعتلون خيولهم، ويحملون أسلحتهم المتمثلة في الرماح(٥٨)؛ والملاحظ هنا كثرة عدد أولئك الخيالة (شكل ٧أ)، ويعد وادي بني يزيد(٥٩) الذي تحيط به جبال المضباع موقعًا غنيًا بالرسومات والأشكال والوسوم، ومن بينها ثلاثة وعشرون شكلاً آدميًا يمتطون خيولهم ومعهم أسلحتهم من الرماح(٦٠)؛ مما يشير إلى أن أصحاب هذه الرسوم كانوا في حالة حرب، أو استعداد لمعركة ما، وربما في رحلة صيد.

ويعد موقع ريع الكتب في وادي الكفو(٦١) من أكثر مناطق الرسوم الصخرية التي حملت صفحاتها رسوم الوعول؛ حيث تم العثور على لوحة فنية كبيرة تزدان بالنقوش الثمودية والأشكال الآدمية والحيوانية التي احتلت رسوم الوعل فيها المقدمة من حيث عددها، فقد رُسم اثنان وخمسون وعلاً؛ والجدير بالذكر أن هذه اللوحة الفنية ربما شكلت منظرًا لعملية صيد الوعول استنادًا إلى كثرة عددها، والتي يرافقها رسم لستة وخمسين شكلاً لرجال يمتطون ظهور خيولهم ويحملون رماحهم في مطاردة هذه الوعول في محاولة لقنصها على الأرجح(٦٢)، وفي لوحة جميلة حفرت رسومها على صخور جبل العرفاء(٦٣) – في الطائف في مكة المكرمة- مشهد لرجال يمتطون الجمال ويحمل بعضهم الرماح في حين يقوم بعضهم بحركات معينة ربما مشاهد طقسية أو رقص، وتظهر رسوم لبعض ماعز الجبل، أو الوعول على الأرجح في عملية صيد على ما يبدو (شكل ٧ب)(٦٤).

وتزدحم صخور سفح الجهة الشرقية من منطقة قلبان الشريعة بالقرب من سبخة الضبطية من وادي المياه – شرق الجزيرة العربية- بالرسومات والمخربشات، ومن هذه الرسومات رسم فارس بشعر طويل يحمل بيده رمحًا طويلاً وباليد الأخرى لجام الفرس، وهو يهم للقيام بحركة هجومية اندفاعية ونُفذت الرسمة بالأسلوب التخطيطي التجريدي(٦٥) (شكل ٧ج)، كما يوجد في الموقع ليس بعيد عن الرسمة السابقة رسم لفارس وطائر نعام، ظهر الفارس يحمل رمحًا بيده ويمسك بالأخرى بلجام الفرس، وقد نُفذ الرسم بالأسلوب العودي، وقد أظهر الرسام الفارس وفرسه بحركة مختلفة كما لو أراد أن يبرز وقوف الفرس على الرجلين الخلفيتين قبل أن يقتنص الفارس طائر النعام (شكل ٧ د)،على أن رسم هذه النعامة يُعد الوحيد في هذا الموقع وأيضًا في المواقع الأخرى من وادي المياه ربما لندرتها في الوادي، ولقد رسمت هنا بأسلوب تخطيطي تجريدي(٦٦).

ومن اللوحات الفنية في هذا الموقع – كذلك-

مشهد صيد للجمل؛ حيث ظهر فارس ممسك برمح وممسكًا بالفرس من شعر الرقبة وهو متوجه للجمل، وظهر الجمل بسنام كبير وذيل للأعلى أضيف عليه التقويس وشعر الذيل لاحقا[٦٧].

ومن رسوم كهوف شعب الحميمة الذي يقع شمال شدا الأعلى[٦٨]، على ارتفاع ١٢٠٠م ويشرف على وادي الجوف من جهته الشمالية؛ حيث عثرت في هذا الشعب على ثلاثة كهوف تحتوي على رسوم مختلفة، وتقع الرسوم في تجويف غائر على شفير كهف واسع جميل، والرسوم عبارة عن لوحة يظهر فيها قطيع من الغزلان، وأنواع من السباع كالأسد والنمر- الذي ما زال يتخذ من بعض كهوف هذا الجبل ملاذًا أخيرًا له - ويظهر أمام الأسد فريسة قد أجهز عليها، يريد التهامها، ومن خلفه جمل يسير بحركة سريعة، يوحي بذلك نيله المرتفع وقوائمه الممتدة والمتباعدة، ويمتطي ظهر هذا الجمل رجل ظهرت إحدى يديه تحمل رمحًا في حالة استعداد للرمي، أما يده الأخرى فتمسك بخطام الجمل، وإلى جوار هذا الكهف كهف آخر صغير في جوفه رسم لرجل يمتطي ظهر جمله في هيئة تماثل الصورة الأخيرة؛[٦٩]، ومن رسوم محافظة عفيف الصخرية – منطقة الرياض- رسم نحت على السفح الغربي لجبل كف يصور فرسان يمتطون خيولاً ويطاردون وعولاً لاصطيادها بالرماح[٧٠]، على أن رؤوس الرماح الحجرية وجدت بكثرة في مختلف انحاء الجزيرة العربية (شكل ٧هـ).

أما الحراب فتظهر ضمن أسلحة الجزيرة العربية القديمة، وقد آثرنا إدراجها مع الرماح لتشابههما في الشكل والهدف، غير أن الرماح تختلف عن الحراب بكون الرماح رأسها عريض بينما الحربة رأسها مذبب وطويل، فمن المنطقة الشرقية ومن مدافن أحد التلال في جنوب الظهران تم العثور على رأس حربة مجوفة من الطرف السفلي بداخل المدفن[٧١]، ومن شرق الجزيرة العربية –كذلك- ومن مواقع حضارة العُبيد الجنوبية تم العثور على رؤوس حراب صُنعت من الحجر لاستخدامها في قتل الأعداء أو صيد الحيوانات[٧٢]، ومن جنوب الجزيرة العربية من منطقة تهامة تم العثور على بقايا رؤوس ثلاث حراب معدنية (شكل٨)، وتحمل رسوم جبل طيران الصخرية في خيبر رسوم لفرسان يمتطون صهوات جيادهم ويحملون بأيديهم الحراب الطويلة[٧٣].

ج- الاقواس والسهام: أما الاقواس والسهام فهي- كذلك- من أقدم الأسلحة استعمالاً وشيوعًا، وتنتمي لأسلحة العصور الحجرية، ومن بينها أقواس وسهام منطقة الدوسرية – المؤرخة بالعصر الحجري المتوسط في الجزيرة العربية- في شرق الجزيرة العربية؛ حيث تم الكشف عن مجموعة من رؤوس السهام الحجرية (شكل ٩أ)، كما تم العثور على رأس سهم مشغول من الوجهين مجنح ومصقول (شكل ٩ ب)[٧٤]، وتم الكشف -كذلك - عن عدد من رؤوس الاسهم المجنحة (شكل ٩ ج)[٧٥]، ومن نفس الموقع تم العثور على خمسة رؤوس سهام مشذبه ثنائيه الوجه[٧٦].

كما تم العثور في الدوسرية شرق الجزيرة العربية – كذلك- على بعض الآثار للأسلحة من بينها رأس سهم مكتمل (شكل ٩ د)[٧٧]، ووجدت في موقع الدوسرية أيضًا شظتي عظام أحد طرفيها مدبب والآخر مسطح اتُخذ من عظم

فخـذ حيوان كما يدل شـكله المحدب وقعر وجهه الداخلي، وتدل أشكال هذه الأدوات على استعمالها مع أدوات أخرى؛ حيث يثبت الطرف المسـتدق إلـى نصل ربما اسـتعملت القطعتيـن العظميتين كرؤوس سهام صغيرة[٧٨]، ومن مدافن الظهران في شـرق الجزيرة العربية تم العثور على رأس سـهم من البرونز اتسم بدقة الصناعة، بالإضافة إلى أربعة رؤوس سهام تم الكشف عنها في مدفن آخر ولاشـك أنها كانت أسـلحة للمتوفين رافقتهم بعد موتهم[٧٩].

ومن منطقة ياطب تم العثور على رسوم صخرية تمثل رجال يحملون سهام وأقواس تشابه الأقواس والسهام التي تظهر في رسوم منطقة سيناء الصخرية المؤرخة بالعصر الحديدي[٨٠]، ومن رسوم وادي الشملي[٨١] الصخرية في منطقة حائل رسـوم بشرية نفذت بالطريقة التخطيطية، وظهر فيها الرجال وهم يحملون الأقـواس والسهام ليصطادوا الوعول وطيور النعام[٨٢]، من القصيم من منطقة الحنادر تقع إلى الغرب من الجواء على بعد ١٥ كم منها- وهي عبارة عن أكمتين جبليتين حمروان على رأس جال مشرف- رسم صخري لرجال، وقد أمسك أحد الرجال في اليد اليسرى قوس كبير مُعد للإطلاق وفي اليمنى سهم مثبت في منتصف القوس مصوب نحو وعل يقف بمواجهة الصياد ويقف خلف الوعل كلب، ربما يساعد الصياد في القضاء على الوعل (شكل ٩ هـ)[٨٣].

وتقترن رسوم الاقواس والسهام عادة بالرسوم الآدمية؛ حيث يشاهد الرجل وهو يمسك بالقوس والسهم أو هو يصوب سهامه باتجاه الهدف غـزال كان أو وعل أو خلافه، ومن الرسوم الصخرية في وادي العقيق[٨٤] منظر لفارس رسم بأسلوب الرسم العودي، ويتسم بصغر الرأس وطول الذراعين، وظهر الرجل يحمل في يده اليمنى قوسًا أو عصى، وقد أمتطى فرسًا (شكل ١٠أ)[٨٥].

وتكثر الرسوم الآدمية التي رسمت بالأسلوب العودي على بعض صخور منطقة المدينة لاسيما صخور منطقة العين[٨٦] الواقعة على بعد ٢٤ كم شمال شرقي خيبر، كما تحمل بعض صخور جبل طيران رسوم آدمية لأشخاص يمتطون صهوات جيادهم، وقد رفعوا الأقواس في مشاهد أقرب ما تكون للصيد(شكل١٠ب)[٨٧]، وتظهر الأسلحة بكثرة في رسوم جبة الصخرية في حائل بكثرة، وهي ترافق غالبًا الاشكال الآدمية، ولا سيما الأقواس والسهام(شكل١٠ ج)[٨٨].

وقد وجدت الاقواس والسهام أيضًا في عدد من اللوحات التي عُثر عليها في منطقة عسير؛ حيث ظهرت مقرونة بالأشكال الآدمية فيشاهد الرجل عادة وهو يمسك القوس والسهم في حالة وقوف، وفي بعض الرسومات نرى الرجل، وهو يصوب سهامه باتجاه الهدف المراد الذي غالبًا ما يكون حيوان الوعل أو الغزال (شكل ١٠د)؛ بمعنى أنها استُخدمت في عمليات الصيد على نطاق واسع يؤكد ذلك رسوم صخرية من وادي الشملي في حائل تمثل نشاهد مطاردة لطيور مثل النعام وحيوانات مثل الوعول والغزلان باستخدام أسلحة من بينها الأقواس والسهام[٨٩]، ومن رسوم جبل قارا الصخرية تكثر مناظر الأقواس المحنية الملازمة للرسوم الآدمية (شكل ١٠هـ)[٩٠].

ومن رسـوم جبـل الضـروة[٩١] ـ وهو جبل تضـم واجهاتـه المتسـاقطة عـددًا مـن النقوش الصخرية متنوعة الأشـكال والأحجام ـ مشـاهد تضم رسـومات لوعول بهيئـة رؤوس الطيور،

وأشكال آدمية برؤوس على شكل الخطاف تحمل أقواسًا ونبالاً ومصاحبة لأشكال حيوانية، وتُعد صورة الصياد الذي يمسك قوسًا ونبالاً وأمامه غزال من أشهر الصور كونها توحي بعملية صيد(٩٢).

وتحمل رسوم جبل ورانت - يقع شمال رنية بالقرب من الطائف- منظرًا لمعركة يستخدم فيها الأقواس والسهام(٩٣)، كما تكثر في رسوم جبل قارا المشاهد التي تتضمن الأجساد والأذرع العصوية التي تحمل الأقواس المنحنية التي تظهر عادة مع الرجال(٩٤)، ومن موقع جبل العرفاء في الطائف – المؤرخة بالعصر البرونزي بالمنطقة - مشاهد لمعارك تستخدم فيها السهام والأقواس(٩٥).

وتكثر السهام والأقواس في رسوم منطقة أبها الصخرية؛ حيث تقترن عادة بالرسوم الآدمية فيشاهد الرجال غالبًا، وهم يمسكون بالأقواس والسهام أوهم يصوبون سهامهم باتجاه الغزلان والوعول(٩٦)، ومن شمال الجزيرة العربية من تيماء رسم صخري يصور فارس يركب جمل ويثني قوسه استعدادًا لإطلاق السهم المصوب باتجاه وعل يقفز أمامه (شكل١١أ)، ومن رسوم جنوب الجزيرة العربية – كذلك- رسوم لرجال ونساء يهمون بإطلاق السهام من أقواسها، ويظهر رجل وهو يشد القوس للخلف استعداد لإطلاق السهم أو النبال(٩٧)، وليس بعيد عن هذه الرسوم لوحة أخرى لفرسان يصوبون سهامهم تجاه فرائسهم، ويظهر فارس آخر قد جثا على ركبتيه وثنى قوسه ليصوب سهمه باتجاه شيء ما(شكل ١١ ب)(٩٨).

والجدير بالذكر أنه تم العثور في موقع العيينة(٩٩)- الذي يؤرخ له بالعصر الحجري الحديث في المنطقة على رؤوس سهام مما يشير إلى ممارسة الصيد البري في المنطقة آنذاك باستخدام السهام(١٠٠)، وتكثر رسوم الخيالة عادة على خيولهم وهم يتسلحون بالسهام والأقواس التي تختلف في أشكالها وأحجامها(١٠١)، وتظهر السهام عادة مرافقة لرسوم بشرية كبيرة الحجم يرتدي أصحابها غطاء للرأس من الريش، وتمسك باليد أسلحة متنوعة من بينها السهام، وكذلك الدروع التي تحافظ على سلامة أجسادهم في حين تحافظ الخوذ أو أغطية الرأس على رؤوسهم(١٠٢).

د- السيوف: ومن رسوم المنطقة الشرقية رسم لفارس ملامحه ليست واضحة ظهر، وهو ممسكًا بسيف مقوس نُفذ رسم جسم الفرس بحركة انسيابية رشيقة برأس ليس واضح والذيل مقوس للأعلى، وقد نُفذ الرسم بالأسلوب التخطيطي التجريدي، كما تُظهر رسمة أخرى فارس ممسكًا بسيف مقوس بيد ويمسك لجام الفرس بيده الأخرى والساقين متدليين للأسفل وذيل الفرس مقوس للأعلى رُسم بالأسلوب التخطيطي التجريدي(١٠٣)، ومن رسوم أحد رفيدة الصخرية – في جنوب الجزيرة العربية- رسم لفارس ظهر، وهو يلبس فوق خاصرته حزام يتدلى منه سيف(شكل١٢أ)(١٠٤)، ومن رسوم جبل قارا الصخرية تظهر السيوف معلقة بخصور عدد من الرسوم البشرية ومن بينها رسم لفرسان يحملون السيوف (شكل١٢ ب)(١٠٥)، كما ظهرت النساء في رسوم جبل قارا وهن يحملن السيوف والخناجر(١٠٦).

ومن رسوم جبل شذا المنفذة داخل كهف على صخرة عظيمة ملقاة على سفح جميل سهل الانحدار يسمى هُريتة مليء بالكهوف الواسعة، ويقع إلى الشمال الغربي من جبل شذا الأعلى

على ارتفاع ٩٠٠م، ونظرًا إلى تلك الرسوم أطلق عليه الرعاة من أهل ذلك المكان يسمونه اسم غار الكَتْب، وهذه الرسوم هي عبارة عن أشكال حيوانية وآدمية رسمت بصبغ أحمر من مادة الهيماتيت[١٠٧]، وقد نُفذ الرسم على مساحة كبيرة من جدار الكهف، وهو لعدد من الأنواع البقرية المنقرضة، ويحيط بهذه الأبقار رسوم بشرية في وضع يوحي بأنها في وضع راقص، فإلى أعلى الرسم من جهته اليسرى، يظهر رجل يرتدي سيفًا على خاصرته، وذراعاه مرفوعتان إلى الأعلى، وإلى جواره امرأة وطفل أو طفلة، وإلى الأسفل من هذا عدد من الرجال لنفس الرسام، ولكن بلون مغاير، وهؤلاء الرجال يظهرون في وضع راقص أيضًا، ويرتدون سيوفًا على خصورهم، وعلى يمين هذه اللوحة في كهف هريتة نفسه يوجد رسوم أخرى، ولكن تباين اللون وطريقة الرسم توحي بأنها رسمت في فترة زمنية مختلفة، وهذه المجموعة من الرسوم تمثل عددًا من الحيوانات، من بينها رسم لحيوان يشبه البقرة، وآخر يشبه الكلب أو الذئب، وعدد من النعام، وربما أوحت رسوم النعام هذه ببيئة مناخية متأخرة بدأ يسود فيها الجفاف، ويقف إلى جوارها رجل طويل القامة واضح الساقين، يداه مرفوعتان، ويعلق في خصره سيفًا[١٠٨].

ومن لوحات منطقة بلقرن في جنوب الجزيرة العربية الصخرية تظهر السيوف والخناجر بأيدي الفرسان، أو يبرز رسم الفارس وقد تمنطق السيف على خصره (شكل١٢ج)[١٠٩]، ومن تثليث رسم صخري يلبس حزام يحيط بخصره، ورسم لآخر لرجل يلبس حزام في الوسط ويتدلى منه ما يمكن أن يكون جراب لحمل انواع من الأسلحة كسيوف وربما خناجر[١١٠]، وربما كان الجراب المذكور مخصص لحمل الخنجر أو ما يعرف بالجنبية، ويؤكد ذلك إحدى اللوحات التي تمثل رسم لرجل يمسك بسلاح أو يضع يده على سلاحا تحت خاصرته[١١١].

ومن رسوم جبل السودة الصخرية تظهر لنا أشكال السيوف التي تتسم بطولها غالبًا، والتي شاع استخدامها في المنطقة للقتال أو الصيد[١١٢]، ومن رسوم من قرية الفية من بلاد رازم في أبها رسوم لرجال يتمنطقون بأسلحة سيوف غالبًا (شكل١٢ د)، على أن أشكال السيوف في بعض الرسوم الصخرية ارتبطت بمشاهد الرقص، الذي يوحي ربما بطقوس دينية أو اجتماعية مارسها إنسان تلك العصور؛ حيث يظهر الرجال وهم يرفعون السيوف للأعلى بحركات جميلة المحفورة على صخور جبل ثهلان بمحافظة الدوادمي غرب مدينة الرياض(شكل١٢هـ)[١١٣]، وتظهر السيوف في رسوم جبه الصخرية – في حائل- وقد استعملها الرجال في المبارزة[١١٤] (شكل١٢و).

هـ- العصي المدى والهراوات: لا تخلو رسوم الجزيرة العربية من تصوير المدى أو الهراوات، على أن الهراوات والمدى من قطع الأسلحة التي استخدمها الانسان لحماية نفسه أو لمهاجمة عدوه وإلحاق الضرر به أو للصيد، وقد استخدمت المدى والهراوات – على الأرجح- قبل معرفة وصناعة الأسلحة الحديدية والنحاسية[١١٥]، ويمكن أن نستنتج من الرسوم الصخرية استخدام الإنسان العصي والهراوات كنوع من الأسلحة في المعارك كما في لوحة صخرية من وادي تثليث؛ حيث تظهر رسومات رجال يستخدمون الهراوات والعصي في المعارك (شكل ١٣أ)[١١٦]، وتحمل أحدى لوحات بلقرن

الصخرية رسمًا لفارس يحمل مدية أو هراوة تتدلى من أعلى كتفه (شكل ١٣ب)[١١٧].

وتظهر لوحات سراة عبيدة الصخرية كذلك رسومًا لمجموعة من الفرسان يحملون مدى أو عصى خشبية ملوية (مشاعيب) يهاجمون به الأعداء(شكل ١٣ج) [١١٨]، كما تم العثور في أحد رفيدة عثر على رسم صخري لفارس يمتطي جواده ويحمل في يده اليمني سلاحه المتمثل في مدية (شكل ١٣د)[١١٩]، ومن الرسوم الصخرية التي تم الكشف عنها في الرياض رسم لشخصين متقابلين في حالة صراع وبيد أحدهما عصا يمسك بها ويرفعها للأعلى وكأنه يهم بضرب الشخص الذي يقف أمامه ويتصارع معه[١٢٠]، ومن رسوم أبها الصخرية فرسان يقاتلون على ظهور الجمال وبأيديهم عصي.

و- الدروع والتروس: وكما اعتنى الإنسان في الجزيرة العربية بصناعة أنواع عديدة من الأسلحة للحصول على غذائه وحماية نفسه وأسرته من الأعداء من الحيوانات والزواحف وبني جنسه، فقد اهتم كذلك بصناعة بعض الأدوات التي تعينه في الوقاية من تلك الأسلحة إذا ما صوبت إليه من قبل أعدائه من البشر، ومن بينها الدروع والتروس وخوذ أو أغطية الرأس التي صُنعت من مواد مختلفة تتوافر في البيئة وتطورت صناعتها – كالأسلحة – بتطور الحضارة وتقدمها، وكان الهدف الرئيس من صناعتها حماية نفسه من أخطار الأسلحة المختلفة؛ حيث تظهر الدروع[١٢١] والتروس[١٢٢] – في رسوم الجزيرة العربية – مقرونة بالرجال؛ حيث إنها تتصل عادة بحماية الجسم والرأس من ضربات أسلحة الأعداء فالدروع تحمي الجسد من السهام والرماح، بينما تحمي التروس الرأس من ضربات السيوف والرماح، وغالبًا ما تظهر الرسوم الصخرية في الجزيرة العربية الرجال وهم يقبضون على التروس بأيديهم اليسرى، ويحملون في أيديهم اليمنى أسلحة أخرى (شكل ١٤أ)[١٢٣].

وتقترن التروس كذلك في الرسوم الصخرية عادة بالرماح – كما ورد- ومن ذلك رسمًا يظهر فارسًا يحمل بيده اليمنى رمحًا وبيده اليسرى ترس يتحصن به على الأرجح[١٢٤]، ومن رسوم جبل أم الثقا بآل سرحان رسم لفارس ظهر، وهو يحمل بيده اليمنى رمحًا وباليسرى ترس ليحمي نفسه به من ضربات رماح ونبال الأعداء[١٢٥]، ومن رسوم الوغنية[١٢٦] رسم لرجلين يحملان في يد كل منها رمح وبيد الآخر ترس لحماية الرؤوس والصدر (شكل ١٤ ب)[١٢٧]، وكذلك يستخدم الترس لصد ضربات السيوف لا سيما في حالة المبارزة.

ز- أغطية الرأس: اهتم سكان الجزيرة العربية القدامى – كما تدل رسومهم- على حماية رؤوسهم من ضربات أسلحة الأعداء على اختلاف أنواعها، يؤكد ذلك أشكال أغطية الرأس المتنوعة أو ما يعرف بالخوذات[١٢٨] التي تحمي الرأس بالدرجة الأولى؛ حيث إنه الجزء الأوضح والأكثر عرضة لإصابة بالرماح أو السهام، ومن ذلك رسوم الصويدرة[١٢٩] الصخرية رسوم لأشخاص يحملون بأيديهم السهام والأقواس ويحمون رؤوسهم بما يشابه القبعات، ومن رسوم منطقة وضحى جنوب غرب تيماء رسوم صخرية لفرسان، وقد تدلت على ظهورهم أغطية الرأس[١٣٠]، ومن رسوم جبل قارا رسوم لأشخاص يرفعون أيديهم ويمسكون رماح وتروس بيضاوية، ويحمون رؤوسهم بأغطية

رأس مكسوة بريش الطيور (شكل ١٥أ)[١٣١].

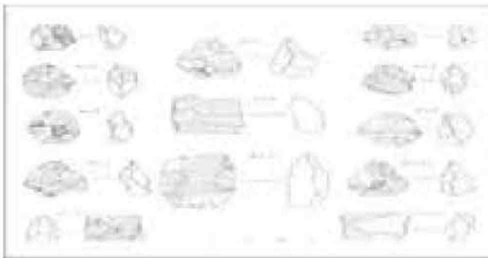
ومن رسوم منطقة جنوب الجزيرة العربية لوحة تصور فارسًا يحمل سلاح يشابه المنجل وقد ارتدى غطاء رأس مكسو بالريش؛ حيث خرجت ثلاث ريشات من الخوذة (شكل ١٥ ب)[١٣٢]، ومن رسوم منطقة تثليث صورة لفارس يحمل رمح ويرتدي خوذة على رأسه يغطيها الريش[١٣٣].

وقد خلص البحث إلى عدة نتائج من أهمها:

- توفرت المعادن في الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل معرفة الكتابة ومنها صنع سكان المنطقة أسلحتهم كالرماح التي ظهرت في الرسوم بشكل كبير جدًا.
- ترافق الأسلحة غالبًا المتوفين في مقابرهم؛ مما يبين أهميتها في حياتهم ومن ثم مرافقتها لهم بعد مماتهم كرمز للحماية ربما.
- ترتب على صناعة الأسلحة منذ العصور الحجرية تقوية الروابط الاجتماعية لضرورة المشاركة الجماعية للأفراد والجماعات في ممارسة الصيد والحروب للدفاع عن الحياة.
- حافظ تنوع الأسلحة في العصور الحجرية على النوع البشري من الفناء جوعًا أو افتراسًا من قبل الحيوانات المفترسة.
- لم يقتصر استخدام أسلحة العصور الحجرية في الجزيرة العربية على الصيد أو الحروب وإنما استخدمت في الطقوس الدينية والمناسبات الاجتماعية كالرقص مثل السيوف.
- عرف سكان الجزيرة العربية منذ العصور الحجرية التروس والدروع وغطاء الرأس لحماية الجسد والرأس من ضربات الرماح والحراب والسهام والسيوف الموجهة من الأعداء.
- يرجح أن إنسان الجزيرة العربية في عصورها القديمة استخدم بعض الطقوس السحرية المرتبطة بالأسلحة في صيد الحيوانات.
- يتضح ذلك من خلال رسومهم الصخرية- حيث تصور حيوانات الصيد غالبًا، وهي جريحة قد اخترقت الرماح والحراب والسهام أجسامها.



شكل ١أ : أنصال ومكاشط ورؤوس سهام من موقع دوفرة، أطلال ١٦، لوحة ١٢١.



شكل ١ ب: أربعة وعشرين فأس يدوية حجرية بالفترة الآشولية من وادي فاطمة، أطلال ١١، لوحة ٧٣.



شكل ١ج : رأس فأس من الدوسرية؛ أطلال٢٣، لوحة ٩،٢ د .



شكل ٢أ : صيد الجمال أطلال١٠ رماح ، لوحة ٨٩ أ.



شكل ١ د : بقايا فأس حجرية فقدت المقبض من الصناعية بتيماء ، أطلال١٤ ، لوحة ١٤أ.



شكل ٢ ب: صيد النعام أطلال١٠ رماح ، لوحة ٨٩ب.



شكل ١ و : رأس فأس حجري من جزر فرسان، أطلال ٢٢، لوحة ٩،٧ ب.



شكل ٣أ: مشهد لرجل يعلو فرسه وبيده رمح وأمامه جمل ، أطلال٢٢، لوحة٥،٦ج.



شكل ٣ب : رسم لخيل يمتطيها رجل ظهر في حالة قتال حيث صُور وهو يرمي برمحه، لوحة ٦،٦ه.



شكل ٤ ج: فارس يحمل باليد اليمنى رمح واليسرى ترس، الخثعمي، أبها، ص ٧٢.



شكل٤ أ: ارتبطت الرماح غالبًا براكبي الخيول، الخثعمي، ابها، ص ٧٧.



شكل٤ د : رأس رمح من الاخدود :أطلال١٦ ، لوحة ٢٨.



شكل ٤ : ب: مشاهد صيد من بينها رسم لمجموعة من الرجال يمتطون خيولا ويطاردون مجموعة من الوعول باستخدام الرماح، أطلال٢١ ، لوحة٦,٥ ج



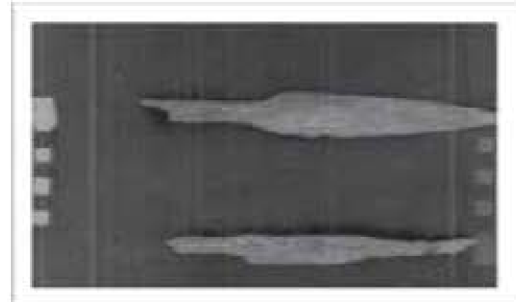
شكل ٥أ : معركة ويظهر فارس وبيده رمح ذي أشرطة مضلعة في المنتصف، الخثعمي، تثليث، ص ٥٦.



شكل٥ب: رسم لوعل جريح أصابته إحدى رماح الصيادين، الخثعمي، النماص، ص ٦.



شكل ٥ج : ماعز جبلي مصاب برمح صياد، الخثعمي، تثليث، ص ٦٠.



شكل ٥ د : رأس رمح من الصناعية في تيماء أطلال ١٤، لوحة١٤ ب.



شكل ٦ أ : من رسوم منطقة رنية بالطائف قتال باستخدام الرماح، أطلال ، لوحة٢٩أ



شكل ٦ ب: رسوم العلا الصخرية كذلك عملية صيد للجمال الوحشية باستخدام الرماح، أطلال١١ ، ١٩٨٨م ، لوحة ٩٧.



شكل ٦ج : رسوم جبل العهين بالحناكية وظهر رجل يحمل رمح؛ تصوير شخصي.



شكل ٧أ: فرسان على الجمال يحملون رماحهم من منطقة مكة؛ أطلال ١٦، ٢٠٠١م. لوحة ٨٩.



شكل ٧ب: رسم من جبل العرفاء لأشخاص في عملية صيد وقد حملوا الرماح ؛ مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية، ص٥١.



شكل ٧هـ: رؤوس رماح حجرية من الجزيرة العربية ، نداء الجلال، ص٣٣.



شكل ٧ج : فارس ورمح طويل بيده اليسرى سبخة الضبطية من المنطقة الشرقية؛ تاريخ الاسترداد ٢٠ فبراير ٢٠١٨م.

http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=1071



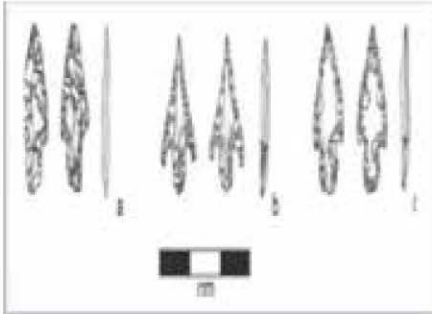
شكل٨أ : قطع معدنية حراب من جنوب تهامة، أطلال ١٠، لوحة ٦٤.



شكل ٧ د: صيد من على ظهر جمل بالرماح من الشرقية ؛ الرسومات الصخرية في المنطقة الشرقية، مجلة الواحة؛

http://www.alwahamag.com/?act=artc&id=1071

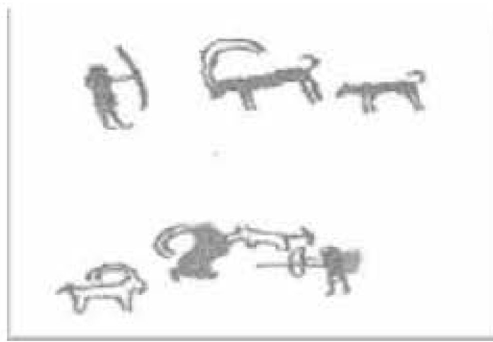
تاريخ الاسترداد ٢٠ فبراير ٢٠١٨م.



شكل ٩أ رؤوس سهام من الدوسرية، أطلال٢٣، لوحة ٢،٧ أ .



شكل ٩ ب : رأس سهم من البرونز من مدافن الظهران، أطلال ١١، لوحة ٣.



شكل ٩ هـ: استخدام القوس والسهم في صيد الوعول من القصيم من منطقة الحنادر، العمير والذيب، ١٤١٨هـ، الدارة ٢ ، ص ص١١٨ ، ١٢٠.



شكل ٩ ج : رؤوس سهام معدنية من مدافن الظهران، أطلال ١٠ ، لوحة ٢٦.



شكل ١٠أ: الرجل يحمل في يده اليمنى قوسًا أو عصى وقد أمتطى فرسًا؛ "،
أطلال ١٩، لوحة٥.



شكل ٩ د: رأس سهم من حجر الصوان من المنطقة الشرقية، أطلال ٢١، لوحة ٤،٤أ.



شكل ١٠ب : منظر من جبه لصيد الوعول بالقوس والسهم ؛ نداء الجلال، الرسوم الصخرية، ص٦٥-٦٦.

شكل ١٠ ج : صيد وعول بالقوس والسهام من حائل ؛ جبّة والشويمس أمام المكتبات الحجرية في المملكة؛

https://qafilah.com/ar/%d9%81%d9%8a-%d8%ac%d8%a8%d9%91%d8%a9-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%b4%d9%88%d9%8a/%d9%85%d8%b3

تاريخ الاسترداد ٢٠ فبراير ٢٠١٨م.

شكل ١٠د: فرسان يصوبون سهامهم لفرائسهم، الخثعمي ، تثليث، ٥٥.

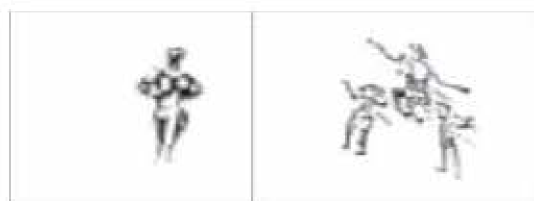
شكل ١٠هـ: صيد بالأقواس والسهام من حائل، في جبّة والشويمس أمام المكتبات الحجرية في المملكة؛

https://qafilah.com/ar/%d9%81%d9%8a-%d8%ac%d8%a8%d9%91%d8%a9-%d9%88%d8%a7%d9%84%d8%b4%d9%88%d9%8a%d9%85%d8%b3 تاريخ الاسترداد 20 فبراير 2018م.

شكل ١١أ : فارس يركب جمل يصيد بسهم بيده اليسرى ليصطاد وعلا، من رسوم تيماء الصخرية، أطلال العدد ١٠، لوحة ٤٨.

شكل ١١ب: فارس منثني على ركبته ويصوب سهمه باتجاه هدفه، الخثعمي، تثليث، ص ٥٥.

شكل ١٢أ: إلى أعلى يسار اللوحة فارس يتمنطق بسيف طويل في وسطه، الخثعمي، بيشة، ص٨٤.



شكل١٢ ب: رجل يرتدون أغطية للرأس ويحملون سيوفًا، وإلى اليمين فارس يحمل رمح ويعلو رأسه غطاء رأس بريش؛ أطلال ١٤، ص ٧٩.



شكل١٢ هـ: السيوف في بعض الرسوم الصخرية من جبال ثهلان والتي ارتبطت بمشاهد الرقص لوحة ٥١.



شكل١٢ ج : فارس تمنطق سيف في خاصرته وترس مستطيل بيسراه، الخثعمي، بلقرن، ص ٥٦.



شكل١٢و: من رسوم جبه الصخرية مبارزة بالسيوف، نداء الجلال، ٦٥-٦٦.



شكل١٢ د : من موقع قرية الفية من بلاد رازم في أبها يتمنطقون بأسلحة سيوف غالبًا، الخثعمي، رسوم أبها، الدارة، لوحة ٧.



شكل ١٣أ : لوحة رسم عليها انواع من الأسلحة : رماح، اقواس وسهام ، عصي، هروات ومدي، الخثعمي، تثليث، ص٥٦.



شكل ١٣ ب: فارس يحمل بيده عصا، الخثعمي، سراة عبيدة، ص ٥٤.



شكل ١٣ ج: فرسان يقاتلون على ظهور الجمال وبأيديهم عصي ومدى، الخثعمي، أبها، ص٨٤.



شكل ١٣ د-: فارس على جواده وبيده مدية، الخثعمي، أحد رفيدة، ص٤٨.



شكل ١٤أ: فارس بيده اليمنى رمح واليسرى ترس ، الخثعمي، بلقرن، ص٦٥.



شكل ١٤ب : فارس يحمل باليد اليمنى رمح واليسرى ترس، الخثعمي، أبها، ص ٧٢.



شكل ١٥أ : فارس يحمل رمح وبرنذي غطاء رأس، وإلى اليمين فارس يجمل منجل وعلى رأسه غطاء؛ أطلال ١٤ ، ص ٧٩.



شكل ١٥ ب : فارس بغطاء رأس تبرز منه عدة ريشات، الخثعمي، أحد رفيدة، ص٥٢,

الحواشي

(1) http://qafilah.com/ar/%d9%81%d9%8a-

الاسترداد بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠١٧م.

(٢) زارنيس وحمود ، التنقيبات الأثرية في جنوب تهامة الموسم الثاني، ص ٥٣.

(٣) نورمان وآخرون، مجموعة من المواقع في جدة ووادي فاطمة، ، ص ص٩٤ – ٩٥.

(٤) درشلر، تقرير نهائي عن الحفريات الاثرية بموقع الدوسرية الموسم الثاني٢٠١١م، ص٢٠.

(٥) ابودرك، حفرية المنطقة الصناعية بتيماء ،لوحة١٤أ.

(٦) نورمان وآخرون، مجموعة من المواقع في جدة ووادي فاطمة، ص٩٥.

(٧) زارنيس وحمود ، التنقيبات الأثرية في جنوب تهامة الموسم الثاني ، ص ٥٢، ٥٣.

(٨) الغزي، آثار المنطقة الشرقية ، ص ٢٩-٣٠.

(٩) الزهراني وآخرون، تقرير حفرية نجران الموسمان السادس والسابع١٤٢٩هـ/١٤٣٠هـ ، ص ١٩.

(١٠) نورمان وآخرون، مجموعة من المواقع في جدة ووادي فاطمة ، ص٩٥.

(١١) الغزي، المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.

(١٢) السبج أو الأوبسيديان زجاج طبيعي يتكون عندما تتدفق الحمم الساخنة على سطح الأرض وتبرد بسرعة. وتركيبته الكيميائية هي نفس تركيبة الجرانيت ولكنه يبرد بسرعة ليكوّن الزجاج أكثر مما يبرد ببطء ليكون بلورات. ويكون معظم السبج أسود أو أسود ممتزجا بخطوط حمراء. وهو هش وينكسر إلى أشكال مخروطية، إلا أنه لا يمكن تشكيله في قوالب. وقد استخدمه الهنود الأمريكيون لصناعة رؤوس الأسهم وإنصال السكاكين.

(١٣) درشلر، فيليب، تقرير نهائي عن الحفريات الاثرية بموقع الدوسرية الموسم الثاني٢٠١١م ، ص٢٠.

(١٤) (الحواس وآخرون، تقرير أولي عن التنقيبات الأثرية بمدينة فيد التاريخية بمنطقة حائل) الموسم الأول١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٥٣.

(15) .http://qafilah.com/ar/%d9%81%d9%8a-)

الاسترداد بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠١٧م.

(١٦) كباوي، وآخرون ، تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية لعام ١٤٠٥هـ،١٩٨٥م، ص ص ١٠٣- ١٠٤.

(١٧) جبل يا طب: يقع جبل يالطب على بعد ٣٠ كم شرق مدينة حائل، وهو من المواقع الأثرية التي ترجع تاريخها للألف الثالث قبل الميلاد، وتكمن أهمية الموقع سياحياً من كونه يضم مجموعة من الرسوم والنقوش الثمودية الصخرية، تمثل في مجملها مشاهد من الحياة اليومية التي كانت سائدة في تلك الفترة، وتتكون عناصرها التشكيلية من الإنسان والجمال والأسود وأشجار النخيل .

(١٨) كباوي وآخرون، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث ١٤٠٦هـ ، ص ٧٨.

(١٩) الظلطبة : تقع في شرق الجزيرة العربية و السبخة جزء من وادي المياه، والوادي يشكل مجموعة من السباخ الداخلية الضخمة منها (مملحة الفوار ، سبخة الصرار، سبخة تاج، سبخة الخويصرة، سبخة قليقة، سبخة الضبطية، سبخة أبواب)، وكانت المنطقة تعرف قديما بالستار. الرسوم الصخرية في المنطقة الشرقية، العدد الخامس والعشرون – الربع الثاني ٢٠٠٢م، ص ٢١-٢٤ ،

http://www.the-saudi.net/gallery/Nabiel_Alshaikh/Alwaha-1

(٢٠) الهاجري وآخرون، سبخة الظلطبة جيولوجيا وآثار ، ص ص ١٦٥-١٦٦.

(٢١) قارة الحيران: قارة الحيران تقع جنوب تيماء مع ميل الى الشرق على بعد خمسين كيلاً، عبدالله بن محمد الشايع : المشاهد الأثرية المحيرة في طرف "حشرة عويرض" و "قارة الحيران" في العلا،

http://www.alriyadh.com/94255

تاريخ الاسترداد ١٥فبراير٢٠١٨م.

(٢٢) كباوي وآخرون، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش

الصخرية الموسم الثالث سنة ١٤٠٦هـ ، ص٥٥.

(٢٣) وادي الريانية: يقع وادي الريانية شمال غرب وادي الدواسر.

(٢٤) اسكوبي وآخرون، تقرير عن الرسوم والنقوش الصخرية في جنوب غرب المملكة أبها/ جازن الموسم السابع ١٤١٣ه/ ١٩٩٢م ، ص٨٣.

(٢٥) وادي تربان: يقع شمال شرق وادي الدواسر.

(٢٦) جبل عليق: يقع شمال شرق وادي الدواسر.

(٢٧) اسكوبي وآخرون، المرجع السابق، ص ٨٥.

(٢٨) الخثعمي، بلقرن، ص ٦٩-٧٠ ، ٨٣.

(٢٩) العتيبي وآخرون، المسح الأثري لمحافظة عفيف الموسم الأول ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، ص ١٠٣-١٠٤.

(٣٠) جبل طيران: من جبال منطقة خيبر، عبد الرحمن الأنصاري: خيبر، ص٢٠.

(٣١) الأنصاري ،خيبر الفتح الذي بشر به الرسول، ص ٢٠.

(٣٢) خان ، دراسة علم الرسوم الصخرية، ص٤٣.

(٣٣) الخثعمي، تثليث، ص ص ٥٦-٥٧.

(٣٤) خان ، المرجع السابق ، ص٨٦.

(٣٥) كباوي وآخرون، تقرير عن الرسوم والنقوش الصخرية في جنوب غرب المملكة أبها/ جازن الموسم السابع ١٤١٣ه/ ١٩٩٢م ، ص ص ١٠٢-١٠٤.

(٣٦) الخثعمي، خميس مشيط ، ص ٥٠- بيشة، ص ٧٠.

(٣٧) وادي ذي يمش : يقع الى الشرق من مركز السرح في بادية بني عمرو، مسفر الخثعمي، النماص، ج٤، ٥١ص.

(٣٨) وهنا نتساءل هل هي رسوم تشير الى نوع من الطقوس السحرية؟ حيث يرجح أنها تتصل بمعتقدات ذات دلالة دينية أو سحرية في هذا الفن تتصل بفكرة رسم الطريدة لإحراز سيطرة سحرية عليها، وربما مُورست هذه الطقوس والشعائر لتساعدهم في صيد الحيوانات المرسومة في اللوحات.

(٣٩) الخثعمي، ١٤٢٩هـ، النماص، ص٥١.

(٤٠) الخثعمي، ١٤٢٩هـ، تثليث، ص٦٠.

(٤١) الهاجري وآخرون، تقرير مبدئي لحفرية الصناعية / تيماء لموسم ١٤٢٢هـ ، ص٦٤.

(٤٢) أبودرك حامد، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث سنة ١٤٠٦هـ ، لوحة ١٤ب.

(٤٣) كباوي وآخرون، المرجع السابق ، ص٥٥، ٥٧.

(٤٤) وادي المعتدل: وادٍ لعنزة يصب في وادي القرى فوق العلا عند مصب آثار الخريبة والخريبة كانت عاصمة بني لحيان

0http://3nazh.com/vb/showthread.php?t=9089

(٤٥) كباوي، عبد الرحمن وآخرون، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث سنة ١٤٠٦هـ ، ص ٥٨.

(٤٦) جبال القنعية : تقع شمال رنية على بعد ٩كم شمال في الطائف؛ عبد الرحمن كباوي وآخرين، تقرير مبدئي عن مسح الرسوم والنقوش الصخرية (الطائف/ الباحة)، الموسم الخامس ١٤١٠هـ، اطلال١٣/ ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص ٤٢.

(٤٧) كباوي وآخرون، تقرير مبدئي عن مسح النقوش والرسوم الصخرية الطائف/ الباحة الموسم الخامس١٤١٠م، ص ٤٢.

(٤٨) كباوي وآخرون، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤٩) الأسلوب العودي: يتكون الشكل العودي من أطراف عودية خطية مرسومة بأقل جهد ممكن من الفنان؛ حيث صور هذا الرسام الشكل شبه الآدمي بأدنى حد من التفاصيل التي يمكن تمييزها. ونجد في العادة أن الأشكال العودية تمثل أدنى مرحلة من التخطيط إلى درجة أن يصبح أي تبسيط أو اختزال للأشكال المنفذة أمراً غير ممكن. وتوجد معظم الأشكال العودية في المرتفعات وسفوح الجبال،

http://www.asir.me/showthread.php?t=16041

(٥٠) خان، التركيب والشكل في الرسوم الصخرية في شمال المملكة العربية السعودية ، ص ١٠٢ .

(٥١) جبل الجُهين: عبارة عن جبل لونه بني فاتح، يقع شرق الحناكية بحوالي ٣٠كم، نحتت بعض واجهاته برسوم حيوانية غريبة وكذلك رسوم آدمية، ويحظى باهتمام السياحة والآثار بالمملكة، صحيفة المدينة

18/ 2/ 2011م http://www.al-madina.com/article/70977/

(٥١) عبد النعيم، آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية ، ص٢٥٤.

(٥٢) الأنصاري، المرجع السابق ، ص ص١٦ ، ٢٠ .

(٥٣) الكباوي، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث سنة ١٤٠٦هـ ص٥٤.

(٥٤) وادي الوطيح: من حصون خيبر وكان حصنا لأبي الحقيق، عبد الرحمن الأنصاري: خيبر، ص٦٨.

(٥٥) الأسلوب العودي التجريدي: مزيج بين الرسم العودي المتمثل في اظهار الشكل بالتركيز على نمط معين يتمثل في أطراف عودية خطية مرسومة بأقل جهد ممكن من الفنان، حيث صور هذا النوع من الرسام الشكل شبه الآدمي بأدنى حد من التفاصيل التي يمكن تمييزها مع تجريد الرسم من كل ما هو محيط عن واقعه، وإعادة صياغته برؤية فنية جديدة فيها تتجلى حس الفنان باللون والحركة والخيال.

(٥٦) الرسيني وآخرون، المرجع السابق، ص ١٥٤.

(٥٧) وادي بني يزيد: مركز بني يزيد يسلية ويبعد عن مدينة الليث ٩٠ كم شرق، وه من المراكز التابعة لمنطقة مكة المكرمة.

(٥٨) الرسيني وآخرون، المرجع السابق، ص١٥٩ .

(٥٩) وادي الكفو: وادي تهامي ينحدر انحدار شديد من إصدار جبال فراع بني عفيف العليا ، ويشق سلسلة جبلية من أعلاها إلى أسفلها وله صفة الشعاب لولا كبره.

(٦٠) الرسيني وآخرون، المرجع السابق، ص ص ١٥٧-١٥٨.

(٦١) جبل العرفاء, يقع على بعد ٣٥كم شمال شرقي الطائف، ويعد من أكبر مواقع النقوش الصخرية, حيث يوجد به كثير من الرسوم الصخرية.

(٦٢) مجموعة من المؤلفين، مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية ،ص ٥١.

(٦٣) الأسلوب التخطيطي التجريدي: يبرع الفنان في الرسم التخطيطي بإبراز الحركة والواقعية معطيًا مظهر الحياة في الشكل ويدمجها في الرسم التجريدي الذي يتميز من خلاله الفنان بمقدرة وبقدرة على رسم الشكل الذي يتخيله سواء من الواقع أو الخيال في شكل جديد تماما قد يتشابه أو لا يتشابه مع الشكل الأصلي للرسم النهائي مع البعد عن الأشكال الهندسية.

(٦٤) يعقوب، الرسومات الصخرية في المنطقة الشرقية، ص ٢١-٢٤ ، http://the-saudi.net/gallery/ ١-Nabiel_Alshaikh/Alwaha/ الاسترداد بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠١٧م.

(٦٥) يعقوب ، المرجع السابق ، ص ٢١-٢٤ .

(٦٦) جبل شدا الأعلى هو امتداد لجبال السروات إلى الغرب موازيًا لها تقريبًا، وقد تكوّن نتيجة لحركة الرفع للدرع العربي قبل ملايين السنين، وكوّن منطقة انتقالية بين رف البحر الأحمر ومرتفعات السروات. ويرتفع الجبل عن سطح البحر بحوالي ٢٢٠٠ مترًا. وتتكون المرتفعات من صخور بازلتية تنحدر منها عدة أودية، يطل الجبل على مدينة المخواة شرقًا وعلى مدينة قلوة في جهة الشمال الغربي، وعلى وادي نيرا ناحية الغرب والجنوب الغربي، وعلى جبل شدا الأسفل في جهة الجنوب الغربي.

(٦٧) قشاش، الرسوم والنقوش الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في منطقة الباحة ودلالاتها التاريخية والحضارية، http://www.shada.sa/c-١٩٧٨/

(٦٨) العتيبي وآخرون، المرجع السابق، ص ص ١٠٢-١٠٤.

(٦٩) المخنم، تقرير مبدئي عن نتائج حفرية جنوب

أسلحة العصور الحجرية في الجزيرة العربية من خلال الآثار والرسوم الصخرية

الظهران الموسم الرابع١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ص ٢٤-٢٥.

(٧٠) الغزي، المرجع السابق، ص ص ٢٩-٣٠ .

(٧١) الأنصاري ، المرجع السابق، ص٢٠.

(٧٢) درشسلر وآخرون، تقرير نهائي عن الحفريات الاثرية بموقع الدوسرية الموسم الثاني٢٠١١م،، ص ١٢.

(٧٣) درشلر وآخـرون، تقرير نهائي عن الحفريات الاثرية بموقع الدوسرية الموسم الثاني ٢٠١٠م، ص ٤١.

(٧٤) درشلر، تقرير نهائي عن الحفريات الاثرية بموقع الدوسرية الموسم الثاني٢٠١١م ص٢٠.

(٧٥) أطلال٢١، اللوحة ٣,١ ب.

(٧٦) أطلال٢٢، ص٤١.

(٧٧) أطلال ١١، لوحة ٣ .

(٧٨) كباوي وآخرون، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث سنة ١٤٠٦هـ ، ص ٧٧.

(٧٩) وادي الشـملي: وادي يقـع الـى الشـمال الغربـي من مدينة حائل ويشـتهر بكثرة النقوش والرسـوم الصخرية.

(٨٠) كباوي وآخرون المرجع السابق، ص٨٨.

(٨١) العمير والذيب، الرسوم والنقوش الصخرية بالجزاء في منطقة القصيم ، ص ص١١٨، ١٢٠.

(٨٢) وادي العقيق: وادي العقيق بفتح أوله وكسر ثانيه من أشهر أودية المدينة المنورة، يبعد ثلاثة أميال عن المدينة إلى الغرب ويختر الطريق إلى مكة المكرمة، انظر: مجد الدين الطاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المغانم المُطابة في معالم طابة ،تحقيق. حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة: الرياض،١٣٨٩هـ،ص٤٥٤،٢٦٦.

(٨٣) اسكوبي وآخرون، المسوحات الأثرية في وادي العقيق جنوب المدينة المنورة، ١٤٢٢ه ، لوحة ٥, ٨، لوحة٥,٩.

(٨٤) قرية العين: تقع على بعد ٢٤ كيلا شمال شرقي خيبر، عبد الرحمن الأنصاري: خيبر، ص٢٠.

(٨٥) الجلاّل، جماليات الرسوم الصخرية في المملكة العربية السعودية ،ص٨٠.

(86) http://qafilah.com/ar/%d9%81%d9%8a-) الاسترداد بتاريخ 18 سبتمبر 2017م .

(٨٧) كباوي وآخرون، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث ١٤٠٦هـ ، ص ص٨٧-٨٨.

(88) http://qafilah.com/ar/%d9%81%d9%8a-)

الاسترداد بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠١٧م.

(٨٩) جبل الضروة : يقع جبل الضراوة في الجنوب الغربي من قرية الشويمس، ويعتبر موقع النقوش الصخرية في الشويمس ويبعد ٢٥٠ كيلومتراً جنوب شرقي حائل) المسجل في قائمة التراث العالمي باليونيسكو، واحداً من أهم المواقع الأثرية وأبرزها في السعودية، كما يعد أضخم متحف مفتوح للنقوش الصخرية على مستوى الجزيرة العربية.

(٩٠) (٢٠١٧ مـ)؛

https://aawsat.com/home/article/898276/

(٩١) كباوي وآخرون، تقرير مبدئي عن مسح النقوش والرسـوم الصخرية الطائف/ الباحة الموسم الخامس١٤١٠م، ص ٤٩.

(٩٢) خان، دراسة نقدية عن كتب أناتي في الرسوم الصخرية بالمملكة العربية السعودية، ص ٧٦-٧٨.

(٩٣) كباوي وآخرون، تقرير مبدئي عن مسح النقوش والرسـوم الصخرية الطائف/ الباحة الموسم الخامس١٤١٠م، ص ٤٦.

(٩٤) الخثعمي، أبها ، ص٨٣.

(٩٥) الخثعمي، تثليث، ص ٥٠-٥١.

(٩٦) الخثعمي، المرجع السابق ، ص ٥٦-٥٧.

(٩٧) موقع العيينة: قرية تقع على وادي حنيفة في منطقة العارض بوسط نجد، في المملكة العربية السعودية حالياً، تبعد حوالي ٣٥ كم عن مدينة

الرياض، مجموعة من الباحثين، معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوبي الاردن وسيناء، ترجمة أحمد الوليعي ، المجلد السابع، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز٢٠١٤م، ص ٤٤٥.

(٩٨) الأسمري، الظروف البيئية في شمال غرب المملكة العربية السعودية خلال العصر الحجري الحديث، موقع الجبيبة أنموذجا، ص ٣١-٣٢.

(٩٩) الجلال، المرجع السابق ، ص٨٠.

(١٠٠) خان، دراسة نقدية عن كتب أناتي في الرسوم الصخرية بالمملكة العربية السعودية، ص٧٣.

(١٠١) يعقوب، المرجع السابق، ص ص ٢١-٢٤.

(١٠٢) الخثعمي ،سراة عبيدة، ص٤٨.

(١٠٣) خان، دراسة نقدية عن كتب أناتي في الرسوم الصخرية بالمملكة العربية السعودية ، ص ٧٤.

(١٠٤) خان، المرجع السابق، ص ٨١.

(١٠٥) الهيماتيت: يرجع مسمى حجر الهيماتيت إلى الكلمة الإغريقية "الدماء" نظراً لوجود اللون الأحمر في بعض أصنافه ، ومن المثير الإشارة إلى أن هذا الحجر قد إستخدمه الإنسان قديماً منذ ما يزيد على ١٦٤٠٠٠ عام مضت في النقش الطباشيري على جدران الكهوف وعمل الرسومات، وقد تم العثور على رواسب من هذا الحجر أيضاً يرجع تاريخها إلى ٨٠٠٠٠ عام مضت في دولة بولندا بالإضافة إلى رواسب أخرى في دولة بلغاريا يرجع تاريخها إلى ٥٠٠٠ عام قبل الميلاد،

https://www.gemstones-ar.com/hematite-stone.html

(١٠٦) فشلش، http://www.shada.sa/c-١٩٧٨/ لاسترداد بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠١٧م.

(١٠٧) الخثعمي ، بلقرن ، ص ٦٥.

(١٠٨) الخثعمي، تثليث، ص٥٠-٥١.

(١٠٩) (الخثعمي، المرجع السابق ، لوحة ٥٧-٤٨.

(١١٠) خان، دراسة نقدية عن كتب أناتي في الرسوم الصخرية بالمملكة العربية السعودية، ص٢٦٨.

(١١١) القنبور، الرسوم الصخرية في سلسلة جبال نهلان بمحافظة الدوادمي، ص ص ٢١٨-٢١٩.

(١١٢) الجلال، المرجع السابق، ٦٥-٦٦.

(١١٣) الخثعمي، سراة عبيدة، ص ٥٣.

(١١٤) الخثعمي، تثليث ، ص ٥٦-٥٧.

(١١٥) د.الخثعمي، بلقرن.

(١١٦) الخثعمي، سراة عبيدة ، ص ٥٤-٥٥.

(١١٧) الخثعمي، أحد رفيدة، ص٤٨.

(١١٨) العنبري وآخرون، المرجع السابق، ص٩٨.

(١١٩) الدرع: قميص من حديد متشابك أو رفيق يقي الجسم من طعنات الحروب.

(١٢٠) الترس: صفحة من الفولاذ مستديرة أو بيضية الشكل تُحمل لوقاية الوجه والرأس من الضربات.

(121) http://qafilah.com/ar/%d9%81%d9%8a-)

الاسترداد بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠١٧م.

(١٢٢) الخثعمي، بلقرن ، ص ٥٦.

(١٢٣) الخثعمي ، أبها، لوحة ١٨ ، ص٧٢.

(١٢٤) الوغدية: تقع في شمال شرق وادي الدواسر.

(١٢٥) اسكوبي وآخرون المسوحات الاثرية شمال وادي الدواسر موسم١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ، ص ٧٩.

(١٢٦) الخوذات: الخوذة هي قطعة من مادة صلبة تلبس على الرأس، وتكتسب الخوذة أهمية كبيرة إذ أن إصابة الرأس هي أخطر الإصابات على الإطلاق، وتصنع الخوذة من قطعة رقيقة من المعدن أو من الجلد المقسى.

(١٢٧) الصويدرة تقع شرق المدينة المنورة وتبعد عنها بحوالي ٥٥كم تقريبا، وتتبع محافظة الحناكية.

(١٢٨) كباوي وآخرون، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث سنة ١٤٠٦هـ، ص ص٥٥، ٥٩.

(١٢٩) خان، دراسة نقدية عن كتب أناتي في الرسوم الصخرية بالمملكة العربية السعودية ، ص ص ٧٦، ٧٩.

(١٣٠) الخثعمي، بلقرن، ص٦٥، لوحة ٥٦.

(١٣٢) الخثعمي، تثليث ، ج ٨.

المصــادر والمراجع

١. أبودرك ، حامد.

حفرية المنطقة الصناعية بتيماء، حولية الاطلال، العدد الرابع عشر ١٩٩٦م.

٢. اسكوبي، خالد وآخرون.

المسوحات الأثرية في وادي العقيق جنوب المدينة المنورة، ١٤٢٢ه حولية الاطلال، العدد التاسع عشر ٢٠٠٦م .

٣. اسكوبي، خالد وآخرون .

المسوحات الاثرية شمال وادي الدواسر موسم١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، حولية الاطلال، العدد الثاني والعشرون٢٠١٢م.

٤. الأسمري، خالد.

الظروف البيئية في شمال غرب المملكة العربية السعودية خلال العصر الحجري الحديث، موقع العيينية أنموذجا، ندوة أدوماتو الثانية (الإنسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الاثرية، الجوف، المملكة العربية السعودية.

٥. القنبور، نايف.

الرسوم الصخرية في سلسلة جبال ثهلان بمحافظة الدوادمي (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية٢٠١٠م).

٦. الأنصاري، عبد الرحمن.

خيبر الفتح الذي بشر به الرسول (الرياض، دار القوافل للنشر والتوزيع٢٠٠٦م).

٧. الجلاّل، نداء.

جماليات الرسوم الصخرية في المملكة العربية السعودية (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية ٢٠١٠م).

٨.الحواس، فهد وآخرون.

تقرير أولـى عن التنقيبات الأثرية بمدينة فيد التاريخية بمنطقة حائل (الموسم الأول١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م،

حولية الاطلال، العدد العشرون ٢٠١٠م.

٩. خان، مجيد.

التركيب والشكل في الرسوم الصخرية في شمال المملكة العربية السعودية، حولية الأطلال، العدد الحادي عشر ١٩٨٨م.

١٠. خان، مجيد.

دراسة نقدية عن كتب أناتي في الرسوم الصخرية بالمملكة العربية السعودية، حولية الاطلال، العدد الرابع عشر١٩٩٦م.

١١. ==.

دراسة علم الرسوم الصخرية (الرياض ، وزارة التربية والتعليم٢٠٠٧م).

١٢. الخثعمي ، مسفر.

الرسوم الصخرية في مدينة أبها وضواحيها دراسة توضيحية لنماذج مختارة منها، العدد الثاني، السنة الحادية والثلاثون ١٤٢٦ه.

١٢.==.

موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير- دراسة توثيقية (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٩هـ) ، ٨أجزاء (، أبها، خميس مشيط، بيشة، النماص،، بلقرن، احد رفيدة، سراة عبيدة، تثليث).

١٤. درشسلر، فيليب وآخرون.

تقرير عن الحفريات الاثرية بموقع الدوسرية الموسم الاول ٢٠١٠م، حولية الاطلال، العدد الواحد والعشرون٢٠١١م .

١٥ . درشلر، فيليب.

تقرير نهائي عن الحفريات الاثرية بموقع الدوسرية الموسم الثاني ٢٠١١م، حولية الاطلال، العدد الثالث والعشرون، ٢٠١٣م.

١٦ . درشلر، فيليب وآخرون.

تقرير نهائي عن الحفريات الاثرية بموقع الدوسرية الموسم الثاني ٢٠١٠م، حولية الاطلال، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٢م.

١٧ . الرسيني، إبراهيم وآخرون.

مسح الرسوم والكتابات الصخرية في منطقة مكة المكرمة الموسم الثامن ١٤١٤هـ، حولية الاطلال، العدد السادس عشر: ٢٠٠١م.

١٨ . زارنس جوريس والبدر حمود.

التنقيبات الأثرية في جنوب تهامة الموسم الثاني، حولية اطلال، العدد العاشر ١٤٨٦م.

١٩ . الزهراني، عوض وآخرون.

تقرير حفرية نجران الموسمان السادس والسابع ١٤٢٩هـ/ ١٤٣٠هـ، حولية الاطلال، العدد الثاني والعشرون ٢٠١٢م.

٢٠ . الغزي، عبدالعزيز.

آثار المنطقة الشرقية (ب. ن، ب.ت).

٢١ . عبد النعيم، محمد.

آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر ١٩٩٥م).

٢٢ . العتيبي، سعيد وآخرون.

المسح الأثري لمحافظة عفيف الموسم الأول ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، حولية الاطلال، العدد الحادي والعشرون ٢٠١١م.

٢٣ . العمير عبدالله والذيب سليمان، ١٤١٨هـ، **الرسوم والنقوش الصخرية بالجزاء في منطقة القصيم**، الدارة، العدد الثاني سنة ٢٣، ٢٠١١م.

٢٤ . القنور، نايف.

الرسوم الصخرية في سلسلة جبل ثهلان بمحافظة الدوادمي (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٢هـ).

٢٥ . كباوي، عبدالرحمن وآخرون.

تقرير مبدئي عن المرحلة الثانية عن المسح الشامل للنقوش والرسوم الصخرية في المنطقة الشمالية لعام ١٤٠٥هـ١٩٨٥م، حولية الاطلال، العدد العاشر ١٩٨٦م.

٢٦ . كباوي، عبدالرحمن وآخرون.

حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث ١٤٠٦هـ، حولية الاطلال، العدد الحادي عشر ١٩٨٨م. ٢٧ . كباوي، عبدالرحمن وآخرون.

حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية الموسم الثالث سنة ١٤٠٦هـ، حولية الاطلال، العدد الحادي عشر ١٩٨٩م.

٢٨ . كباوي، عبدالرحمن وآخرون.

تقرير مبدئي عن مسح النقوش والرسوم الصخرية الطائف/ الباحة الموسم الخامس ١٤١٠م، حولية الاطلال، العدد الثالث عشر ١٩٩٠م.

٢٩ . كباوي، عبدالرحمن وآخرون.

تقرير عن الرسوم والنقوش الصخرية في جنوب غرب المملكة أبها/ جازن الموسم السابع ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، حولية الاطلال، العدد لخامس عشر ٢٠٠٠م.

٣٠ . مجموعة من المؤلفين.

مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية (الرياض، وزارة المعارف ١٩٩٩م).

٣١ . المغنم، علي.

تقرير مبدئي عن نتائج حفرية جنوب الظهران الموسم الرابع ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، حولية الاطلال، العدد الحادي عشر ١٩٨٨م.

٣٢ . نورمان وآخرون.

مجموعة من المواقع في جدة ووادي فاطمة، اطلال، العدد الحادي عشر ١٩٨٨م.

٣٣. الهاجري، سعيد وآخرون .

سبخة الظبطية جيولوجيا وآثار، حولية الاطلال، العدد السابع عشر ،٢٠٠٢م.

٣٤. الهاجري، محمود يوسف وآخرين.

تقرير مبدئي لحفرية الصناعية / تيماء لموسم ١٤٢٢هـ، حولية الاطلال، العدد التاسع عشر ٢٠٠٦م.

٣٥. يعقوب، نبيل يوسف .

الرسومات الصخرية في المنطقة الشرقية (مجلة الواحة، العدد الخامس والعشرون – الربع الثاني ٢٠٠٢م، ص ٢١-٢٤)؛

http://the-saudi.net/gallery/Nabiel_Alshaikh/Alwaha-1/

الاسترداد بتاريخ ١٨ سبتمبر ٢٠١٧م.

٣٦. قشاش، أحمد سيد.

الرسوم والنقوش الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في منطقة الباحة ودلالاتها التاريخية والحضارية؛

http://www.shada.sa/c-1978/

٣٧. **الجزيرة العربية أحد المواقع السعودية المسجلة في قائمة التراث العالمي،** جريدة الشرق الأوسط، الاثنين - ١٤ رجب ١٤٣٨ هـ - ١٠ أبريل ٢٠١٧ مـ)؛

(https://aawsat.com/home/article/898276/ .



تطور علم المساحة في الحضارات القديمة

وأهم المخطوطات العربية/الإسلامية في علم المساحة

أ.م. د. مها الشعار
رئيس قسم تاريخ العلوم الأساسية
معهد التراث العلمي العربي - جامعة حلب - سورية

علم المساحة هو العلم الذي نقوم من خلاله بتمثيل منطقة ما من سطح الأرض بتفاصيلها الطبيعية (البحيرات-الجبل-الغابات-الأنهار...)، والتفاصيل الاصطناعية (الطرق -التجمعات-الحدائق...) على مستوى بمقياس مناسب[1]، سنتناول في بحثنا تطور علم المساحة المستوية (Plane surveying)، وهو علم تحديد المواقع على سطح الأرض لبيان الحدود والمعالم الطبيعية وغير الطبيعية لأجزاء من سطح الأرض، ثم تمثيل هذه المعالم في خرائط على أساس أن سطح الأرض مستوٍ في المنطقة المراد رفعها، فيُهمل تحدب الأرض فتكون جميع المسافات المقاسة فيها على شكل خطوط مستقيمة أفقية، والزوايا المحصورة بين هذه الخطوط تعد زوايا خطية أو مستوية، وتكون الخريطة في هذه الحالة عبارة عن مسقط أفقي لهذا السطح؛ ولذلك تستعمل في رفع المساحات الصغيرة أو المتوسطة[2]، وتكون هذه الخرائط أساسًا لتحديد الضرائب المستحقة على الأملاك والأراضي وأساس البيع والشراء للأراضي وفي فض المنازعات القضائية، ويسمى أخصائي مسح الأراضي مساح أراضٍ، وعادة ما يكون الغرض من النقاط التي يحددها المساح على سطح الأرض وضع حدود للأملاك، أو إنشاء خرائط للأراضي، أو إنشاء مواقع مثل بناء المباني أو مواقع تحت سطح الأرض، أو غيرها من الأغراض التي تطلبها الحكومة أو القانون المدني، مثل مبيعات العقارات[3]، إن معظم الأعمال المساحية الإنشائية والهندسية التي نمارسها في حياتنا العادية هي نوع من أعمال المساحة المستوية.

علم المساحة في الحضارات القديمة:

* حضارة بلاد الرافدين:

عرف سكان العراق القدماء العمليات الهندسية الواجب اتباعها قبل تنفيذ أي مشروع هندسي، ويؤيد ذلك الألواح الحاوية على مخططات ودراسات لعدة مشاريع سواء أكانت شق قناة أو بناء سد أو إقامة خزان، وأدت الحاجة الملحة لتحديد مساحات الأراضي بغية حساب الضرائب إلى تطوير علم المساحة ورسم الخرائط فلقد وجدت ألواح طينية تحمل خرائط توضح حدود الأراضي والحقول الزراعية ومساحاتها وذلك

نتيجة مسح حقلي وحساب رياضي، وفيما يأتي بعض الأمثلة المأخوذة من الألواح الطينية التي عُثر عليها في أماكن متفرقة في العراق وتعود لفترات زمنية مختلفة:

١- جرت عملية مسح للأراضي وتقسيمها لتحديد حصة كل فرد وتثبيتها في سجلات حكومية وأدت الرياضيات دورها في هذا الحقل فحسبت مساحة الأراضي المنتظمة الشكل[٤]، وحسبت مساحة الأراضي والحقول غير المنتظمة الشكل بتقسيمها إلى أشكال هندسية منتظمة، فمثلًا:

*عُثر بين أطلال مدينة أوما على لوح طيني يحمل رسم خارطة تمثل حقلًا زراعيًا يدعى ايكوروا يمتلكه معبد الآلهة نينورا، وقد تم مسح هذا الحقل بأمر الملك أمرسن ثالث سلالة ملوك أور الثالثة (٢٠٤٧-٢٠٣٩م)، وبلغت مساحة هذا الحقل نتيجة عملية المسح حوالي ١٠٠ مشارة عراقية[٥]، وبما أن شكل الحقل غير منتظم فقد قسم إلى أقسام منتظمة الشكل (مستطيلات، مثلثات، مربعات، ...)، ودونت مساحة كل قطعة ما عدا قطعة مستطيلة في أقصى الشمال لم تدون مساحتها بسبب التنازع على ملكيتها إذ ادعى شخص آخر ملكيته لها، كما تم قياس المسافات الطويلة لحدود القطع بأحد المقاييس الطولية التي استعملها السومريون وهو الكار[٦]، أما المساحات فحسبت بالمقاييس السطحية المعروفة في ذلك العصر:

السار= كار مربع= ٣٦م^2

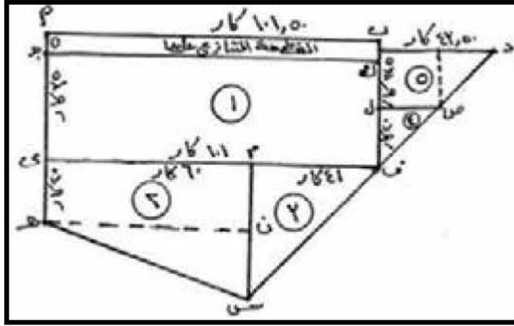
الايكو= ١٠٠سار

الاوبو= ٥٠ سار

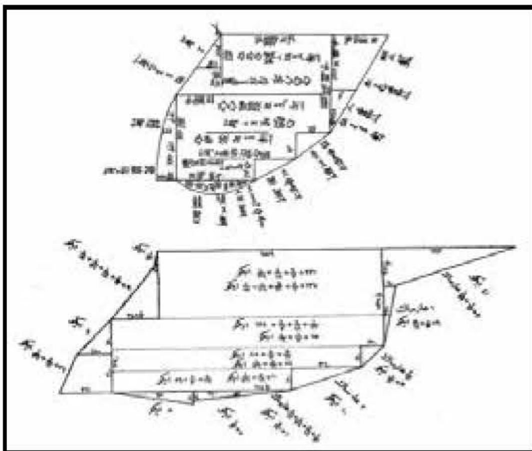
الديس= ٢٥ سار

الايس= ٦٠٠سار

البور= ١٨٠٠سار، ولقد بلغت مساحة الحقل الكاملة ٧٤٠٠سار[٧]

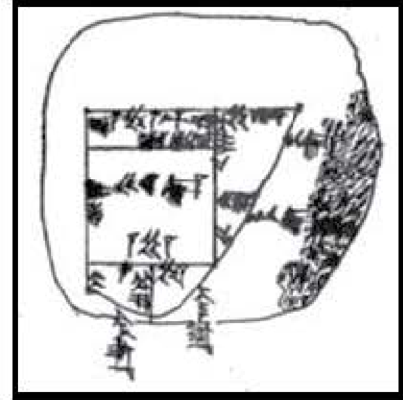


*عُثر بين آثار مدينة لجش على لوح طيني (١٢,٧×١٠,٨) سم، يعود إلى عهد الملك أبي سن (٢٠٢٩-٢٠٠٦ ق.م) من سلالة أور الثالثة نقش عليه خارطة لمقاطعة من الأراضي الزراعية تبلغ مساحتها ٦٤٠ ايكو، ولقد تم مسح هذه المقاطعة بنفس الطريقة السابقة في تقسيم الأراضي إلى قطع هندسية منتظمة الشكل، ولكن لوحظ أن مساحة كل قطعة قد دونت مرتين بأعداد متقاربة مما يدل على أن مساحين اثنين قام كل واحد منهما بالقياس وحده، ثم كتبت النتائج للمقارنة والتوصل إلى المساحة الصحيحة[٨].



*عُثر على خارطة لحقل رُسمت من قبل أحد المساحين العراقيين القدماء، وعليها تاريخ السنة الثانية من حكم الملك بور رسين من سلالة أور

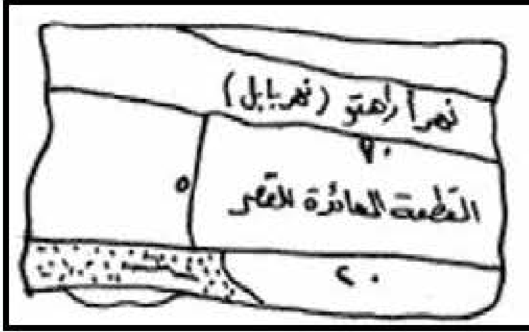
الثالثة، وقد كتبت أبعاد كل ضلع من أضلاعه[٩]، وتم تقسيم الحقل إلى مساحات منتظمة.



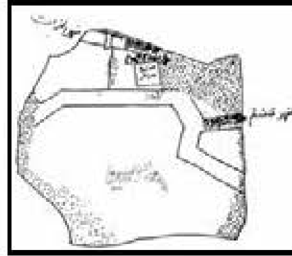
* كما عُثر على خارطة بين خرائب مدينة نيبور(نفر) تعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وهي أقدم خارطة عرفها العالم من هذا النوع، موضحٌ عليها كيفية تنظيم شبكة جداول الري والحصص المخصصة من الماء للحقول، ووضح عليها أيضًا حدود مواقع الأراضي الزراعية وأسمائها وملكيتها مع ذكر المواقع العامة المتاحة للجميع مثل الطرق والمراعي والأهوار[١٠].

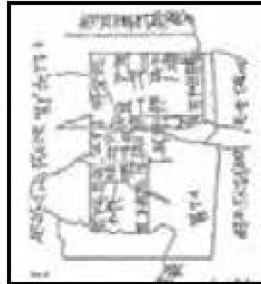


*عُثر على خارطة صغيرة تعود إلى العهد البابلي ثبت عليها حدود أرض عائدة للقصر الملكي وتقع على ضفة نهر أراهتو (نهر بابل)[١١].



*وُجدت ألواح طينية تعود لعصور مختلفة (سلالة أور الثالثة، العهد البابلي القديم، العهد البابلي الحديث) رُسم عليها خرائط توضيحية للحدود الخارجية لحقول زراعية، وموقع كل منها بالنسبة لجيرانه وبذلك ثبت حدوده بشكل رسمي[١٢].

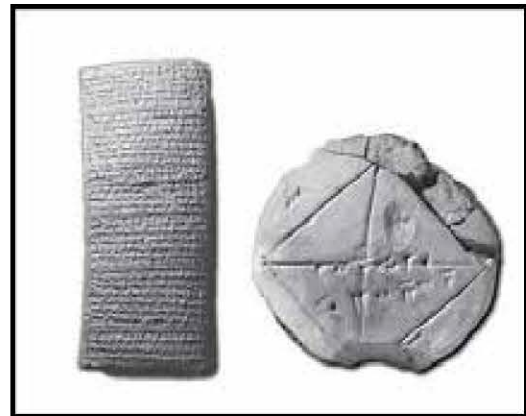




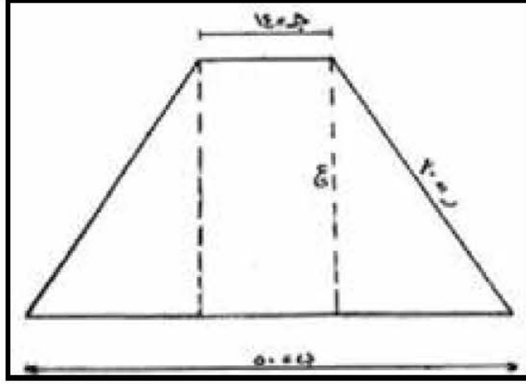


* في نهايات القرن التاسع عشر عثرت البعثات الأثرية أثناء تنقيبها في العراق على آلاف من الألواح الطينية التي تعود إلى العصر البابلي (١٧٠٠-١٩٠٠ قبل الميلاد)، وخصوصًا في مدينة نيبور(نفر) التي تقع آثارها في محافظة القادسية على بعد ١٧٥ كلم جنوب بغداد، والتي كانت تمثل مركزًا لتدريب الكتاب، إضافة إلى أهميتها كمدينة مقدسة.

بلغ عدد الألواح الرياضية حوالي ٩٠٠ لوحًا، ويعود الفضل في فك شفرة النظام الحسابي البابلي للرياضي والمؤرخ النمساوي أوتو نيوباور (١٨٩٩-١٩٩٠)، وبذلك صار بالإمكان فهم مضمون هذه الألواح وتقدير أهميته، وقد تنوعت المواضيع المنقوشة على الألواح، ولكن ما يهمنا بعض الألواح التي كانت لأغراض تدريبية يبين فيها الطالب مهارته، فقد كان الكتّاب -وهم شباب ينحدرون من عائلات موسرة- يرثون مهنهم مثل المحاسبة وهندسة البناء ومسح الأراضي ومهن أخرى يتعلمون ويتدربون على حل المشاكل الرياضية لها علاقة بمشاكل عملية مثل قياس مساحة حقل أو حفر خندق أو تشييد مبنى.[١٣]



وكمثال على هذه الألواح، لوح نقش عليه مسألة يُطلب فيها حساب مساحة حقل على شكل شبه منحرف بعد حساب الارتفاع من المعلومات المعطاة فرضًا[١٤]، وقد تم حساب الارتفاع وفق ما سُمي فيما بعد بنظرية فيثاغورث، ثم حُسبت مساحة الحقل وفق قاعدة مساحة شبه منحرف.



* عثر إدغار بانكس، وهو رجلٌ دبلوماسي وتاجر تحفٍ أثرية وعالم آثارٍ هاوٍ في أثناء التنقيب عن الآثار في تل سنكرة في جنوب العراق، وهو موقع مطابق لمدينة لارسا القديمة في بداية القرن العشرين على لوح طيني مكسور جزئيًا، (١٣سم عرض× ٩سم طول× ٢سم سماكة)، وقد نقش عليه جدول من الأعداد مؤلف من أربعة أعمدة و١٥ صفًا، مدونة بنظام العد الستيني البابلي، ويوجد كسر على حافة العمود الأول[١٥].

أثار اللوح اهتمام الناشر الأمريكي جورج بليمبتون فاشتراه، ثم قام بإهدائه إلى جامعة كولومبيا بعد وفاته كجزءٍ من مجموعةٍ ضخمة في ثلاثينيات القرن الماضي، وقد سمي باسم لوح بليمبتون ٣٢٢، وقد حاول العلماء معرفة الغرض من هذا اللوح الذي أثار جدلًا واسعًا بينهم لما يقرب القرن إلى نشر الأستاذان دانييل مانسفيلد ونورمان وايلدبرغر في جامعة نيو ساوث ويلز الاسترالية بحثًا في مجلة Historia Mathematica العلمية المختصّة بتاريخ الرياضيات أوضحا

فيه نتيجة عملهما الطويل على هذا اللوح إنّه رغم إدراك العلماء على مدار عشرات الأعوام حقيقة أنّ اللوح يعرض نظرية سبقت تلك التي وضعها فيثاغورس بوقتٍ طويلٍ، فإنّه لم يكن هناك اتفاق بشأن القصد الذي أعِد هذا اللوح من أجله، على الرغم من أن هذه الجداول كانت تمثّل أقدم الجداول الخاصة بحساب المثلثات وأكثرها دقة في العالم إلى أن تبين لهما نتيجة دراستهما أن لوح بليمبتون ٣٢٢ كان "أداةً قوية أمكن استخدامها في مسح الأراضي أو إجراء الحسابات المعمارية لبناء القصور، أو المعابد، أو الأهرام المدرّجة"[١٦].



الموظف المسؤول عن المساحة أو القياس:

ورد اسم الموظف المسؤول عن المساحة والقياس في اللغة السومرية (لو. أش. كد. دو) وهي تعني المساح أي الموظف المسؤول عن القياسات.

المقاييس:

كانت معظم المواد التي صنعت منها المقاييس في العراق القديم موادًا عضوية لا تقاوم الطبيعة لذلك لم يكشف عنها في التنقيبات الأثرية، ولكن ذكرت النقوش المسمارية بعضها مثل الحبل، والقصب الذي استخدم على شكل عصي طويلة وقصيرة لقياس الأطوال، والعظم لقياس الأطوال[١٧].

أما المقاييس فقد اُستخدم في العراق القديم مقاييس عدة، منها ما هي خاصة بالأطوال ومقاييس للمساحة، وأهمها:

أولًا - مقاييس الطول:

استخدم عدة مقاييس للطول في العراق القديم، منها:

١. شد: وهي أكبر وحدة قياس للطول استخدمت في العراق القديم، وردت في اللغة السومرية "أوش"، وتقابلها في اللغة الأكادية "شد" بمعنى ضلع، وتعادل هذه الوحدة ما يقارب ٣٦٠ م وفق مقاييس الطول المستخدمة في الوقت الحاضر.

٢. صُبان: وهي وحدة مقياس للطول وردت في اللغة الأكادية، ويعود أقدم استخدام لها إلى العصر البابلي الحديث وتعادل ما يقارب ٣٠م وفق مقاييس الطول المستخدمة في الوقت الحاضر.

٣. نيندَن: وحدة مقياس للطول وهي بمعنى "عصا" أو (عود) لقياس الطول، ويعود أقدم استخدام لها إلى العصر الأكادي، وتعادل ما يقارب ٦م وفق مقاييس الطول المستخدمة في الوقت الحاضر.

٤. بت: وحدة قياس للطول، وقد استخدمت في العصر البابلي الحديث وتعادل ما يقارب ٧م وفق مقاييس الطول المستخدمة في الوقت الحاضر[١٨].

ثانيا-مقاييس المساحة:

استخدمت عدة مقاييس للمساحة في العراق

القديم على مر عصوره التاريخية، أهمها:

١. بور: أكبر وحدة قياس للمساحة في العراق القديم، يعود أقدم استخدام لها إلى العصر الأكادي إذ استخدم لحساب الأراضي الزراعية ذات المساحات الواسعة، وهو يساوي ما يقارب ٦٤,٨٠٠ م٢ وفق مقاييس المساحة المستخدمة في الوقت الحاضر.

٢. أبل: وحدة قياس للمساحة، وتعني حبل، وتعادل ٦ أيكو أي ما يقارب ٢١,٦٠٠ م٢ وفق مقاييس المساحة المستخدمة في الوقت الحاضر، استخدمت بوصفها وحدة لقياس مساحة الحقول والأراضي الزراعية والبساتين ذات المساحات الواسعة، ويعود أقدم استخدام لها إلى العصر الأكادي.

٣. أمير: وحدة قياس للمساحة، استخدمت بوصفها وحدة لقياس مساحة المنازل والأراضي الزراعية والحقول الزراعية ذات المساحات الواسعة، وتعادل ٥ أيكو؛ أي ما يقارب ١٨,٠٠٠م٢ وفق مقاييس المساحة المستخدمة في الوقت الحاضر، يعود أقدم استخدام لها إلى العصر الأشوري الوسيط[١٩].

* الحضارة المصرية القديمة:

من المعروف أن الزراعة كانت العصب الرئيس في اقتصاد الحضارات القديمة، وربما كانت الحضارة المصرية القديمة أوضح مثال على ذلك فقد قيل "إن مصر هبة النيل"، ولقد كان هناك عدة أنواع من الأراضي الزراعية في مصر حسب نظام إروائها:

أولاً - أراضي تروى حسب نظام ري الحياض: وتضم أغلب أراضي مصر، فكانت تُقسم الأراضي إلى أحواض كبيرة تقسمها الطرائد والصلائب، وتظل جافة أثناء الشتاء والربيع وفي الصيف حتى تصل مياه فيضان نهر النيل إلى مصر في النصف الأول من شهر آب، فيبدأ غمر الأراضي، وفي منتصف تشرين الأول تفتح المصبات على النيل لصرف مياه الحياض في منتصف تشرين الأول، وكلما اتجهنا شمالًا تأخرت تواريخ فتح الحياض وصرفها حتى يصل تاريخ صرف الحياض في شمال البلاد حوالي منتصف تشرين الثاني، ولا تجف هذه الحياض إلا في آخر تشرين الثاني[٢٠]، وكان النيل يسحب معه كل العلامات المساحية المميزة للحدود مع انسحاب مياهه، فظهرت الحاجة لإعادة تحديد الملكيات الزراعية سنويًا بعد انتهاء موسم الفيضان، والتي على أساسها تُحدد الضرائب المترتبة على كل أرض.

ثانيًا-أراضي تروى حسب نظام الري الدائم:

بالرغم من كون نظام الري الحوضي كان النمط السائد في مصر إلا أنه يُستثنى من ذلك بعض المناطق التي قامت فيها زراعات صيفية بفضل توافر ماء الري على مدار العام، وهذه المناطق تُزرع بالمحاصيل الصيفية، وتتمركز هذه الأراضي في الدلتا وصعيد مصر، منها:

- أراضي السواحل: هي الأراضي الواقعة بين مجرى نهر النيل وجسر طراد النيل.

- أراضي الجزائر: هي أراضي مرتفعة في وسط النهر لا تتصل أراضيها عادة بضفتيه.

ولكن تتغير حدود السواحل والجزائر سنة بعد أخرى بفعل النحر والإطماء الذي تحدثه مياه الفيضان العاتية، وتسمى الأراضي التي تضيع بفعل النحر "أراضي أكل النهر"، والأراضي

التي تظهر بفعل الإطماء "أراضي طرح النهر"، وقد جرى العرف والقانون منذ العهود القديمة على أن يُعوض أصحاب أراضي أكل النهر بما يساويها في المساحة من أرض طرح النهر القريبة؛ لذا كان هناك حاجة شديدة لتحديد المساحات الواجب إعطائها للمزارع كتعويض لما اختفى من أرضه[٢١].

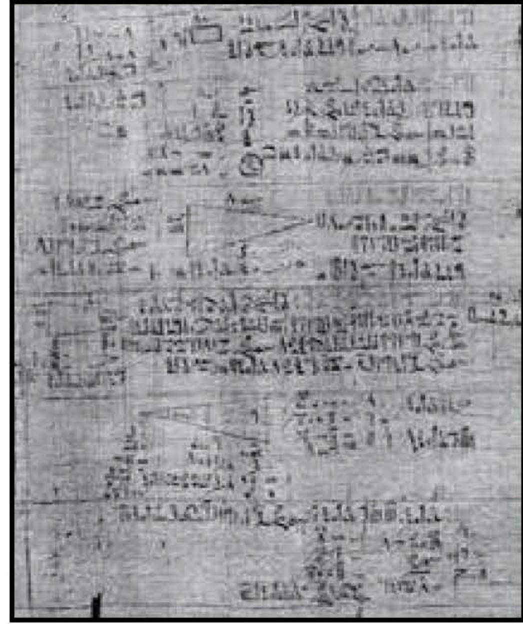
لذا عد المؤرخون الإغريقيون القدماء مثل هيرودت وسترابو السبب الرئيس لظهور وتطور علم مسح الأراضي في مصر القديمة هو الحاجة لتحديد الملكيات الزراعية سنويًا بعد انتهاء موسم فيضان نهر النيل، وتحديد الضرائب المترتبة على كل أرض، وهذا ما أدى إلى أن يُؤسس ما سُمي بإدارة المسح المصرية، وتعددت معايير القياس، ومعدات المسح، وطرق تدريب الكتاب والمساحين، ومواد تسجيل الحقول الخاصة بهم، وتقنيات الحساب[٢٢].

ولقد وجد سجلًا مكتوبًا على حجر باليرمو (وهو قطعة من البازلت تعود إلى حوالي ٢٣٥٠ قبل الميلاد)، يضم قياسًا دقيقًا لفيضانات نهر النيل لمدة خمس سنوات، كما يحمل الحجر تفاصيل تاريخية أخرى من الـ ٥٠٠ سنة السابقة بما في ذلك إشارة إلى "ترقيم الذهب والأراضي"، ويرى السير هنري ليونز في مقالته التي نشرها في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية في عام ١٩٢٧م أن هذا الترقيم للممتلكات الملكية، الذي كان يقوم به موظفو الخزانة على امتداد الأرض، هو نوع من الإحصاء لممتلكات الدولة التي لا شك في أنها تشمل القطعان والأراضي، وكان هذا الإحصاء يتم بشكل دقيق كل سنتين حتى أن الأحداث التي كانت تحدث في عهد الملك مؤرخة اعتمادًا على هذه الإحصائيات[٢٣].

المساحون في مصر القديمة:

المساحون هم بالأصل من طبقة الكتبة، الطبقة المهنية المتعلمة في مصر القديمة، وكان يتم اختيارهم من الطبقة الأرستقراطية في سن الثانية عشرة، ويتم تدريسهم بشكل صارم لمدة اثني عشرة عامًا أو أكثر على القراءة والكتابة والمحاسبة، والهندسة، ومختلف الرياضيات العملية الأخرى ليمتلكوا المعرفة الكافية التي تمكنهم من الإشراف على عمليات المسح[٢٤]، كما كان يتم تلقين هؤلاء الكتبة الشباب وتذكيرهم بمدى أهمية كونهم من طبقة الكتبة والفرق بينهم وبين بقية طبقات الشعب، فراعي الأبقار يعيش حياة بائسة، وحياة الجندي قلقة ومحفوفة بالأخطار، وبخاصة في فترة الحروب والغزو، عكس حياة الكاتب الذي يعيش حياة جيدة ويحصل على تكريم كبير بعد موته بحصوله على مدفن في التلال[٢٥].

وقد نجا العديد من البرديات التي تعطي أمثلة على كيفية حل الطلبة المساحين للمشاكل الرياضية، وتُعد بردي رايند التي تعود إلى حوالي ١٥٥٠ قبل الميلاد، وموجودة في المتحف البريطاني، مثال على واحد من هذه البردي، وقد أورد الناسخ، وهو رجل يدعى أحمس، مسائل الهندسية متنوعة مطروحة على الكتبة المساحين، منها حساب مساحة قطع من الأراضي التي هي دائرية (المشكلة رقم ٥٠)، مثلثات مقتطعة (المشكلة رقم ٥٢) ومستطيلات بسيطة، وتنطوي المشاكل الأخرى على حساب منحدر الأهرامات، وربما ظهرت هذه المشكلة بعد أن انهار واحد من الأهرامات الأولى التي تم بناؤها؛ لأن زاوية البناء كانت شديدة الانحدار[٢٦].



رايند، بردي رياضي

وكان هؤلاء المساحون يعتبرون أنفسهم فئة خاصة من الناس، حافظوا على النظام في المجتمع من خلال إدارة بيروقراطية[٢٧]، وقد مُنحوا سلطة واسعة من قبل الطبقة الحاكمة والدينية، وتؤكد على ذلك النصوص المنقوشة على اللوحات الحدودية (وهي عبارة عن لوح حجري مستقيم أو عمود يحمل عادة نقشًا تذكاريًا) فكانت تحمل هذه اللوحات اسم الملك والمالك جنبًا إلى جنب مع مساحة الممتلكات مختومة رسميًا ومسجلة في إدارة المسح، وكان من ضمن التعليمات التي توجه لملاك الأراضي أن "لا تقم بإزالة الحجارة الحدودية لأرض الذرة، أو تغير موقع شريط القياس"[٢٨].

وقد بلغ المساحون مكانة عالية ومرموقة في الدولة، حتى أنه تم تصوير حفل عظيم على جدران معبد إدفو يظهر فيه الملك مع الإله سيشيت –الذي يجسد فن الكتابة والمعرفة-جنبًا إلى جنب، وقد نقش على الصورة مقولة الملك: "أنا أخذ الوتد وأحمل مقبض المطرقة، أنا أمسك حبل القياس مع سيشيت" إذًا فالملك شارك في الملاحظات الإلهية، على الأقل احتفاليًا، لإنشاء تخطيط الهياكل[٢٩]، وتشهد الآثار القديمة في مصر القديمة على قدرات هؤلاء المساحين القدماء. وهناك تكريم أكبر لهم يكمن في كونهم جزء من مجتمع كان قادرًا، مع بضع فترات من انهيار، للحفاظ على التقاليد الثقافية التي استمرت لأكثر من ثلاث آلاف سنة، وفي أوقات القوة، كانت البلاد آمنة ومستقرة وقادرة على إنتاج فوائض غذائية[٣٠].

بالرغم من أن أدوات المسح التي استخدمها المساحون المصريون القدماء بسيطة، ولكنها كانت فعالة جدًا، ومن أهمها:

- **حبل القياس:** لُقب المساح في مصر القديمة بـ "مداد الحبل"، وكان تسمى عملية المسح بـ "مد الحبل"، وحبل القياس واحد من الأدوات المستخدمة في المسح التي ظهرت العديد من المقابر من عهد المملكة الجديدة[٣١]، حوالي ١١٠٠ قبل الميلاد صاحب القبر يقوم بالإشراف على الرجال يستخدمون الحبال لقياس الحقول، من المحتمل لحساب الضرائب على العائد من هذه الحقول.



صورة حبل القياس من قبر مننا
(أحد أهم المساحين في مقبرة طيبة)



مشهد استعمال لحبل القياس هو جزء من رسم فني شامل في ضريح مننا



الكاتب مننا
يشرف على فريق المسح التابع له

- **ميزان مثلث خشبي للقياس:** يتألف من ثلاث قطع: اثنتان منها مثبتتان بعضهما إلى بعض على شكل مثلث قائم الزاوية في حين يتخذ من القطعة الثالثة الصغيرة، وتر عمودي، ويتدلى من رأس الزاوية القائمة -الذي يبلغ علوه عن سطح الأرض ٣١ سم- حبل في نهايته مثقال من الحجر الجيري، فإذا ما وضع بدقة على سطح مستو، سقط خيط المثقال بين الخطين المحددين على الوتر[٣٢].





- "مرخت": يتألف من ثقل شاقولي مثبت على حامل، وتتم محاذاة هذا الثقل الشاقولي مع مقياس مدرج – دعامة أو قضيب فيه شق، للحفاظ على خط مستقيم[٣٣]، وقد كان معروفًا بشكل جيد في وقت لاحق في العصرين اليوناني والروماني.

*الحضارة اليونانية والرومانية:

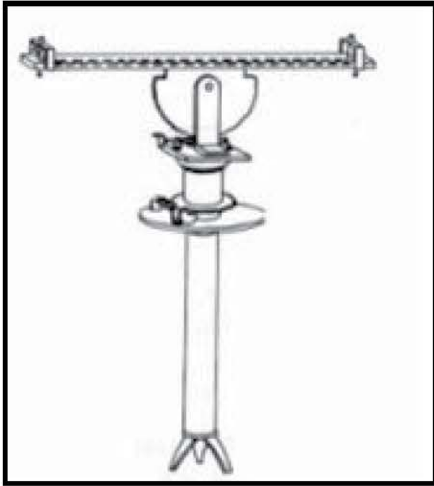
ذكر هيرودوت (٤٥٠ ق.م) وسترابو (٢٤ ق.م) أن بعض العلماء الإغريق سافروا إلى مصر وتعرفوا على الكثير من المعلومات الرياضية كما استفادوا من تقنيات المسح المصرية، فعدلوها وطوروها، ويبدو أن انتقال المعرفة الهندسية من المصريين إلى الإغريق بدأ مع سفر تاليس وفيثاغورث إلى مصر ونقل تعليمهم مرة أخرى إلى تلاميذهم في اليونان. وقد كشف عن اثنين من المساحين اليونانيين القدماء ذوي ملاحظة

خاصة وظهر انتقال مخطط المدينة المتعامدة من مصر إلى اليونان ثم إلى الرومان[٣٤]، ورغم قلة المعلومات المتوفرة عن المساحين اليونانيين القدامى والأعمال التي قاموا بها إلا أن هناك اثنين من أبرز الرجال الذين خلدوا مآثرهم للأجيال القادمة.

أولهما: إوبالينوس الذي قام ببناء قناة في جزيرة ساموس تحت جبل كاسترو في عام٥٥٠ قبل الميلاد، وقد استغرق العمل ١٠ سنوات لاستكمال النفق بطول ١٠٣٦ مترًا، على ارتفاع ٥٥ مترًا فوق مستوى سطح البحر، على عمق١٨٠ مترًا من أعلى الجبل، وبلغ أبعاد مقطعه ١,٨ × ١,٨م، ص ١٧/٨ بُدأ العمل من طرفي الجبل (نفق ذو فمين) التقى في نهاية المطاف في المنتصف في إنجاز وصفه هيرودوت، المؤرخ القديم، بأنه "واحد من أهم الإنجازات التقنية من العصور القديمة اليونانية". ومن المسلم به أنه قد تم تسخير العديد من الأسرى من قبل لاستكمال المهمة الضخمة[٣٥].

ثانيهما: هيبوداموس الذي نسب إليه اختراع فن تخطيط المدن، بعد أن وضعه لأول مرة مخططًا لمدينته الأصلية ميليتوس، وقد ذكره أو. إي. دبليو. ديلك في كتابه (الخرائط اليونانية والرومانية) كمصدر إلهام لكثير من المهندسين اليونانيين في تحديد المواقع الرئيسية للأراضي والشوارع في المدن والمناطق الريفية كما يتضح من بقايا كبيرة من المستطيلات الحضرية في المنطقة الوسطى من نابولي الحديثة.[٣٦]

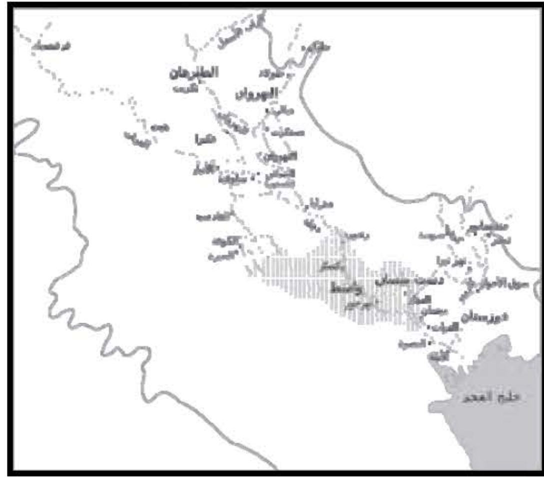
شهد عام ٣٣٢ قبل الميلاد مع صعود الإسكندر ذو عشرين عامًا إلى العرش المقدوني بداية أحداث غيرت مستقبل العالم، فقد وجه الملك الشاب جل اهتمامه للغزو، واستقبله أهل مصر بحرارة عندما دخلها، وجعله احترامه الشديد للمصريين يتبنى ثقافتهم، فأسس فيها مدينة الإسكندرية وزود مدرستها بأعظم عقول عصره، ومن هذه المدرسة ظهر هيرو الإسكندراني الذي تعد أكثر أعماله أهمية بالنسبة للمساحين هو ديو بترا، إذ يصف بالتفصيل كيفية بناء أداة المسح اليونانية ديو بترا بالإضافة إلى تحديد مختلف التقنيات لأداء المسح الميداني وقياس المسافة عن بعد عن طريق التثليث.



ديو بترا

جمع هيرو كافة المعلومات التي تشرح كيفية تمكن الإغريق من حساب المسافات في العديد من المواقف المتنوعة، فضلًا عن تفاصيل بناء أدوات المسح بأنفسهم[٣٧].

كما اعترف الرومان بالمساحة كمهنة، وقاموا بعمل القياسات الأساسية التي تم تقسيم الامبراطورية الرومانية على أساسها مثل التسجيل الضريبي للأراضي التي تم غزوها عام ٣٠٠ بعد الميلاد[٣٨]، واخترعوا عدة أدوات للمساحة مثل الجروما والشروبانس.



خريطة توضح حدود سواد العراق

كما بعث عمر حذيفة بن اليمان على ما وراء دجلة[٤٦] أي الأراضي التي كانت تُسقى من ماء الفرات، وحدد عمر رضي الله عنه المقياس الواجب استعماله في مسح الأراضي بالذراع العمري، فذكر الماوردي أن ذراع عمر التي مسح بها أرض السواد: "هي ذراع وقبضة وإبهام قائمة، قال الحكم بن عُيينة إن عمر رضي الله عنه عمد إلى أطولها ذراعًا وأقصرها وأوسطها فجمع منها ثلاثة، وأخذ الثلث منها، وزاد عليه قبضة وإبهام قائمة، ثم ختم في طرفيه بالرصاص وبعث بذلك إلى حذيفة وعثمان ابن حُنيف حتى مسحا بها السواد"[٤٧]، وتعادل الذراع العمرية في الوقت الحاضر ٧٢,٨سم.[٤٨]

ويبدو أن العرب كانوا يقومون بعمليات مسح للأراضي قبل الإسلام –وإن لم نجد أي ذكر لها في أي مصدر حتى الآن–والدليل على ذلك:

- إن طلب سيدنا عمر رضي الله عنه بمسح أراضي السواد لم يستغربه أحد من الصحابة، أو يستوضحه أحد فيه.

- لم يضطر للاستعانة بمساحين من أهل العراق رغم خبرتهم في هذا المجال كما ذكرنا سابقًا، بل اختار سيدنا عمر اثنين من الصحابة من أهل المدينة المنورة (يثرب سابقًا) الواقعة في بسيط من الأرض في سبخة من الأرض كثيرة المياه والشجر والدوحات، ووادي العقيق من أخصب مناطق يثرب ويبعد عنها من جهة الغرب[٤٩] التي اشتهرت بتربتها الزراعية الخصبة، وتوافر المياه الجوفية فيها بكثرة، وهي غير بعيدة عن سطح الأرض؛ لذا صار في إمكان أهلها زرع النخيل وإنشاء البساتين والحدائق[٥٠]، وكان ملاك هذه الأراضي من قبائل عربية وهي الأوس والخزرج التي خرجت من اليمن باحثة عن أرض تناسبها لتستقر فيها، وقبائل يهودية، وكان لكل قبيلة مزارعها وآطامها وحصونها، لذا كان هناك حاجة لقياس الأراضي ووضع حدودها حفاظًا على ملكية كل فرد، ويبدو أن كلاهما كانا قد قاما بهذه العملية من قبل؛ لأنهما لم يبدا أي اعتراض على تكليف الخليفة لهما بهذه العملية.

- وجود عدة مقاييس لقياس الأراضي، مما دفع بسيدنا عمر رضي الله عنه إلى استحداث ذراع جديدة بعد أن جمع أطوال ثلاثة منها (الأطول والأوسط والأقصر)، ثم قسم المجموع على ثلاثة وزاد عليه مقدارًا معينًا، ثم ختم طرفي المقياس بالرصاص كي لا يتم تزويره، وأرسله إلى عامليه حذيفة وعثمان في العراق[٥١].

تعددت عمليات مسح أراضي السواد في العهد الأموي، فمسحها زياد بن أبيه في خلافة معاوية[٥٢] بالذراع الزيادية، وسميت بهذا الاسم؛ لأن زيادًا مسح بها أرض السواد[٥٣]، ثم مسحها عمر بن هبيرة في عهد يزيد بن عبد الملك الذي أعاد استعمال الذراع العمرية مرة أخرى، فكان (أول من مسح بها بعده –أي سيدنا عمر رضي

الله عنه-عمر بن هبيرة)[54].

استمر العباسيون يتبعون في فرض الخراج على السواد النظام الأموي مستندين على المسح الثالث الذي قام به عمر بن هبيرة حتى أواخر عهد المنصور حين أمر بمسح السواد للمرة الرابعة[55].

أهم المخطوطات العربية الإسلامية في علم المساحة

احتار مصنفو المخطوطات إلى أي فرع يصنفوا مخطوطات المساحة، فأغلبهم اعتبرها رياضية؛ لذا صنفوها ضمن المخطوطات الرياضية، وبعضهم صنفها في الطبيعيات، وبعضهم صنفها تحت اسم الأبعاديات، وفيما يأتي استعراض لأهم المخطوطات العربية الإسلامية في علم المساحة لعلنا نلفت انتباه الباحثين إليها، فيتم دراستها وتحقيقها لإبراز مساهمات علمائنا العرب ودورهم في تقدم علم المساحة وتطوره:

أولاً- **مخطوطة[56]: رسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في إيضاح وجدان أبعاد ما بين الناظر ومراكز أعمدة الجبال، وعلو أعمدتها، وعلم عمق الآبار، وعروض الأنهار وغير ذلك، وهي تسمى مورسيطس.**

- **المؤلف:** يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥-٢٥٦هـ/ ٨٠٥-٨٧٣م)، فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها، كان أبوه ملكًا على جميع كندة، ثم عُين أميرًا على الكوفة في زمن المهدي والهادي والرشيد، وكان ابنه يعقوب عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم، وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة جدًا في جميع العلوم[57].

كان الكندي على معرفة وثيقة بالعلوم اليونانية، ويبدو أنه تعلم وأتقن اللغة اليونانية والسريانية والأرجح أنه قد تعلم الفلسفة وما يتصل بها من علوم طبيعية ورياضية في بغداد وكانت تلك العلوم لا تزال في أيدي قلة قليلة من السريان، وهي علوم يونانية في أساسها، ولم يكن من سبيل لمن يرغب في الاطلاع عليها إلا أن يأخذها من منابعها وأصولها؛ لذا وجب عليه أن يتعلم اللغة اليونانية والسريانية[58] فترجم الكثير من الكتب اليونانية حتى ذُكر أن حذاق التراجمة في الإسلام أربعة: حنين بن إسحاق، ويعقوب بن إسحق الكندي، وثابت بن قرة الحراني، وعمر ابن الفرخان الطبري[59].

- **نسخ المخطوطة:** يوجد نسختان في استانبول -مكتبة آيا صوفيا:

* النسخة الأولى[60]: تحت رقم ٤٨٣٠، وهي ضمن مجموع (كتاب في الصناعة العظمى) من (٢٠٤ظ-٢١٠ظ)، ٢٣ سطر، حجم وسط، ويوجد منها صورة في مكتبة الميكروفيلم في معهد التراث العلمي العربي تحت رقم ١١/١٣٩، وهي منسوخة في دمشق في سنة ٦٢٦هـ.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.

رسالة يعقوب بن إسحاق الكندي في إيضاح وجدان أبعاد ما بين الناظر ومراكز أعمدة الجبال، وعلو أعمدتها، وعلم عمق الآبار، وعروض الأنهار وغير ذلك،

وهي تسمى مورسيطس

أما بعد فحاطك الله بصنعه، وأيدك بتوفيقه، ووهب لك علمًا نافعًا يحرسك به من الزلل، ويوديك به إلى طاعته. إن الذي سألت عنه من الحيلة في البُعد الذي بين علامة مفروضة وبين مركز عمود جبل مفروض، وعلم عمود الجبل المفروض ينقسم إلى نوعين من الحيل ...

آخرها: فقدر أ حـ عند أ ب معلوم لأن حـ أ معلوم، وذلك ما أردنا بيانه.

كملت الرسالة والحمد لله كثيرًا لا شريك له، وصلى الله على محمد النبي وسلم تسليمًا، وفرغتُ من كتابتها بدمشق في شعبان سنة ٦٢٦.

طرح الكندي في رسالته عدة مسائل مساحية وكيفية حلها، وشرح كيفية صنع بعض الآلات المستخدمة في القياس، ومن المسائل التي طرحها والأدوات التي شرح كيفية صنعها:

- وجدان أبعاد مراكز أعمدة الجبال المفروضة من أي موضع فرض وعلو أعمدتها ليكون محاطًا به ببرهان مساحي.
- كيف نعلم ارتفاع عمود منصوب ونحن أعلى منه على موضع نائي عنه.
- كيف نعلم ارتفاع ضلع جبل أو عمود منصوب بشكل آخر.
- علم آلة يدرك بها المنظور إليه على بسيط من الأرض.
- آلة أخرى نعلم بها ارتفاع الشيء القائم.
- آلة أخرى نعلم بها عرض نهر أو وادي أو مسافة بُعد شيء من الأشياء في بسيط.
- علم بعد ما بين شيئين بالبركار.
- علم طول القائم بالمرآة.
- علم عرض نهر أو بعد ما بين شيئين بالاسطرلاب.
- علم طول قعر بئر من غير مساحة.

واللافت للنظر أن المخطوطة تنتهي دون أي ذكر للآلة المسماة مورسيطس المذكورة في عنوان النسخة الأولى.



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

*النسخة الثانية[٦١]: تحت رقم ٤٨٣٢، وهي ضمن مجموع (مجموعة الرسائل في علم الهيئة والهندسة) من (٦٦ب - ٧٠أ)، منسوخة في القرن الخامس الهجري حسب ما ذكر د. سزكين.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم، العزة لله

رسالة الكندي في إيضاح وجدان أبعاد ما بين الناظر ومركز أعمدة الجبال وعلو أعمدة الجبال.

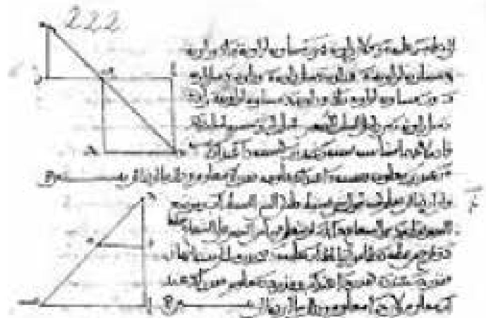
أما بعد فحاطك الله بصنعه، وأيدك بتوفيقه، ووهب لك علمًا نافعًا يحرسك به من الزلل، ويوديك به إلى طاعته. إن الذي سألت عنه من الحيلة في معرفة البُعد الذي بين علامة مفروضة وبين مركز عمود جبل مفروض، وعلم عمود الجبل المفروض ينقسم لنوعين من الحيل....

آخرها: فقدر أ حـ عند أ ب معلوم لأن حـ أ معلوم، وذلك ما أردنا أن نبين.

ويلاحظ أنه لم يتم ذكر تاريخ النسخ أو مكان النسخ في هذه النسخة.



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

ثانيًا ـ مخطوطة: كتاب أبي بكر بن أبي عابس في أخذ الأبعاد.

ـ **المؤلف:** أبو بكر بن أبي عابس: رياضي، لم تذكر المصادر تاريخ وفاته، ويبدو أنه عاش قبيل عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م[٦٢].

ـ **نسخ المخطوطة**[٦٣]**:** نسخة وحيدة موجودة في مكتبة آيا صوفيا تحت رقم ١٤/٤٨٣٠، ويوجد صورة عنها في مكتبة الميكروفيلم في معهد التراث العلمي العربي تحت رقم ١٢٨٣٩.

(٢١٠ب-٢١٤ب)، ٢٣ سطر، حجم وسط، كتبت في دمشق عام ٦٢٦هـ.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

كتاب أبي بكر بن أبي عابس رحمه الله في أخذ الأبعاد

الحمد لله وسلم على أولياء الطيبين ورحمة الله، أما بعد أدام الله لصاحب الشرطة العليا البقاء وأسبغ عليه النعماء وجمع له خير الآخرة والأولى، فإني لما رأيت تطلع نفس القائد أبي القسم النجل الكريم إلى علم الحساب ومعرفته مفصله وكلفه به وبالإشراف على أسراره وما أودعه الله عز وجل من الحكمة جمعت له في كتابي هذا معاني أفكار ....

آخرها: يبقى أ ب عمق البئر ستة عشر إن شاء الله وهذه صورته

تمت مقالة أبي بكر بن أبي عابس رحمه الله في أخذ الأبعاد بحمد الله وعونه وصلى الله على سيد المرسلين محمد وآله، وفرغت من كتابتها بدمشق في شعبان سنة ٦٢٦.

ثالثًا-مخطوطة: رسالة في معرفة آلات يُعلم بها أبعاد الأشياء الشاخصة في الهواء والتي على بسيط الأرض وأغوار الأودية والآبار وعروض الأنهار.

- **المؤلف:** النيريزي: هو أبو العباس الفضل ابن حاتم النيريزي، من علماء القرن ٣هـ/ ٩م، كان مما يشار إليه في علم النجوم لا سيما في علم الهيئة[٦٤]، وكان متقدمًا في علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحركات النجوم[٦٥]، عُرف باللاتينية بـ أناريتيوس Anaritius[٦٦]، وهو عالم رياضيات ومهندس وفلكي، ينتمي إلى نيروز قرية قرب شيراز بإيران[٦٧]، عاش أثناء حكم الخليفة العباسي المعتضد بالله، أتم عدة جداول فلكية وكتب كتابًا للمعتضد بالله حول الظواهر الفلكية[٦٨].

- **نسخ المخطوطة**[٦٩]: توجد نسخة وحيدة في إسطنبول، مكتبة آيا صوفيا تحت رقم ٣٨٣٠/ ف/٧٦٥، (٢١٥أ-٢٢٤ب) مؤلفة من ١٠ ورقات، ويوجد منها صورة في مكتبة الميكروفيلم في معهد التراث العلمي العربي تحت رقم (١٣/١٣٩)، وهي منسوخة في دمشق في سنة ٦٢٦هـ.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم وبالله التوفيق

هذا كتاب الفضل بن حاتم النيريزي للقسم ابن عبد الله بن موسى، في معرفة آلات يعلم بها أبعاد الأشياء الشاخصة في الهواء، والتي على بسيط الأرض وأغوار الأودية والآبار وعروض الأنهار...

آخرها: ثم تُقيم البعد بين طرفي هذين العودين الصغيرين مقام وتر القطعة من حرف الدائرة التي فصلها الخطان الشعاعيان.



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

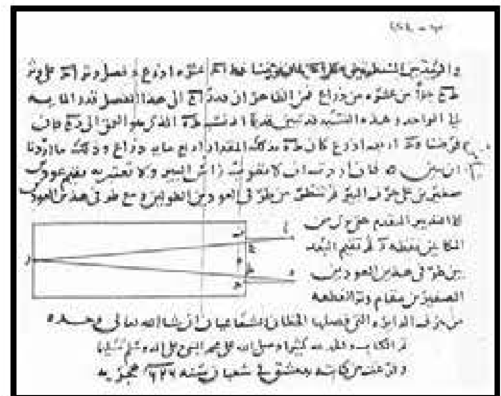


صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

إن شاء الله تعالى وحده تم الكتاب، والحمد لله كثيرًا، وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليما، وفرغت من كتابته بدمشق في شعبان سنة ٦٢٦ هجرية.



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

رابعًا ـ مخطوطة: كتاب أبي محمد الربى في أخذ الأبعاد.

ـ **المؤلف:** أبو محمد الربى، لم نجد له أي ذكر في المراجع.

ـ **نسخ المخطوطة**[٧٠]: نسخة وحيدة في مكتبة آيا صوفيا تحت رقم ٤٨٣٠، (٢٢٥أ-٢٢٧ب)، حجم وسط ويوجد منها صورة في مكتبة الميكروفيلم في معهد التراث العلمي العربي تحت رقم ١٤/١٣٩، وهي منسوخة في دمشق في سنة ٦٢٦هـ.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم كتاب أبي محمد الربى في أخذ الأبعاد

أعلمتني أعزك الله بطاعته وأكرمك برضوانه وأيدك بتوفيقه أنكم احتجتم إلى معرفة ارتفاع حصن من حصون العدو أهلكه الله، فاعتمدتم في ذلك على بعض من حضركم، ولم تسم لي ممن وثقتم به إلا واحدًا، وأما أنا فقد خشيت أنه لا يكون ثقة لكثرة معرفتي وتجربتي لأمثاله، ...

آخرها: ونعوذ بالله من الخذلان وحرمان التوفيق، ولهذا جعل أهل العلم لا أدرى نصف العلم؛ لأن علم الإنسان أنه لا يعلم أفضل علمه، وقوله أفضل خصاله، فإن علم أنه لا يمكنه أن يعلم شيئًا ما فأعلى من ذلك وأشرف، والله واهب العلم ومؤتي الحكمة لا إله إلا هو.

تم كتاب أبي محمد الربى في أخذ الأبعاد والحمد لله كثيرًا وصلى الله على محمد النبي وآله وفرغت من كتابته بدمشق في شعبان سنة ٦٣٦هجرية.

٩٦٥-١٠٤١م)، ثم انتقل إلى الديار المصرية وأقام بها إلى آخر عمره، وكان فاضل النفس قوي الذكاء متفننًا في العلوم، لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي، ولا يقرب منه، وكان دائم الاشتغال، كثير التصنيف، وافر التزهد، محبًا للخير(٧١)، كان رياضيًا وفلكيًا وفيزيائيًا من الطراز الأول، وله في الفلسفة العربية والأخلاق مكانة مرموقة لذلك(٧٢).

- **نسخ المخطوطة**(٧٣): يوجد منها أربع نسخ:

- لايدن: Or ١٤/٨، ص٢٣٦-٢٣٧، نسخت في القرن السادس الهجري.

- أكسفورد: Bodl.Seld ٣١٤٠، ٧/١٠، ورقتان، نسخت في ٦٣٣هـ.

- نيويورك: Un.Ms. Or.Columbia ٤٥ ، ١٢١ب- ١٢٢ب، نسخت في القرن التاسع الهجري.

- طهران: مجلس شوراى ٢٧٧٣/ ١ ، ص١-١٧، نسخة المؤلف.

وذكر د. فؤاد سزكين أن هناك شرح لهذه المخطوطة موجود في طهران: مجلس ٢٧٧٣/ ٢، وقد قام **محمد بن أحمد الحسين اللاهجان** بالشرح، ويوجد صورة لهذا الشرح في مكتبة الميكروفيلم في معهد التراث العلمي العربي تحت رقم ٨٣٢، نسخ بقلم نسخ حديث، سنة ١١٠٥هـ، ١٥صفحة، ١٥ سطر، ١١,٥ × ٢٠سم

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.

والحمد لله الذي يعلم وزن الأرضين وارتفاع المرتفعات من غير الحاجة لآلات أو معدات.

ثم يوضح الشارح أن "هذه المقالة للشيخ أبي علي بن الهيثم **في معرفة الأشخاص القائمة**



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

خامسًا - مخطوطة: معرفة ارتفاع الأشخاص القائمة وأعمدة الجبال وارتفاع الغيوم.

- المؤلف: ابن الهيثم: ولد أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم في البصرة (٣٥٤ -٤٣٢هـ/

وأعمدة الجبال وارتفاع الغيوم"، وأنه قد شرح "موضع الحاجة منها تذكرة لبعض الخلان وتوضيح لها بقدر الإمكان".

آخرها: "والحمد لله أولًا وآخرًا، قد فرغتُ من تحريرها في يوم الأحد خمسة وعشرين من شهر ذي قعدة سنة ١١٠٥ خمس ومائة بعد الألف"



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

سادسًا ـ مخطوطة: رسالة في صنعة آلة تعرف بها الأبعاد.

ـ **المؤلف:** السجزي: أبو سعيد أحمد بن محمد ابن عبد الجليل السجزي، رياضيًا وفلكيًا مهمًا جدًا، لا يعرف عن حياته شيء تقريبًا، ويتضح من تلميحات معاصريه، ومنهم البيروني، أن نشاطه العلمي كان لا محالة في النصف الثاني من القرن الرابع/ العاشر ميلادي[٧٤].

ـ **نسخ المخطوطة**[٧٥]: يوجد نسختان منها:

- لايدن، Or. ١٤/٥ (ص٢٢٣-٢٢٦، ٥٨٩هـ).

- نيويورك، جامعة كولومبيا، Ms.Or. ١١/٤٥.

سابعًا مخطوطة: مسألة سألها بعض المساح عن أحمد ... وجوابه عليها.

ـ **المؤلف:** السجزي.

نسخ المخطوطة[٧٦]: يوجد نسخة وحيدة منها في أكسفورد Bodl.Thurst: ٣٩٧٠,٣، (٥٦ب-٥٨أ)، نسخت سنة ٦٧٥هـ.

ثامنًا مخطوطة: كتاب في أخذ الأبعاد.

ـ **المؤلف**(٧٧): أبو محمد الرازي، ربما عاش قبل منتصف القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي.

ـ **نسخ المخطوطة**(٧٨): يوجد نسخة وحيدة في آيا صوفيا ٤٨٣٠/ ١٦، (٢٢٥ أ-٢٢٧ب)، نسخت في ٦٢٦هـ.

تاسعًا مخطوطة: رسالة في قسمة الأرضين.

ـ **المؤلف**[٧٩]: أحمد بن أحمد بن جعفر، مهندس لم يُعرف عنه شيء حتى الآن.

ـ **نسخ المخطوطة**[٨٠]: يوجد نسخة وحيدة

منها في بتنه Patna، تحت رقم ٦/٢٩٢٨، ٦ ورقات، نسخت في ٦٩٦هـ.

ذكرنا سابقًا أهم المخطوطات العربية الإسلامية **غير المحققة** والتي خُصص محتواها بالكامل للبحث في علم المساحة، ولكن يجدر بنا أن نذكر أنه هناك بعض المخطوطات الأخرى شرحت بعض العمليات المساحية والأدوات المستعملة في هذه العمليات، ولكن في فصل أو باب ضمن المخطوط الكامل، مثل **عملية وزن الأرض** (قياس فرق منسوب الأرض)، وفيها يتم قياس ارتفاع أو انخفاض نقطة بالنسبة لنقطة أخرى قياسية لمعرفة ميل الأرض، وقد ارتبطت هذه العملية بشكل كبير بالمشاريع المائية التي يتم فيها جر المياه عبر قنوات سواء أكانت ممدودة تحت الأرض أو ظاهرة على وجه الأرض، فأي خطأ في قياس فرق المنسوب يؤدي إلى إعطاء ميل قليل للقناة مما يؤدي إلى بطء في سرعة جريان المياه، فتترسب المواد المحمولة مع المياه (رمل، حصى صغير، ...) تدريجيًا إلى قاع القناة وعلى جوانبها، ومع تراكم هذه الترسبات وازديادها ينسد مجرى القناة انسدادًا نهائيًا[٨١]، وقد تم تحقيق هذه المخطوطات من قبل عدة باحثين ونشرها:

- كتاب المنازل السبع لأبي الوفاء البوزجاني (٣٢٨-٣٨٨هـ/ ٩٤٠م- ٩٩٨م)

خصص البوزجاني المنزلة الثالثة من كتابه (في ما يحتاج إليه الكتاب والعمال وغيرهم من علم الحساب وهي في أعمال المساحات)[٨٢]، ويذكر أنه قد قسم المنزلة إلى سبعة أبواب، وأفرد الباب السابع "في معرفة الأبعاد والأشياء العالية وعرض الأنهار والأودية وغير ذلك، وهو ستة فصول"[٨٣]، وقد طرح البوزجاني عدة مسائل مساحية وشرح كيفية حلها، وهي:

- (في معرفة الأبعاد التي على بسيط الأرض، وهو في معرفة عرض الأنهار والأودية والصحاري من غير أن يوصل إليها)[٨٤].

- (في معرفة أبعاد الأشياء العالية منا في الجو من غير أن نصل إلى أصله)[٨٥]، مثل رؤوس الجبال وعلو القباب أو قطعة غيم واقف في الهواء.

- (في معرفة طول الأشياء العالية من الأرض، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع: أحدها ما نصل إلى أصله ومركز حجره، والثاني ما لا نصل إلى أصله لكننا نراه بأعيننا، والثالث ما لا نصل إلى أصله ولا تقع عليه أبصارنا)[٨٦]

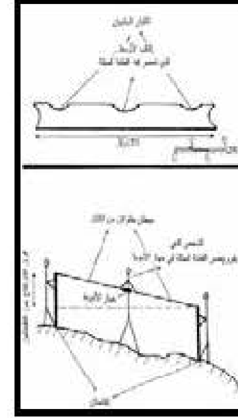
- (في معرفة الأبعاد إلى أصول الجبال ومسقط عمودها منا)[٨٧].

- (في معرفة عمق الآبار والبرك والحياض)[٨٨].

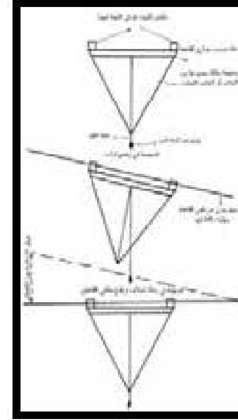
- كتاب إنباط المياه الخفية وكتاب الكافي في الحساب لأبي بكر محمد حسن الحاسب الكرجي (توفي في بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي):

كتب الكرجي كتابه سنة (٤٠٧هـ/ ١٠١٦م)، وقد بحث فيه موضوع المياه والري بصورة عامة، وموضوع المياه الجوفية بصورة خاصة، كما بحث في الأمور الهندسية المتعلقة بالمساحة وتسوية الأراضي[٨٩]، فتحدث أولًا عن عملية **وزن الأرض** فعرّفها بأنها طريقة (معرفة مقدار صعود مكان على مكان بينهما بُعد قليل أو كثير، وعلم ذلك بالموازين)[٩٠]، وأورد تعريفًا أكثر وضوحًا لهذه العملية في كتابه **الكافي في الحساب**، فذكر أن الباب الثاني والخمسون هو "باب في معرفة وزن الأرض إذا أردت أن تزن أرضًا لإنشاء نهر أو قناة، ووزنها أن تعرف صعود مكان على مكان ونزول مكان عن مكان،

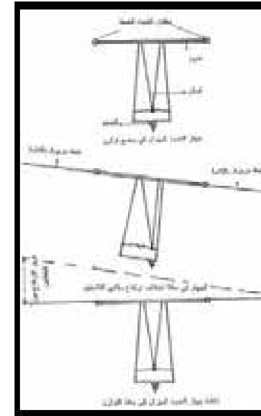
ومعرفة ذلك بعدة موازين"[91]، ثم ذكر في كتاب إنباط المياه الخفية أهم الموازين المعروفة في زمنه(الأنبوبة- الصفيحة أو الشبهية - العمود الميزان- أنبوبة الزجاج المجوفة)، وطريقة استعمالها باختصار.



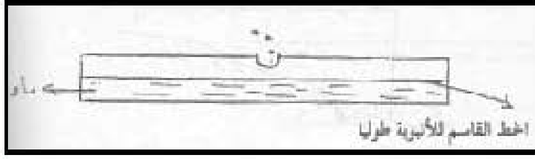
الأنبوبة المستقيمة



الصفيحة المثلثة

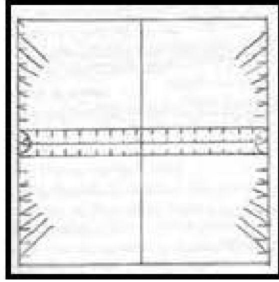


العمود الميزان

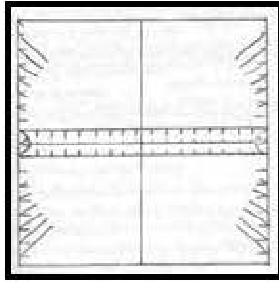


أنبوبة الزجاج المجوفة

ثم تحدث عن أداوت اخترعها بنفسه، والهدف منها عمل ميزان لا نحتاج فيه إلى خفض الخيط ورفعه[92]، وبذلك تلافى الأخطاء المتراكمة في كل نقطة قياس (الصفيحة المربعة- الصفيحة ذات الأنبوبة).

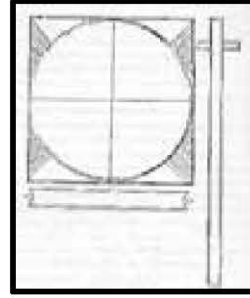


الصفيحة المربعة



الصفيحة ذات الأنبوبة

ثم أفرد بابًا بعنوان (باب ذكر آلة تُعرف بها أعمدة الجبال)[93] ضمنه المسائل المساحية التالية: -(البُعد بين مكانك وقلة أي جبل شئت، أم أي شخص مرئي أردته)، -(البُعد بين قلتي جبلين، وبين أي شخصين ظاهرين رأيت)، ولحل هذه المسائل اخترع آلة جديدة



الآلة التي اخترعها الكرجي

لقد كان الكرجي مهندسًا متمرسًا في الهندسة المدنية النظرية والعملية التطبيقية، فكان ملمًا بجميع الخطوات الواجب إتباعها أثناء تنفيذ أي مشروع، دقيق الملاحظة، اتبع منهجًا تجريبيًا علميًا دقيقًا في دراسته للآلات المستعملة في المساحة، فوصفها وصفًا هندسيًا واضحًا، وتحدث بالتفصيل عن كيفية صنعها، والمواد المستعملة في صنعها، وأبعادها، وطريقة استعمالها، كما كان مخترعًا متميزًا ذو فكر متطور ساعده على اختراع عدة آلات جديدة لحاجته إلى أدوات أكثر دقة وأقل خطأ في القياس، وقد استعملها وتأكد من دقتها في العمل مما يدل على خبرته العملية الواسعة في هذا المجال.

- **كتاب الحاوي للأعمال السلطانية ورسوم الحساب الديوانية** لأحمد بن الحسين الشقاق[٩٤] (وضع الكتاب في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي):

يعد الكتاب من الكتب الإدارية المؤلفة لتسيير أمور الدولة، ويتألف من عدة أبواب، يهمنا منها **"باب في ذكر موازن الأرض لحفر الأنهار المستجدة"**، بدأ المؤلف بتعريف وزن الأرض، فيقول: بأنه "علو مكان وانبساط مكان، وهذا يُعرف بعدة موازين إلا أن المعروف بين أهل زماننا ثلاث موازين نذكرها إن شاء الله تعالى"، ثم ذكر الموازين الثلاثة المشهورة التي ذكرها الكرجي سابقًا ولكن أضاف أسماء جديدة لبعض أقسام الآلة باتت تطلق عليها في زمانه، مما يوضح كيفية تغلغل المصطلحات الجديدة الغربية في الحياة اليومية نتيجة الاختلاط بين العرب وأهل المناطق المفتوحة.

- **كتاب ميزان الحكمة** لعبد الرحمن الخازني (ألف الكتاب سنة ٥١٥هـ):

ذكر الخازني الهدف من تأليف كتابه هذا (هو الجامع للموازين، ووجوه الوزن بها، وما يتعلق به، مما أشار إليه الحكماء المتقدمون وبسطه المتأخرون)[٩٥]، ولو عدنا إلى محتوى الكتاب لوجدناه شاملًا فقد ذكر المؤلف كل الموازين المعروفة في عصره، ومنها الموازين المستعملة في وزن الأرض، فأفرد الباب السابع للحديث عنها وهو بعنوان: (في ميزان الأرض لتسوية وجه الأرض على محاذاة السطح الأفقي ووجه الحيطان على محاذاة القطر الذي يثبت عليه: وهو يشتمل على ثلاثة فصول)[٩٦]، ويضم كل فصل أداة مستعملة في وزن الأرض (العمود الميزان "ذُكر سابقًا"- الشكل الناري- الشاقول) أي أن الخازني ذكر أداة جديدة لم يذكرها الكرجي هي الشكل الناري، أما الشاقول فتحدث عنه بشكل بسيط جدًا، ولكنه لم يشرح كيفية صنع هذه الأدوات، أو المواد المصنوعة منها، كما يُلاحظ أن شرحه لطريقة استعمالها كان مقتضبًا جدًا (على عكس الكرجي)، وربما يعود ذلك لكون هذه الموازين وطريقة استعمالها معروفة جدًا من قبل العاملين عليها، أو ربما لكون الكتاب كان مخصصًا لكافة الموازين المستعملة في عصره، والأكثر أهمية برأيه كانت الموازين المستعملة لوزن المعادن الثمينة كالذهب والفضة.

الشكل الناري

الشاقول

ـ **كتاب أساس القواعد في أصول الفوائد** لكمال الدين الفارسي (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٩م):

هذا الكتاب هو شرح وإضافة كمال الدين الفارسي على كتاب **الفوائد البهائية في القواعد الحسابية** لابن الخوام البغدادي (ولد في ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وقد اهتم كمال الدين في كتابه هذا بعملية وزن الأرض بشكل خاص، فكانت أفكاره مرتبة متسلسلة بشكل متميز، إذ **عرف** وزن الأرض في البداية فقال إنه "عبارة عن تفاوت بقعتين من بقاع الأرض في البعد والقرب من مركزها"[٩٧]، ثم ذكر **الغاية منه** "وإنما يُحتاج إلى تعرف هذا إذا أريد إنشاء نهر أو قناة من موضع إلى موضع؛ وذلك لأن الماء جسم ثقيل سيال إذا خُلي وطبعه في موضع فلا بد وأن ينحدر إلى جهة المركز،... فلأجل ذلك يُحتاج إلى تعرف صعود المكان المنقول إليه أو نزوله بالنسبة إلى المكان المنقول عنه، فإن كان المنقول إليه أنزل سَهُل نقل الماء، ولو لم يكن إلا بشق الصلاد، وجوب التلال، وتسوية الوهاد أعني أن طبيعة المكان غير ممتنعة عنه، وإن كان غير ذلك صعب أو امتنع"[٩٨]، ثم ذكر **الآلات المستخدمة في زمنه في وزن الأرض**، وهي ثلاث (وهي نفسها التي وردت عند الكرجي في كتابه إنباط المياه الخفية)، إلا أنه تميز عن من سبقه بأنه جمع الخطوات المشتركة في طريقة عملها، فذكرها مجتمعة منعًا من التكرار، ثم فصل الخطوات الخاصة بكل آلة.

ـ **خلاصة الحساب (رياضيات العاملي)** لبهاء الدين العاملي (٩٥٣-١٠٣١هـ/١٥٤٧-١٦٢٢م):

بهاء الدين العاملي عالم موسوعي، لقب بالعاملي نسبة إلى جبل عامل الذي يقع في الجنوب الشرقي من سهل البقاع في لبنان، عاش في الفترة العثمانية الأولى، من أشهر كتبه العلمية (خلاصة الحساب)، الذي نُشر تحت اسم (رياضيات العاملي)[٩٩]، وقد خصص العاملي الباب السابع لعلم المساحة، وسماه "فيما يتبع المساحات من وزن الأرض لإجراء القنوات ومعرفة ارتفاع المرتفعات وعروض الأنهار وأعماق الآبار، وفيه ثلاثة فصول: الفصل الأول في وزن الأرض لإجراء القنوات، الفصل الثاني في معرفة ارتفاع المرتفعات، الفصل الثالث في معرفة عروض الأنهار، وأعماق الآبار"[١٠٠]، وقد تميز العاملي باستعماله لآلة الإسطرلاب الفلكية في عمليات المسح ووزن الأرض، ومعرفة مدى الانحدار في الأرض لشق القنوات[١٠١].

- **كتاب علم المياه الجارية في مدينة دمشق** لمحمد حسين العطار الدمشقي (١١٧٧-١٢٤٣هـ/ ١٧٦٤-١٨٢٨م):

عرّف محمد حسين العطار الدمشقي الأشياء التي يحتاج إليها الحاسب، ومن هذه الأشياء الكونيا، وهي كما ذكر "تسمى الآن بالغادن"(١٠٢)، كما ذكر أداة أخرى سماها غادن الهوى، وهي نفسها الصفيحة المثلثة التي ذكرها من سبقه، وشرح طريقة استعمالها بشكل مشابه لما سبق إلا أنه ذكر مثالًا عدديًا في نهاية الشرح لتوضيح طريقة العمل(١٠٣).

- الخاتمة:

علم (مساحة الأراضي) علم قديم نشأ بشكل بدائي في مناطق استقرار الإنسان وممارسته للزراعة، وتطور نتيجة حاجته لتحديد ملكيته لأراضيه، ثم خطى خطوات متقدمة تبعًا لرغبة الإنسان في إنشاء مبان ضخمة كالمعابد والمدافن والقصور، وقد مارس العرب قبل الإسلام هذا العلم في أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية، وإن لم نجد مصادر تتحدث عنه بشكل صريح، إلا أن المناطق الزراعية المزدهرة والمنشآت الضخمة كالقصور والسدود تثبت صحة قولنا هذا.

وقد تعرف العلماء العرب المسلمون على منجزات الحضارات القديمة في علم المساحة من الكتب القديمة اليونانية والرومانية التي ترجمت إلى العربية، فدرسوا مسائله وتعرفوا على الأدوات المستخدمة في قياساته، ثم طرحوا مسائل جديدة، كما استعملوا أدوات جديدة لحل هذه المسائل كالإسطرلاب، ولكن للأسف ندرت الدراسات التي تحدثت عن دور علمائنا العرب المسلمين في هذا المجال، ولم تلق المخطوطات العربية المختصة في هذا الموضوع الاهتمام الكافي من الدراسين، فلم يتم تحقيق أغلبها أو دراستها حتى الآن؛ لذا كلنا رجاء في أن يكون هذا البحث حافزًا لإثارة همة مهندسينا المهتمين بتراثنا الهندسي الحضاري في أن يسهموا في إبراز الدور العربي العلمي والعملي في تطور علم المساحة.

الحواشي

١ - نجم، محمد واصل، المساحة، منشورات جامعة حلب، كلية الهندسة التقنية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٣.

٢ - الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج، مقدمة عامة في علم المساحة، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، المملكة العربية السعودية، ص٣.

٣ - الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة "مساحة"، https://ar.wikipedia.org

٤ - الشعار، مها، الري في العراق في العصر الأموي، رسالة ماجستير، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٦٠.

٥ - مشارة عراقية تعادل ٢٥٠٠م٢

٦ - الكار يعادل ٦م.

٧ - سوسة، أحمد، الري والحضارة، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٦٨م، ص١٢٢ وما يليها.

٨ - سوسة، الري والحضارة، ص١٢٤.

٩ - الراوي، فاروق ناصر، "الفصل الثامن: العلوم والمعارف"، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٦هـ/١٩٥٨م، ج٢، ص٢٨٧.

١٠- سوسة، الري والحضارة، ص١٢٣ وما يليها.

١١- سوسة، الري والحضارة، ص١٢٤.

١٢- الراوي، "الفصل الثامن: العلوم والمعارف"، حضارة العراق، ج٢، ص٢٨٦ وما يليها.

١٣- أنطون، سنان، البابليون سبقوا فيثاغورس للرياضيات، مقال منشور على الموقع الإلكتروني:

http://www.aljazeera.net

١٤ - باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار المعلمين العالية، بغداد، ١٩٥٥م، ج١، ص٤٣٢.

١٥ - الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة "بليمبتون ٣٢٢"، https://ar.wikipedia.org

١٦ - توصّل لأسرار الرياضيات قبل فيثاغورس بألف عام، ٢٠١٧م، مقال نشر على الموقع الإلكتروني: http://www.huffpostarabi.com

١٧ - الزبيدي، أباذر، علم المساحة والمقاييس في ضوء النصوص المسمارية، بحث نشر في عام ٢٠١٤ على الموقع الإلكتروني: http://www.nasiriyah.org

١٨ - الزبيدي، علم المساحة والمقاييس في ضوء النصوص المسمارية.

١٩ - المرجع السابق.

٢٠ - القاضي، مصطفى محمود، "نظم ووسائل الري في مصر في العصر العربي"، الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مج٢، ص ص٤١٤-٤١٦.

٢١ - القاضي، "نظم ووسائل الري في مصر في العصر العربي"، مج٢، ص٤١٦.

22 - BROCK, John F.,"Pyramids to Pythagoras: Surveying from Egypt to Greece – 3000 B.C. to 100 A.D.", FIG Working Week 2004, Athens, Greece, May 22-27, 2004, P 13.

23- BROCK, John F., "Four Surveyors of the Gods: In the XVIII Dynasty of Egypt – New Kingdom c. 1400 B.C.", FIG Working Week 2005 and GSDI-8، Cairo، Egypt, April 16-21, 2005، P 2.

24 - BROCK, 'Four Surveyors of the Gods ...', P 3.

25 - PAULSON، Joel F., "Surveying in Ancient Egypt", FIG Working Week 2005 and GSDI-8, Cairo, Egypt, April 16-21, 2005, P 11.

26 - PAULSON، "Surveying in Ancient Egypt", P 10.

27 - PAULSON، "Surveying in Ancient Egypt", P 1.

28 - BROCK, 'Four Surveyors of the Gods ...', P 2.

29 - PAULSON، "Surveying in Ancient Egypt", P 5.

30- PAULSON، "Surveying in Ancient Egypt", P 11.

31- PAULSON، "Surveying in Ancient Egypt", P 2.

٣٢ - أدوات بناء الأبنية في مصر قديمًا، مقال نشر على الموقع الإلكتروني:
(http://www.qadeem.com/vb/showthread.php?t=28655)

33 - PAULSON، "Surveying in Ancient Egypt", P 3.

34 - BROCK, "Pyramids to Pythagoras ..., P 1.

35- BROCK, "Pyramids to Pythagoras ..., P p 6-7.

36 - BROCK, "Pyramids to Pythagoras ..., P 8.

37- BROCK, "Pyramids to Pythagoras ..., P 12.

٣٨- الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة "مساحة (علم)"، https://ar.wikipedia.org

٣٩- السواد: "سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار لأنه حين تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار فيسمونه سوادا كما إذا رأيت شيئًا من بعد قلت: ما ذلك السواد؟ وهم يسمون الأخضر سوادا والسواد أخضر".

ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، مج٣، مادة "السواد"، ص٢٧٢.

٤٠- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، مادة "السواد"، ص٢٧٤.

٤١- الخراج: هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عنها، والخراج في لغة العرب اسم للكراء والغلة.

الماوردي، أبو الحسن بن محمد (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٩٠٩م، ص١٣١.

٤٢- يعقوب، أبو يوسف (ت١٨٢هـ)، كتاب الخراج، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص١١٣.

٤٣- ابن خرداذبة، عبيد الله (ت٣٠٠هـ)، المسالك والممالك، تحقيق دي جوج، مطبعة بريل ليدن، ١٨٩٢م، ص١٤.

٤٤- البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ط٢، ١٩٦٨م، ص٢٦٩.

٤٥- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة "السواد"، ج٣، ص٢٧٤.

٤٦- البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٦٩.

٤٧- الماوردي، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٩٥.
٤٨- هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م، ص٨٩
٤٩- غضبان، ياسين، مدينة يثرب قبل الإسلام، دار البشير للنشر، عمان، ١٩٩٣م ص٢٧.
٥٠- غضبان، مدينة يثرب قبل الإسلام، ص٣٦.
٥١- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص١٩٥.
٥٢- فوزي، فاروق عمر، "الفصل الثامن: واردات الدولة ونفقاتها"، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٦هـ/١٩٥٨م، ج٥، ص٣٧٦.
٥٣- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص١٩٥.
٥٤- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص١٩٥.
٥٥- فوزي، "الفصل الثامن: واردات الدولة ونفقاتها"، حضارة العراق، ج٥، ص٣٧٦.
٥٦- ملاحظة: قمتُ بتحقيق المخطوطة ودراستها علمياً وتاريخياً مؤخراً.
٥٧- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، الباب العاشر، ص٢٨٥.
٥٨- الأهواني، أحمد فؤاد، الكندي فيلسوف العرب، سلسلة أعلام العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص ص ٣٦-٣٧.
٥٩- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الباب العاشر، ص٢٨٥.
٦٠- قسم الفهرسة والتصنيف، فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي، معهد التراث العلمي العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٥٩.
٦١- سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، ترجمة عبد الله عبد الله حجازي وحسن محيي الدين حميدة ومحمد عبد المجيد علي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مج٥، ص٣١٢.
٦٢- حميدان، زهير، أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٥م، مج٣، ص١٨٤.
٦٣- سزكين، تاريخ التراث العربي-الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص٥٠٣.
٦٤- ابن النديم، ابو الفرج محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، تحقيق رضا-تجدد، طهران، ١٩٧١، الفن الثاني من المقالة السابعة، ص٣٣٨
٦٥- ابن صاعد الأندلسي، صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩-١٠٧٠م)، طبقات الأمم، نشره وذيله بالحواشي وأردفه بالروايات والفهارس لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢، ص٥٦.
٦٦- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص٣٥٠.
٦٧- فوق العادة، فايز، مادة "النيريزي"، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، مج٢١، ص٢١٢
٦٨- الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مادة "النيريزي"، https://ar.wikipedia.org.
٦٩- قسم الفهرسة والتصنيف، فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي، ص٢٣٨.
٧٠- قسم الفهرسة والتصنيف، فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي، ص٨٩.
٧١- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الباب الرابع عشر، ص٥٥٠.
٧٢- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص٤٥٨.

٧٣- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص٤٧٤.

٧٤- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص٤١٨.

٧٥- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص٤٢٣.

٧٦- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص٤٢٥.

٧٧- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص٥٠٤.

٧٨- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص٥٠٤.

٧٩- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص ٥٠٨.

٨٠- سزكين، تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ، مج٥، ص ٥٠٨.

٨١- الشعار، مها، "وزن الأرض في المؤلفات العربية /الإسلامية"، كتاب أبحاث المؤتمر السنوي الثالث والثلاثون لتاريخ العلوم عند العرب، المنعقد في جامعة حلب ٢٣-٢٥ شعبان١٤٣٩هـ/ ٨-١٠أيار ٢٠١٨م، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م، ص ٢٦٧-٣١٢، (نشر الكتروني).

٨٢- سعيدان، أحمد سليم، تاريخ علم الحساب العربي، الجزء الأول حساب اليد، "تحقيق لكتاب المنازل السبع لأبي الوفاء البوزجاني"، عمان، الأردن، ١٩٧١م، ص٢٠٢.

٨٣- سعيدان، تاريخ علم الحساب العربي، ج١، ص٢٠٤.

٨٤- سعيدان، تاريخ علم الحساب العربي، ج١، ص٢٧١.

٨٥- سعيدان، تاريخ علم الحساب العربي، ج١، ص٢٧١.

٨٦- سعيدان، تاريخ علم الحساب العربي، ج١، ص٢٧٣.

٨٧- سعيدان، تاريخ علم الحساب العربي، ج١، ص٢٧٥.

٨٨- سعيدان، تاريخ علم الحساب العربي، ج١، ص٢٧٥.

٨٩- سوسة، أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين، وزارة الري، بغداد، ١٩٨٣م، ج٢، ص٢٥٩.

٩٠- الكرجي، أبو بكر محمد بن الحسن، إنباط المياه الخفية، تحقيق ودراسة بغداد عبد المنعم، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٧١.

٩١- الكرجي، أبو بكر محمد بن الحسن، الكافي في الحساب، تحقيق ودراسة وشرح سامي شلهوب، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، ١٤٠٦/ ١٩٨٦م، ص١٥٥.

٩٢- الكرجي، إنباط المياه الخفية، ص٧٨ وما يليها.

٩٣- الكرجي، إنباط المياه الخفية، ص٩٤.

94 – CAHEN, Claude, "Le Service de l'irrigatino en Iraq au debut du XIeme siècle", Bulletin de l'etudes orientales, Institut Francais de Damas, tom XIII, 1951, PP. 117-143.

٩٥- الخازني، عبد الرحمن (ألف الكتاب سنة ٥١٥هـ)، كتاب ميزان الحكمة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٣٥٩هـ، صفحة الغلاف.

٩٦- الخازني، كتاب ميزان الحكمة، الباب السابع، الفصل الأول، ص١٥٠.

٩٧- موالدي، مصطفى، "وزن الأرض عند كمال الدين الفارسي"، مجلة تاريخ العلوم العربية، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، المجلد العاشر، العددان ٩٢-٩٣، ١٩٩٤م، ص٥.

٩٨- موالدي، "وزن الأرض عند كمال الدين الفارسي"، ص٩.

٩٩- البابا، زهير، مادة "بهاء الدين العاملي"، الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، المجلد الخامس، ص٤٢٩.

١٠٠- بهاء الدين العاملي، محمد بن حسين بن عبد الصمد، رياضيات العاملي، تحقيق جلال شوقي، ط١، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٧٦، ص ٨٩.

١٠١- الشعار، مها، دراسة تحليلية للمنشآت المائية في سورية حتى نهاية القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، معهد التراث العلمي العربي، ٢٠٠٤م، ص٣٧١.

١٠٢- الغادن: أساسها اللغوي من الغدان، وتعني القضيب تعلق عليه الثياب.

العطار الدمشقي، محمد حسنين، علم المياه الجارية في مدينة دمشق، تحقيق أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤م، ط١، ص١٩٠.

١٠٣- العطار الدمشقي، علم المياه الجارية في مدينة دمشق، ص ص ٥٥-٥٦.

المصـــادر والمراجع العربية

١- **ابن أبي أصيبعة**، موفق الدين أبي العباس، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢- **ابن خـرداذبـة**، عبيد الله (ت ٣٠٠هــ)، **المسالك والممالك**، تحقيق دي جوج، مطبعة بريل ليدن، ١٨٩٢م.

٣- **ابن صاعد الأندلسي**، صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩-١٠٧٠م)، **طبقات الأمـم**، نشره وذيله بالحواشي وأردفـه بالروايات والفهارس لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢.

٤- **ابـن النديم**، أبـو الفرج محمد بن أبـي يعقوب، **الفهرست**، تحقيق رضا-تجدد، طهران، ١٩٧١م.

٥- **الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج، مقدمة عامة في علم المساحة**، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، المملكة العربية السعودية.

٦- **الأهواني**، أحمد فـؤاد، **الكندي فيلسوف العرب**، سلسلة أعلام العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٧- **البابا**، زهير، مادة "بهاء الدين العاملي"، **الموسوعة العربية**، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، المجلد الخامس.

٨- ، طه، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، دار المعلمين العالية، بغداد، ١٩٥٥م، ج١، ص٤٣٢.

٩- ، أحمد بن يحيى، **فتوح البلدان**، مطبعة بريل، ليدن، ط٢، ١٩٦٨م.

١٠- **بهاء الدين العاملي**، محمد بن حسين بن عبد الصمد، **رياضيات العاملي**، تحقيق جلال شوقي، ط١، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٩٧٦م.

١١- **حميدان**، زهير، **أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٥م، مج٣.

١٢- **الـراوي**، فاروق ناصر، "الفصل الثامن: العلوم والمعارف"، **حضارة العراق**، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٦هـ/١٩٥٨م، ج٢.

١٣- **سزكين**، فؤاد، **تاريخ التراث العربي –الرياضيات حتى نحو ٤٣٠هـ**، ترجمة عبد الله عبد الله حجازي وحسن محيي الدين حميدة ومحمد عبد المجيد علي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، مج٥.

١٤- **سعيدان**، أحمد سليم، **تاريخ علم الحساب العربي**، الجزء الأول حساب اليد، "تحقيق لكتاب المنازل السبع لأبي الوفاء البوزجاني"، عمان، الأردن، ١٩٧١م.

١٥- **سوسة**، أحمد، **الري والحضارة**، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٦٨م.

١٦- **الشعار**، مها، **دراسـة تحليلية للمنشآت المائية في سورية حتى نهاية القرن التاسع عشر**، رسالة دكتوراه، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، سورية، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م.

١٧- **الشعار**، مها، **الري في العراق في العصر الأموي**، رسالة ماجستير، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٨- **الشعار**، مها، "وزن الأرض في المؤلفات العربية /الإسلامية"، **كتاب أبحاث المؤتمر السنوي الثالث والثلاثون لتاريخ العلوم عند العرب** المنعقد في جامعة حلب ٢٣-٢٥ شعبان١٤٣٩هـ/ ٨-١٠أيار ٢٠١٨م، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م، ص ٢٦٧-٣١٢، (نشر الكتروني).

١٩- **العطار الدمشقي**، محمد حسنين، **علم المياه الجارية في مدينة دمشق**، تحقيق أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤م، ط١.

٢٠- **غضبان**، ياسين، **مدينة يثرب قبل الإسلام**، دار البشير للنشر، عمان، ١٩٩٣م.

٢١- **فوزي**، فاروق عمر، "الفصل الثامن: واردات الدولة ونفقاتها"، **حضارة العراق**، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٦هـ/١٩٥٨م، ج٥.

٢٢- **فوق العادة**، فايز، مادة "التبريزي"، **الموسوعة العربية**، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، مج٢١.

٢٣- **القاضي**، مصطفى محمود، "نظم ووسائل الري في مصر في العصر العربي"، **الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب**، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مج٢.

٢٤- **قسم الفهرسة والتصنيف**، **فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي العربي**، معهد التراث العلمي العربي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

٢٥- **الماوردي**، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ)، **الأحكام السلطانية**، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٩٠٩م.

٢٦- **الماوردي**، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ)، **الأحكام السلطانية**، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٧- **موالدي**، مصطفى، "وزن الأرض عند كمال الدين الفارسي"، **مجلة تاريخ العلوم العربية**، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، المجلد العاشر، العددان ٩٢-٩٣، ١٩٩٤م.

٢٨- **نجم**، محمد واصل، **المساحة**، منشورات جامعة حلب، كلية الهندسة التقنية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٩- **هنتس**، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية**، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.

٣٠- **ياقوت الحموي**، شهاب الدين، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٣١- **يعقوب**، أبو يوسف (ت١٨٢هـ)، **كتاب الخراج**، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

المراجع الإلكترونية:

٣٢- **أدوات بناء الأبنية في مصر قديمًا**، مقال نشر على الموقع الإلكتروني: http://www.qadeem.com

٣٣- **أنطون**، سنان، **البابليون سبقوا فيثاغورس للرياضيات**، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.aljazeera.net

٣٤- **توصّل لأسرار الرياضيات قبل فيثاغورس بألف عام**، ٢٠١٧م، مقال نشر على الموقع الإلكتروني: http://www.huffpostarabi.com

٣٥- **الزيدي**، أبلار، **علم المساحة والمقاييس في ضوء النصوص المسمارية**، بحث نشر في عام ٢٠١٤ على الموقع الإلكتروني: http://www.nasiriyah.org

٣٦- **الموسوعة الحرة ويكيبيديا**، مادة "بليمبتون ٣٢٢"، https://ar.wikipedia.org

٣٧- **الموسوعة الحرة ويكيبيديا**، مادة "مساحة"، https://ar.wikipedia.org

٣٨- **الموسوعة الحرة ويكيبيديا**، مادة "التبريزي"، https://ar.wikipedia.org.

المراجع الأجنبية:

- BROCK, John F., "Four Surveyors of the Gods: In the XVIII Dynasty of Egypt – New Kingdom c. 1400 B.C.", FIG Working Week 2005 and GSDI-8، Cairo, Egypt, April 16-21, 2005.
- BROCK, John F., "Pyramids to Pythagoras: Surveying from Egypt to Greece – 3000 B.C. to 100 A.D.", FIG Working Week 2004, Athens, Greece, May 22-27, 2004.
- CAHEN, Claude, "Le Service de l'irrigatino en Iraq au debut du XIeme siècle", Bulletin de l'etudes orientales, Institut Francais de Damas, tom XIII, 1951, PP. 117-143.
- PAULSON، Joel F., "Surveying in Ancient Egypt", FIG Working Week 2005 and GSDI-8, Cairo, Egypt, April 16-21, 2005.

التقييدات على المخطوطات: دراسة في الأنواع والوظائف

سامح السعيد
مصر - القاهرة

مقالات

تمهيد

يُعَدّ المخطوط العربي كيانًا ماديًا يتكون من مادة يُكتب عليها، ومادة يُكتب بها، وأداة تستخدم في الكتابة، وخط يُختار لها، وأسلوب معين للكتابة، ثم أشكال متنوعة من الفنون يمكن أن تضاف إليه مثل الزخرفة والتذهيب، والأسلوب المُتّبَع في التجليد.

ونعلم جميعًا أن للمخطوطات الإسلامية أهمية كبيرة ليس في محتواها فحسب ولكن فيما دُوِّن على صفحاتها من تقاييد تتضمن معلومات مهمة تتصل بالتأريخ الثقافي والحضاري لصانعي هذا الكتاب. وجَلِيٌّ جدًا أن اهتمام الدارسين والمحققين بالنص كان ولا يزال أكبر من اهتمامهم بدراسة المخطوط ككل، وهو تقصير عظيم في حق هذا المخطوط علينا، فمن خلاله وصلت إلينا المعرفة والعلم، وذلك عبر تاريخ الأمة الإسلامية الممتد على مدار ما يقرب من اثني عشر قرنًا من الزمان، فكان حتما علينا أن نوازن في دراستنا للمخطوط العربي بين النص المعرفي والوعاء الذي يحفظه.

وعناية الباحثين بدراسة ما يسمى بالقيود أو خوارج النص تُمَكّنّا من اكتشاف جانب من تاريخ المسلمين الحضاري الذي ما زال بعضه مجهولا أو غامضًا، وسيُوَصّل كذلك إلى فهم فلسفة هذه الحضارة التي نهضت أساسًا على الكتاب وفنونه المتنوعة.(١)

من أجل ذلك كانت هذه الدراسة العلمية، وقد اتبعت فيها المنهج الوصفي التحليلي، وقد جاءت في تمهيد ومقدمة ذكرت فيها دلالة مصطلح التقييدات، والمحاولات العلمية لتصنيف هذه التقييدات أو خوارج النص. ثم أربعة مباحث تفصيلية:

المبحث الأول: قيود الصناعة.

المبحث الثاني: قيود النساخة.

المبحث الثالث: قيود الوثاقة.

المبحث الرابع: قيود الإفادة.

ثم الخاتمة وقد لخصت فيها أهم النتائج التي خرجت بها من هذه الدراسة والتوصيات، ثم أخيرًا قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها واستعنت بها في إنجاز الدراسة.

مقدمة

التقييدات مصطلح علمي له دلالته الخاصة بالإجراءات الكتابية على المخطوطات، وهو مشتق لغة من القيد، وقيّد العلم بالكتاب: أثبته وضبطه، وكتاب مُقيّد أي مشكول، والجمع قيود وأقيّد وأقياد.(٢)

هذا من حيث التعريف اللغوي، أما في اصطلاح العلماء فقد عرّف د. رمضان ششن القيود على المخطوطات فقال هي: كل نص كُتب على صفحة العنوان أو صفحاته الأولى أو على هوامشه أو خاتمته مما ليس له علاقة بنص المؤلف، بل هو إضافة من شخص أو أشخاص آخرين ممن وقعت النسخة في أيديهم.(٣)

أما د. أيمن فؤاد سيد فقد وسمها في كثير مما كتبه بخوارج النص Ex-libris، وعرّفها بقوله: هي كل ما يكتب على الصفحات الأولى من المخطوطة قبل نص الكتاب من التملكات والوقفيات أو قيود المطالعة والمقابلة والمعارضة والفوائد، أو في الصفحة الأخيرة بعد حرد المتن(٤) من إجازات للسماع والقراءة والمناولة.

وهي تعريفات جيدة أصابت الحقيقة إلى حد كبير، ولكن حين نطالع معجم مصطلحات المخطوط العربي نجده عرّفها بأنها: البيانات التي تساعد على معرفة تأريخ المخطوط من مثل: التجليد والكتابة والرّق والورق والتذهيب والتملك والوقف والتوقيعات والتصحيحات.(٥)

وهذا يشبه تعريف النساخة بمفهومها الدقيق كما ذهب إليه د. مصطفى طوبي، وهي كل ما كُتب على المخطوط حقيقة وليس من صميم المتن، أو ما يمكن أن نستقرأه من خلال معرفتنا بتقاليد الصناعة، ويقابله - أي مصطلح النساخة - في الفرنسية Transcripti (٦)

وهذه التقييدات منها ما هو مادي محسوس ومنها ما هو مستلهم مستنطق، ومنها ما هو داخلي مشهود وما هو خارجي مستحضر، ولهذه القيود أنواع كثيرة ومتعددة، ومن أشهرها حوامل الكتابة وأوعيتها من الرق والبردي والورق، وتقاليد صناعة هذه الحوامل والتجليد والزخرفة والتذهيب، وأدوات الكتابة من الأقلام والأمِدّة وتقاليد صناعتها، ودراسة الخطوط وتطورها، وتقاليد النساخة، وطرائق التأليف، وتأريخ النّسخ، والإجازات العلمية سماعًا وقراءة، والمطالعات، والتملكات، والمقابلات والمعارضات والتصحيحات، والوقفيات، والحواشي على هوامش النسخ وغير ذلك.(٧)

قلت: هذه هي مفردات علم الكوديكولوجيا وما يدرسه ذلك العلم ككل، وفيه نظر.

ومن خلال ما سبق من تعريفات، يمكن أن أذكر تعريفًا جامعًا مانعًا للتقييدات، وهي:

"ما قُيّد وأُثبت على المخطوطات من كتابات أو علامات تشتمل على معلومات ذات دلالة علمية أو فنية - متعلقة بالصناعة - أو تأريخية، سواء كانت مرتبطة بموضوع النص أم لا".

والمُلاحظ على هذا التعريف أنه استبعد كل ما يتعلق بتقاليد الصناعة، وأدوات الكتابة، ودراسة الخطوط وتطورها، وطرائق التأليف، فتلك مسائل يدرسها علم الكوديكولوجيا بمفهومه الواسع. كما وجدناه عند أصحاب معجم مصطلحات المخطوط العربي وغيرهما، ولكنّ الدراسة هنا محصورة فيما ظهر وكُتب على صفحات المخطوط بعيدًا عن نص المؤلف الأصلي.

المحاولات العلمية في تقسيم هذه التقييدات

حاول بعض العلماء أن يصنف هذه التقييدات،

من ذلك ما فعله العالم البلجيكي جاك لومير، فقد قسمها أربعة أقسام، وهي:

١- التقييدات التاريخية: من ذلك مثلاً: العنوان النهائي، وقيود الفراغ، واستهلالات النصوص، ونهاياتها، وعلامات التملك أو الانتماء.

٢- التقييدات الإجرائية: وتتكون من العناوين والعناوين الجارية، والحواشي، ومختلف أنظمة الترقيم النصي، وعدّ الصفحات.

٣- التقييدات التقنية: وهي التقاييد التي يكتبها الناسخ أثناء عملية نسخ النص، وهي تعليمات موجهة إلى الخطاط في كتابته للعناوين، والمُجلِّد، مثل قيود ترقيم الكراسات وترتيبها وخزمها.

٤- التقييدات الخاصة أو الذاتية: وهي تظهر الحالة العامة لنفسية النساخ، وعلم المطالعين للنُسخ، وهي تستوعب الهوامش والأدعية، والأفكار الشخصية للناسخ، وما ينشده من الله من أجر، ومن القارئ من دعاء له بالخير والتجاوز عن الزلل. [٨]

أما أستاذنا د. أيمن فؤاد سيد فقد قسّم هذه الخوارج إلى: التملكات والوقفيات وقيود المطالعة والمعارضة والإجازات بأنواعها وقيود الفوائد.

وهي اجتهادات طيبة صالحة للاعتماد عليها، لكني ارتضيت في هذه الدراسة التقسيم الذي أشار إليه د. مراد تدغوت في تقسيمه هذه التقييدات إلى أقسام أربعة، وهي: قيود الصناعة، وقيود النِّساخة، وقيود الوِثَاقة، وقيود الإفادة. [٩]

المبحث الأول: قيود الصناعة

والمراد بها تلكم القيود المتعلقة بتقاليد صناعة الكتاب المخطوط، ويمكن أن نصطلح على تقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهي: قيود التجميع، وقيود الخزم، وقيود الترقيم.

أولا: قيود التجميع

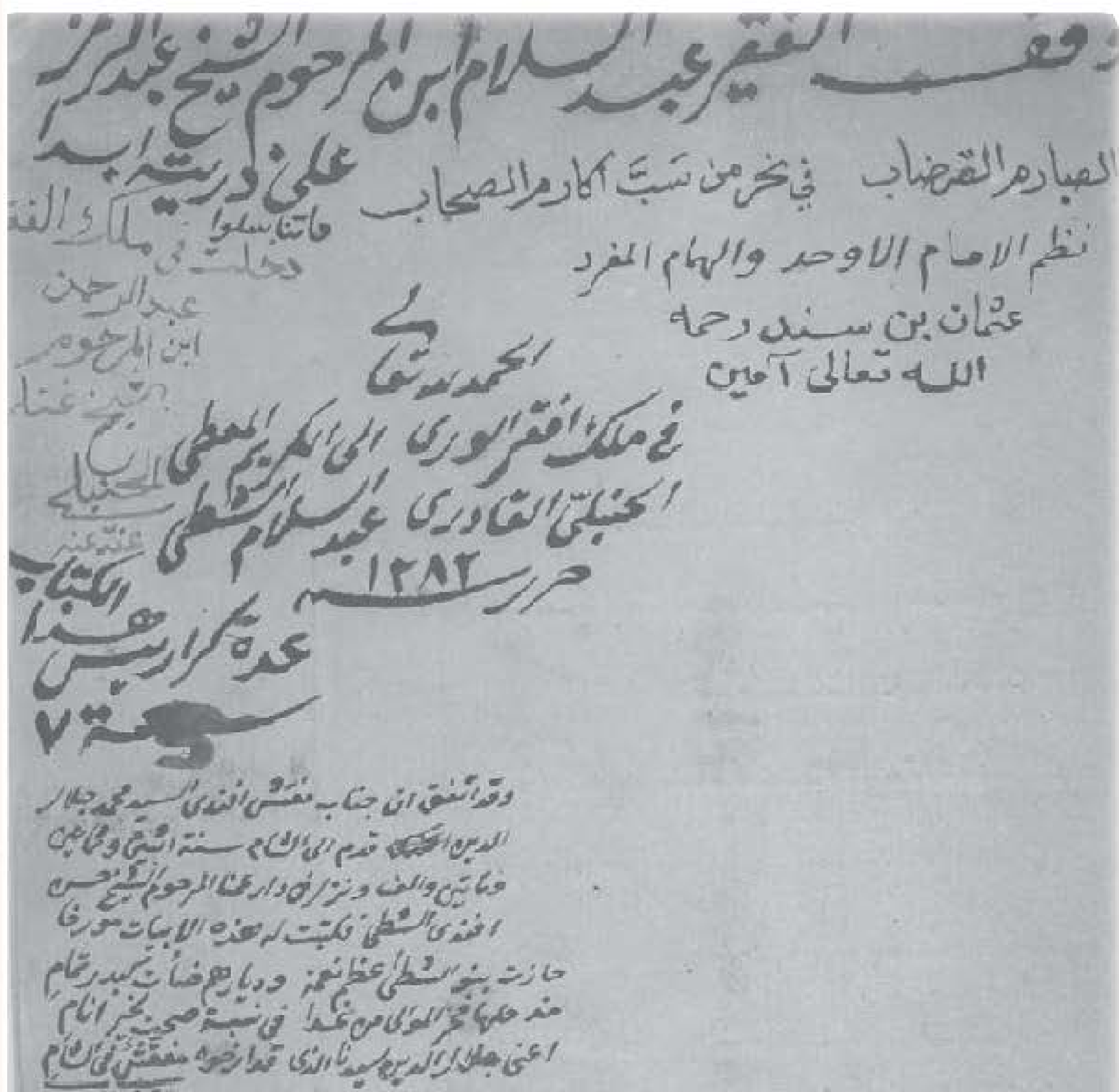
وهي قيود تتعلق بِعدّ الأوراق أو الملازم والكراسات في المخطوط، وتُستَخدم في كتابتها الأرقام، أو حساب الجُمَّل، أو الحروف، وتكتب عادة في بداية النص أو في نهايته.

ومن أقدم هذه القيود بنظام حساب الجُمَّل نسخة من كتاب "المدخل الكبير في علم أحكام النجوم" لأبي معشر البلخي(٢٧٢هـ) مؤرخة سنة ٣٨٧ هـ، جاء فيها عدد الأوراق المكتوبة هكذا: (دمد)، أي: ٤ + ٤٠ + ٤ = ٤٨ ورقة.

وهناك نموذج جيد آخر لهذا النوع من القيود يحتوي على عدد الملازم، واسم الناسخ في نسخة من كتاب "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (٧٠١هـ) كُتِبت في القرن التاسع الهجري: عدة الكراريس ثمانية عشر كراسًا، وعدة ما كتبه محمد الغزي سبعة وعشرون كراسًا، فيكون مجموع المدارك خمسة وأربعين كراسًا على التمام والكمال.

ومن النماذج الأخرى التي وُجِدت في المخطوطات، عدد ورقه: ست وعشرون قائمة غير قائمة، ورقه(نح) أي: ٥٠ + ٨ = ٥٨ ورقة، عدد أوراقه (نا) أي: ٥٠ + ١ = ٥١ ورقة.

ويظهر أن قيود التجميع قد ارتبطت بأسعار الكتاب المخطوط، ذلك أنها وضعت من أجل مساعدة بائع الكتب في حساب السعر المحتمل للكتاب، كما أنها تساعد المُجَلِّد في ترتيب الكراسات وتجمعيها قبل قيامه بتجليد الكتاب تجنبًا لخلط الأوراق أو الملازم[١٠].



وقف الفقير عبد السلام ابن المرحوم الشيخ عبد الر...
على ذريته ابدا ما تناسلوا

الصارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب

نظم الامام الاوحد والهمام المفرد
عثمان بن سند رحمه
الله تعالى آمين

الحمد لله تعالى
في ملك أفقر الورى الى الكريم المعطي
الحنبلي القادري عبد السلام الشطي
حرر سنة ١٢٨٢

عدة كراريس هذا الكتاب
سبعة ٧

دخلت في ملك الفقير
عبد الرحمن
ابن المرحوم
الحنبلي

وقد اتفق ان جناب مفتش افندي السيد محمد جلال
الدين ... قدم الى الشام سنة اثنتين وثمانين
وثمانين والف ونزل في دار عمنا المرحوم الشيخ حسن
افندي الشطي فكتبت له هذه الابيات مؤرخا

ـ صورة من نسخة لمنظومة الصارم القرضاب في نحر من سبّ أكارم الأصحاب لعثمان بن سند الحنبلي، وعليها قيد تجميع لعدد الكراسات بها، وهو سبع كراريس. كما أن بها تملكين : الأول لعبد الرحمن بن غنام الحنبلي، والآخر لعبد السلام الشطي القادري الحنبلي مؤرخ بسنة ١٢٨٢ هـ. كما أن بها وقفية باسم عبد السلام بن عبد الرحمن، وشرطها على ذريته ما تناسلوا.

ثانيًا: قيود الخزم

الخزم معناه الثقب، وهي عملية فنية يلجأ إليها المُجلِّد بتعليم الكراسات من الجانب بالمِخْرز لخياطة الكراسات وتجميعها ومن ثَمّ لتجليدها.[11] وقد آثرت عدم الإسهاب في ذكرها والحديث عنها؛ لأنها من التقاييد غير الظاهرة لأول وهلة على المخطوط وصفحاته، وإنما لرؤية علامات الخزم ينبغي أن يكون المخطوط مفككًا وهذا ما يفعله مُرمّم المخطوطات، وكذلك يراها مفهرس المخطوطات أثناء عملية الفهرسة لاسيما في النُسخ المفككة، وكذلك عالم الكوديكولوجيا في دراساته المتعلقة بصنعة التجليد في مجموعة

مخطوطات مكتبة ما، أو طرائق التجليد في حقبة زمنية معينة.[١٢]

ثالثا: قيود ترقيم الصفحات

للحفاظ على تسلسل النص في المخطوطات العربية كان لابد من اتباع نظام ضابط مانع من اختلاط فقرات النص أو مباحثه بتقدم المتأخر وتأخر المتقدم، فيما لو انفرطت أوراق المخطوط واختلطت، وقد تبين من دراسة المخطوطات العربية أن النُساخ والوراقين استخدموا لهذه الغاية نظامين: الأول نظام الترقيم العددي، والآخر نظام التعقيبة.[١٣]

١ـ الترقيم العددي

الترقيم هو الدلالة على الأعداد بالرموز. والرقم هو: العلامة أو الرمز الذي وُضع ليمثل العدد. وقد استعمل العرب الترقيم كغيرهم من الأمم، وسجلوا تلك الأرقام بالكلمات. كما أنهم استعملوا حروف أبجديتهم للدلالة على أرقامهم وسمَّوه حساب الجُمَّل.[١٤]

والترقيم العددي في المخطوطات العربية وسيلة من وسائل ضبط تتابع الأوراق في الكتاب، محافظة على تسلسل النص بحيث لا يقع تقديم أو تأخير في اختلاط في الأوراق أثناء عملية الاستنساخ أو التجليد. ولا يعرف بالضبط متى بدأ الترقيم في المخطوطات العربية رغم أهميته للمُجلِّد في تفادي اختلاط أوراق المخطوط بعضها ببعض، أو تقديم وتأخير الكراسات عن بعضها الآخر في أثناء التجليد.

ويبدو أن عملية الترقيم قد واكبت ظهور التعقيبات وأكملت فائدتها العملية، إلا أن هذين النظامين ـ فيما يبدو ـ لم يبرزا سويًا في المخطوطات العربية، إذ إن أقدم المخطوطات العربية التي وصلتنا والمكتوبة على البردي ـ على قلتها ـ لا تحتوي على أي منهما. وهذا ظاهر في نسخة من كتاب : الجامع في الحديث النبوي لعبد الله بن وهب بن مسلم المصري (١٩٧هـ) والمكتشَف في مدينة إدفو بصعيد مصر ويعود إلى القرن الثالث الهجري، وكذلك في نسخة من مغازي وهب بن منبه الصنعاني (١١٤هـ) مكتوبة على البردي كذلك، وهي محفوظة في مكتبة هايدلبرج بألمانيا، والشيء نفسه يصدق على أوائل المخطوطات المكتوبة على الورق، من ذلك نسخة من كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام(٢٢٤هـ)، والمؤرخة سنة ٢٥٢هـ، وهي محفوظة بمكتبة جامعة ليدن بهولندا، وكذا نسخة من صحيح مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ)، والمؤرخة سنة ٢٢٣هـ، وهي محفوظة بمكتبة البلدية بالإسكندرية بمصر، وكذا نسخة من كتاب غريب الحديث لعبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (٢٦٦هـ) كتبت في بغداد سنة ٢٧٩هـ، وهي محفوظة بمكتبة تشستربتي بدبلن بايرلندا.

ومع هذا فإن عمليات التجليد والنسخ والتزويق والتذهيب تستلزم أن تكون أوراق المخطوط مرقمة بطريق أو بآخر، وبخاصة إذا تعددت الأجزاء والمجلدات، غير أنه لا يوجد دليل مادي مكتوب يرقى إلى ما قبل القرن الخامس الهجري. ولقد كثرت التصانيف ونشطت حركة التأليف خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين وبعض هذه التصانيف بلغ آلاف الأوراق، فيذكر لنا ياقوت الحموي(٦٢٦هـ) أن كتاب غريب

الحديث لأبي بكر بن الأنباري (٣٢٨هـ) كان يقع في خمسة وأربعين ألف ورقة، فإذا كانت هذه التصانيف بهذه السعة والكثرة في عدد الأوراق فلابد أنها كانت في مجلدات، وهذه المجلدات كانت تتكون من كراريس حديثية (عشر ورقات في كل كراسة)، وكان لابد لهذه الكراسات أن ترتب بشكل أو بآخر، وما كان لهذا الترتيب أن يكون دون اصطناع نوع معين من أنواع الترقيم العددي، أو الحرفي أو استخدام نظام التعقيبة على أقل تقدير، وإلا اختلط الحابل على النابل على المُجلّد.

طرق الترقيم العددي وأشكاله:

وخلاصة القول في الترقيم العددي أنه يأتي بطرق وأشكال متعددة ومتنوعة منها:

١. ترقيم الكراسات:

وهو أن يُعطى رقم للكراريس التي يتألف منها الكتاب حسب تتابعها من واحد إلى النهاية، وغالبًا ما ترقم الكراسات بالحروف هكذا: الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة،...الخ، وأحيانًا يربط الناسخ رقم الكراسة بعنوان المخطوط واسم مؤلفه كأن يقول الأول من كتاب كذا، الثاني من كتاب كذا،...الخ، مثل نسخة من كتاب: مباني الأخبار في شرح معاني الآثار لبدر الدين العيني(٨٥٥ هـ) بخط مؤلفها، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية؛ حيث كُتب رقم الجزء وعنوان المخطوط واسم مؤلفه إلى جانب رقم الكراسة؛ لذا فإن ترقيم كراسات المخطوط شيء مهم جدا؛ لاحتوائه على بيانات مهمة قد لا يجدها المفهرس أو المحقق في بداية المخطوط أو نهايته؛ للخروم أو السقط الذي يقع في المخطوط قبل وصوله إلينا.

٢. ترقيم الأوراق

وهو ضبط الأوراق بإعطاء رقم لكل ورقة على التوالي، ويكون ذلك بثلاث طرق هي: الأولى ترقيم الأوراق ٢،٣، ١، الخ، والثانية ترقيم كل ورقة باعتبار وجهيها فتكون الأرقام ٣،٥، ١، الخ، وأخيرًا ترقيم الصفحات.

٣. ترقيم الصفحات:

وهو كتابة الأرقام صفحة صفحة تصاعديًا شفعًا ووترًا بطريقة مسلسلة هكذا: ٢،٣،٤،٥،٦، ١،...الخ. وبالنسبة لترقيم الأوراق فقد جرت العادة أن ترقم بالأرقام العددية، إلا أنه وُجِد في بعض المخطوطات العربية الترقيم العددي بالحروف هكذا: واحدة، ثانية، ثالثة، رابعة، خامسة، الخ، ومثل هذا الترقيم لا يأتي إلا في الرسائل الصغيرة. وجرت العادة أن توضع الأرقام العددية والأرقام المكتوبة بالحروف في أعلى الصفحة اليسرى من جهة اليسار، وأحيانًا يذكر الناسخ عدد الأوراق الموجودة في المخطوط مثل ما ورد في صفحة العنوان من نسخة كتاب: فرائد القلائد في مختصر شرح الشواهد لبدر الدين العيني (٨٥٥ هـ)، مؤرخ سنة ٨٦٣هـ؛ حيث ذكر الناسخ عدد أوراقه هكذا: (١٤٨ ورقة).

وقد يحدث تكرار أثناء ترقيم المخطوطات، وإغفال لبعض الأرقام، لذلك ينبغي على المفهرس أو المحقق أن يتأكد من سلامة الترقيم بمتابعة جميع الأوراق؛ للوقوف على العدد الحقيقي لأوراق المخطوط.[١٥]

٢ ـ الترقيم بالتعقيبة

التعقيبة نوع من الترقيم استخدمه القدماء لترتيب صفحات الكتب من جهة، ولمساعدة المختصين في صناعة المخطوط، كالمرقمين والمُجَلِّدين وسواهم في ترتيب ملازم الكتاب المخطوط من جهة أخرى، ويسميها المغاربة: الرَقَّاص والوصلة والرابطة وطريقتها أن يثبت الناسخ في نهاية الصفحة اليمنى غالبًا تحت آخر كلمة من السطر الأخير أول كلمة في الصفحة الموالية؛ لتدل على بدء الصفحة التي تليها. فالغرض الأساس منها الحفاظ على تسلسل النص، والمنع من الخلط في ترتيب الأوراق والكراسات.[١٦]

اعتقد بعض أهل العلم بالمخطوطات أن التعقيبة لم تظهر إلا بعد القرن الرابع الهجري، وأن النساخ المسلمين لم يستعملوا أية وسائل أخرى لترقيم المخطوط، وهذا قول غير صحيح، إذ كيف يمكن أن يُنْسخ المخطوط دون اللجوء إلى وسيلة لترتيب أوراقه تيسيرًا على القارئ أو حتى الصانع.

والدليل على ذلك، وجود نسخة من كتاب: "تاريخ ملوك العرب" لعبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٦هـ) محفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية، نَسَخَها يعقوب بن إسحق ابن السكيت (٢٤٤هـ) بخط يمينه في العاشر من شوال سنة ٢٤٣هـ، وبها تعقيبة، وهي كما ترون في القرن الثالث الهجري. كذلك تضم المكتبة الفرنسية نسخة من كتاب: "المدخل الكبير" لأبي معشر البلخي ـ الذي سبق ذكره معنا قبل قليل ـ نسخها عليّ المطرز سنة ٣٢٥هـ، وتقع في ١٣١ورقة، وبها تعقيبة استعملت لترتيب أوراق الكتاب. وتوجد كذلك نسخة من ديوان الفرزدق(١١٠هـ) نسخها أحمد بن أحمد بن أخي الشافعي، ورّاق أبي عبد الله بن عبدوس الجهشياري، بها تعقيبة، في ٩٩ ورقة وهي محفوظة بالمكتبة الظاهرية، نسخت قبل سنة ٣٣١هـ، وكذلك نسخة من كتاب: "الروحة" لمحمد بن الحسن الجرباذقاني التي وصلت إلينا بخطه، وهي مؤرخة سنة ٣٧٤هـ وتحتوي على التعقيبة، فقد جاء في الكراسة الثانية بخط المؤلف : "الثاني سبعة أوراق"، وذكر أرقام الكراسات وعدد الأوراق في كل كراسة من الكتاب،[١٧] كما تحتفظ لنا مكتبة شستر بيتي بمدينة دبلن الإيرلندية بنسخة بخط ابن البواب كتبها سنة٣٩١هـ تحمل تعقيبة.

والملاحظ على استعمال التعقيبة في المخطوطات العربية، أن بعضها استخدم التعقيبة دون الترقيم، وبعضها حمل التعقيبة في بعض الأوراق أو في جزء من أجزاء المخطوط، وبعض آخر استخدم التعقيبة حسب الكراريس بحيث لا تظهر إلا بعد إحصاء عشر ورقات، وقد تظهر أحيانًا فقط في ثلاث أو أربع ورقات في المخطوط كله.[١٨]

أنواع التعقيبات

- قد تكون عبارة عن حرف كما ورد في الورقة الثانية من مخطوط "الكافية في النحو" لأبي عمرو عثمان بن عمر ابن الحاجب(٦٤٦هـ)؛ حيث استخدم الناسخ حرف الواو فقط وهو يمثل الحرف الأول من كلمة (والجر) التي كتبها في بداية الصفحة (اليسرى) التالية للتعقيبة.

- وقد تتألف التعقيبة من كلمة واحدة، وهذا النوع موجود في أغلب المخطوطات العربية، ومنتشر أكثر من غيره من الأنواع الأخرى للتعقيبات.

- وقد تتكون التعقيبة من كلمتين، وترد هذه التعقيبات بكثرة في مخطوطات القرن التاسع الهجري وما بعده.

- وقد تتكون التعقيبة من ثلاث كلمات أو أكثر، ومثل هذه التعقيبات نجدها في بعض المخطوطات لكنها أقل ورودًا من الأنواع السابقة، وغالبًا ما تكون في اسم الجلالة وصيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وربما يعود السبب إلى حرص الناسخ على عدم إضاعة الوقت في إطالة التعقيبات رغم أنها أوثق من غيرها؛ لأنها تبعد شبهة التشابه بينها وبين غيرها في المخطوط الواحد المفكك عندما يريد المفهرس أو المُجلِّد مثلا ترتيب الأوراق حسب ورود التعقيبات.

- وقد تكون التعقيبة بالترقيم، وهو استخدام قليل عُرِف منذ القرن الثامن الهجري أو قبله بقليل، ففي رسالة في الحديث لأبي الفتح نصر ابن إبراهيم المقدسي(٤٩٠هـ) كتبت بالقاهرة سنة ٧٢٩ هـ، رُقِّمت الصفحة اليمنى من أسفلها تحت الأسطر بأرقام تسلسلية يقابلها الرقم نفسه في الصفحة التالية، واستمر هذا النظام في جميع الأوراق.[١٩]

- وقد تكون حرفًا في الجزء الأول من المخطوط وكلمة في الجزء الآخر. ومن حيث شكل كتابتها فإنها في الغالب تكون أفقية أو مائلة في أسفل الجهة اليسرى من الورقة أو في وسطها، وقد تجيء أحيانًا عمودية كما جاء في كتابي: " شرح الألفات " لأبي بكر محمد ابن القاسم ابن الأنباري (٣٢٨هـ)، و" شرح منازل السائرين" لكمال الدين عبد الرزاق بن أبي الفضائل الكاشاني (٧٣٠هـ) المحفوظين بمكتبة برلين الوطنية بألمانيا.[٢٠]

أهمية التعقيبات: وللتعقيبات فائدة آنية مقصودة للمُجلِّد، إذا كان الكتاب في مراحل صناعته الأولى، وهي ألاّ تختلط الأوراق والكراسات على المُجلِّد. وفائدة أخرى إذا ما تطاول بالكتاب الزمن، وانفرطت كراساته أو أوراقه فإن المُجلِّد يستطيع إعادة ترتيب أوراقه مرة أخرى بمساعدة التعقيبات.

ولم تقتصر فائدة التعقيبات على ذلك فحسب، بل لها فوائد أخر فهي عون للقارئ أيضًا؛ لأنها تدله على بداية النص في الصفحة التالية في حالة غياب الترقيم، وعون للمفهرس كذلك في حالة تفكك الكراريس أو اختلاط الأوراق، وحتى يتأكد من سلامة المخطوط من النقص أو السقط أو الاختلاط.[٢١]



ـ صورة لنسخة من كتاب: " تنبيه الحكام في سيرة القضاة وقبول الشهادات وتنفيذ الأحكام والحسبة"، في الفقه المالكي، لمحمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ، نُسِخت ٩جمادى الأولى ٩٣٠ هـ، محفوظة بالمكتبة الأزهرية، ونلاحظ التعقيبة بلفظة (فيه خلاف) أسفل الصفحة، وهي أول كلمة في أعلى الصفحة المُقَابِلة.

المبحث الثاني: قيود النساخة

والمراد بها هنا القيود المتعلقة بالشكل الكتابي للنصوص والتقاليد المُتّبعة في نساخته من حيث: تنظيمه وترتيبه: (علامات الترقيم)، أو تصحيحه وتقويمه: (علامات المقابلة أو المعارضة، والتصحيح)، أو كتابته ونسخه: (قيد الفراغ من عملية النسخ أو قيد الختام). وقد تدخل قيود الفراغ أو الختام من جهة أخرى في قيود الوثاقة، إن كان الناسخ للنص عالمًا متقنًا ثقةً.

أولا: علامات الترقيم

من المعلوم أن علامات الترقيم تُسْهِم في إحكام هيكلة النص بصريًا، كما تنظمه فكريًا؛ فإن النص إذا لم يكن مُرقَّمًا فقد يعتريه اللبس، أو يكتنف الغموض تراكيبه الرابطة بين ألفاظه.[٢٢] فمن وظائف علامات الترقيم، إيجاد العنصر الجمالي في الكتابة، وتوضيح المعنى وتبيينه، ودفع التوهم عن القارئ، وتحقيق أمن اللبس بين التراكيب، وتيسير القراءة على المطالعين.[٢٣]

كانت العناية الفكرية بالوقف في اللغة العربية وعند علماء القراءات ذا أثر كبير في ظهور علامات الترقيم في الكتابة العربية. فمن خلال ما وصلنا من أوائل المخطوطات العربية نلحظ بوادر هذه العلامات، تمثل ذلك في ترك بياض في يمين الصفحة ومثله في شمالها وأعلاها وأسفلها، وهو ما نسميه الآن بهوامش الصفحة.

وقد اعتنى المؤلفون والنُسَّاخ بتنسيق النص

حل كتابته بوصفه وحدة متكاملة من حيث مراعاة مواقع الفصل والوصل بين أجزاءه. وقد ظهر ذلك جليًا في المخطوطات بصورة تكاد تكون صفة سائدة في جميعها، وذلك في وضع المؤلف أو الناسخ فواصل فراغية تتباين في مساحتها بقدر الاختلاف أو التجانس بين الكلام السابق واللاحق. كما كانوا يتركون فراغًا قدر سطر بين الفصل والذي يليه. ويُعَنْوِنُون كل استئناف لكلام جديد في معنى جديد بكلمة (فصل) أو (باب) وهو ما يعني نهاية فكرة سابقة وبدء فكرة جديدة. ومما يمكن عده من ذلك كتابة بدايات الفصول أو الأبواب بمداد مغاير للون مداد الكتابة الأصلية للنص وغالبًا ما يكون بالحمرة، أو بحروف بارزة، أو بقلم غليظ، أو ببسطها (طول المشق) على جزء كبير من السطر، أو حتى على طوله، أو وضع علامات أخرى تتكفل بتمييزه عن غيره، كالخطوط المستقيمة أو غيرها، فيتم بذلك الفصل بين وحدات النص؛ فتبرز ويسهل الاطلاع على من يبحث عن فقرة بعينها داخل الكتاب، وهذا الفصل بين الكلام يقوم بوظيفة ترتيب الكتابة، ويعطي الوحدات المكتوبة قوة أكبر، كما يعطي السطور دقة أكثر.(٢٤)

ومن علامات الترقيم وأبرزها ما سمي بالبياض ويعنون به الفراغ القائم بين الجملة والتي تليها، ويفرقون بين نوعين من البياض أحدهما أصغر من الآخر، كما كان يفعله كتّاب الرسائل من ترك بياض بين الكلامين أوسع من البياض بين السجعتين، فالأول قدر الإبهام، والثاني قدر رأس الخنصر. ولهذا البياض دور حاسم سواء في دفع الالتباس أو تحسين القراءة أو تخفيف الكلفة على القارئ في فك رموز المكتوب وفهمه.

ومن أشهر علامات الترقيم وأكثرها شيوعًا في المخطوطات علامة الدائرة بصورها ودلالاتها المتعددة، إذ تستعمل للإشارة إلى بدايات الفصول أو الأبواب أو نهايتها في كل موضع لا تُذكر فيه لفظة فصل أو باب. وعليه فإنها تفصل بين كلامين تامين، وتؤدي ما تؤديه النقطة في علامات الترقيم الحديثة، من حيث كونها توضع في نهاية الفقرات والفصول والمباحث أو نهايات الجمل التامة التي ينتهي الكلام بها. واستعملت للدلالة على نهاية الآية منذ أوائل التدوين المصحفي، كما وُجِد في نماذج من مصاحف القرن الأول بدار الكتب المصرية رقم (١، ١٣٩ مصاحف)، وقد كان يكتب فيها رقم الآية، بحيث يشير العدد فيها إلى رقم الآية التي تسبق الدائرة، وهي تدل بهيئتها على انتهاء الآية، ولهذا لا يجوز وضعها قبل الآية البتة، فلا توجد في أوائل السور وتوجد دائما في أواخرها، وفي مخطوطات القرنين الثالث والرابع الهجريين استعملت الدائرة قصد الفصل بين الجمل المتحاذية، وكذلك في ختام الفقرات مجردة تارة، وفي داخلها نقطة أحيانًا، وهذه الثانية من علامات المقابلة كما سيأتي. وقد تستبدل بالدوائر في بعض الأحيان مجموعة من الخطوط المائلة /// كما هو ظاهر في اللوحات التي صورها مورتز من هذه المصاحف.

وقد استعمل أهل الحديث الدائرة الفارغة (الدارة) غرض الفصل بين الحديثين، فإذا تمت معارضة ما كُتِب ومقابلته، نقط في الدائرة التي تليه علامة على تأكيد مطابقة المكتوب للأصل الصحيح، كما استعملت في مخطوطات القرن التاسع الدائرة المقطوعة بخط في وسطها أو

الدائرة المصمتة.

ونتيجة لحرص المُحَدِّثين على صيانة حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يدخل ضمنه شيء ليس منه، اعتنوا بمفهوم التنصيص بحيث يُحَدّد الحديث النبوي فلا يختلط بغيره من كلام للمؤلف نفسه أو كلام أحد آخر ممن يستشهد المؤلف بكلامهم. وقد استعملوا لهذا علامة الضَبّة، وهي الحديدة العريضة التي يغلق بها الباب.

وقد استعمل المؤلفون في كتبهم كلمة (انتهى) أو مختصرها (اهـ) وبخاصة في المخطوطات المتأخرة للدلالة على نهاية النص المُقتَبس، فهي بهذا تقوم مقام علامة التنصيص المعاصرة " ".

وأخذ المؤلفون والنُسَّاخ بمبدأ الحذف عند اقتباس أجزاء النصوص فاستعملوا مختصر كلمة إلى آخره (الخ) للاستغناء عن ذكر بقية النص المُقتَبس، وهي تشبه وضع النقط المتتالية على السطر هكذا (...) في علامات الترقيم المعاصرة.

كما كان يُكتَب البيت الشعري ويفصل بين صدره وعجزه بوضع نقط ثلاثة (...) مما ينظم الكتابة، وكذا القراءة التي يبين بها المعنى، أو وضع ميم بين الشطرين حينما يكون البيت مُدَوَّرًا.

وقد استخدمت كذلك الفاصلة بشكلها المعروف الآن للفصل بين العبارات في مخطوطات القرن التاسع الهجري، كما استخدمت ثلاث فواصل أو نقاط على شكل مثلث مستقيم أو مقلوب( ) ؛ للفصل بين أجزاء الكلام في الشعر والنثر على السواء.(٢٥)

ومن المعروف أنه عند نَسْخ نَصٍ أو إعادة نَسْخه، يستطيع الناسخ أن يضيف للنص أو يحذف منه بعض الحروف. ومن الشائع أن تُرَقَّم النسخة جزئيا، بل قد تُهمل علامات الترقيم كليًا، حتى لو كانت النسخة كاملة الترقيم أو خالية منه، تُضاف علامات الترقيم إذا لم تكن موجودة في النسخة الأصلية؛ لذلك لا يشكل المؤلف والناسخ دائمًا ثنائيًا وفيًا فيما يتعلق بنقل النص المكتوب؛ ذلك أن الثاني يتجاوز حقوق الأول، فيتصرف بحُرِّية أكثر ليضفي شخصيته على عملية النسخ.(٢٦)

وتبين لنا علامات الترقيم المختلفة الشكل والترتيب الداخلي للكتابة التراثية العربية. ولأن الترقيم وسيلة من وسائل تقسيم النصوص، فإن على المحقِّق الذي سيفحص مجموعة من النسخ للنص الذي يحققه، أن يأخذ علامات الترقيم في الحسبان؛ إذ إن ذلك سيؤدي إلى ثراء عملية التحقيق، والمقابلة بين النسخ، وتمييز أوثقها وأصحها، ويضفي إضاءة ثمينة فيما يتعلق بانتظام نقل النصوص أو عدم انتظامه. فدراسة تأريخ الترقيم في الكتابة العربية تقدم للمتخصصين في دراسة الكتابات القديمة أو لمؤرخي النصوص، نظرةً فاحصةً حول أشكال الكتابة وأنظمتها عبر القرون.(٢٧)

ثانيًا: علامات المقابلة أو المعارضة، والتصحيح

وهي أحد مظاهر توثيق النسخة وصحتها وأصالتها، فالطريقة الوحيدة للتثبت من صحة نص ما هي معارضة النسخة ومقابلتها بنسخة أخرى من نوعها معارضة دقيقة. وكان هذا

من أساليب العلماء قديمًا للتوصل إلى المتن الصحيح، كما ذكر ابن أبي أصيبعة (٦٧٨هـ) في "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" عن مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار(٦٢٧هـ) أنه كان لا يُقْرِئ أحدًا إلا وبيده نسخة من ذلك الكتاب الذي يقرأه الطالب ينظر فيه ويُقَابِل عليه، فإن كان في نسخة الذي يقرأ غلط أمره بإصلاحه، إلا أن بعض مشاهير العلماء، مثل الحافظ شرف الدين علي بن محمد اليونيني (٧٠١هـ) اعتبر معارضة النسخ وسيلة لمعرفة مختلف أوجه القراءات، لا وسيلة لإثبات النص الصحيح فقط.

١- المقابلة: في اللغة تعني المعارضة، من قابل الشيء مقابلة وقِبَالًا: عارضه، ومقابلة الكتاب بالكتاب وقِبَالُه به: معارضته كما ذكر صاحب اللسان. فالمقابلة والمعارضة من قبيل المترادفات اللغوية، ففي معجم مصطلحات المخطوط العربي جاء تعريف المقابلة: "مقابلة المخطوط بعد نَسْخه بالأصل.. وهي المعارضة، وقد جعل ابن الصلاح المقابلة والمعارضة في مفهوم واحد". وجاء تعريف المعارضة:" المقابلة، وهي أن يُقَابِل الناسخ نسخته بأصل موثوق، وإصلاح ما يوجد فيها من خطأ ".[٢٨]

عُرِف مصطلح المقابلة منذ أواخر القرن الثاني الهجري، فقد ذكر القفطي(٦٤٦هـ) في كتابه" إنباه الرواة على أنباه النحاة"(٣٥١/٢): أن الجاحظ (٢٥٥هـ) لما قدم من البصرة إلى بغداد في بعض أسفاره، أراد أن يُهدى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات نسخة من كتاب سيبويه (١٦١هـ)، فقال له ابن الزيات: أو ظننت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب؟ فقال الجاحظ: ما ظننت ذاك؛ ولكنها بخط الفراء(٢٠٧هـ)، ومقابلة الكسائي(١٨٩هـ)، وتهذيب الجاحظ. فقال ابن الزيات: هذه أجلُّ نسخة توجد وأغربها. فأحضرها إليه. فسُرّ بها، ووقعت منه أجمل موقع.

والمقابلة عمل علمي يتم بعد انتهاء الطلاب من الاستماع إلى شيوخهم أو رواة العلم المتنقلين في الأمصار، لاسيما في موسم الحج، فينقل عنهم طلبة العلم ما يروون من علوم مختلفة، ثم يقومون بعد هذا بمقابلة هذه النصوص التي كتبوها فيما بينهم؛ ليصحح بعضهم نسخته إن وجد فيها خطأ، أو يضيف إليها ما فاته تدوينه. مثال على ذلك ما حكاه أبو الفرج الأصفهاني(٣٥٦هـ) أن أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: كنا نختلف إلى المبرد (٢٨٥هـ) ونحن أحداث نكتب عن الرواة ما يروونه من الآداب والأخبار. فانصرفنا يوما من مجلس المبرد، وجلسنا في مجلس نقابل ما كتبناه، ونصحح المجلس الذي شهدناه.[٢٩] وأكثر ما نجد هذه المقابلات في كتب السنة التي اختصت بذكر روايات الحديث النبوي ثم في كتب اللغة والأدب ورواية الشعر، ومن ثم انتقلت إلى جميع العلوم الإسلامية.

صيغ المقابلة وعلامتها: هناك العديد من العبارات الخاصة التي استخدمها النُسّاخ والوراقون أنفسهم في إشاراتهم إلى المقابلة، والغالبية العظمى من المقابلات تقتصر على كلمة واحدة مثل: بلغ - قوبل - مقابلة - قوبلت، أو كلمتين أو أكثر مثل: بلغ مقابلة - بلغ مقابلة وتصحيحا.

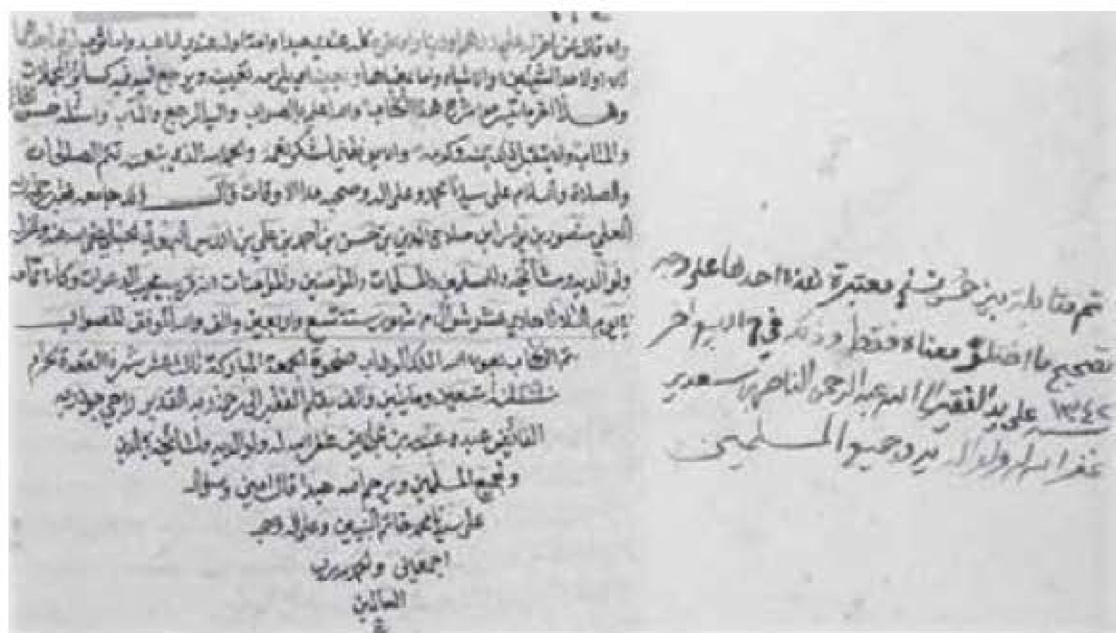
ومثل هذه الإشارات ترد في الغالب في حواشي النص في مواضع يحددها القائم بالمقابلة

عند توقفه، ليواصل فيما بعد إجراء المقابلة وإكمالها من حيث انتهى.

أما عن قيد المقابلة فقد يكون قصيرًا جدًا يتكون من عبارة موجزة توضح الصفة التي تمت عليها المقابلة مثل: (بلغ مقابلة على شيخنا- بلغ بأصل مؤلفه - بلغ مقابلة على نسخة المؤلف - بلغ مقابلة من أوله إلى آخره على أصل مؤلفه - بلغ مقابلة حسب الطاقة على نسخة قرئت على المؤلف) وهكذا. وقد تكون الإشارة إلى قيد المقابلة طويلة وأكثر تحديدًا، تحوي بيانات تفصيلية تمدنا بمعلومات مهمة من مثل: عنوان الكتاب المُقابَل، اسم المؤلف، اسم المُقابِل، عدد أجزاء المخطوط، عدد مجالس المقابلة، اسم مالك النسخة المُقَابَل عليها، اسم ناسخ قيد المقابلة، تاريخ المقابلة بالسنة أو باليوم والشهر والسنة ومكانها[٣٠].

وتختلف الأصول التي تُعتَمد في المقابلة وكذلك يختلف عددها وفقًا لما يتيسر للناسخ، فبعضها يعتمد على نسخة المؤلف، وقد يُقابِل النص مرارًا على المُصنِّف نفسه أو على نُسَخ متعددة له، وفي بعض الأحيان يقابل النص على نسخة مقروءة على المؤلف، أو على نسخة قوبلت على نسخة المؤلف، أو نسخة منسوخة من أصل مقروء على المؤلف، أو نسخة بخط ولد المؤلف، أو نسخة مكتوبة بخط أحد العلماء الثقات، أو على نسختين أو ثلاث، بل قد يزيد العدد عن ذلك، فقد قوبلت نسخة من كتاب "جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم" لابن رجب الحنبلي(٧٩٥هـ) محفوظة بالظاهرية، على عشر نسخ، وجاءت صورة قيد المقابلة هكذا: " بلغ مقابلة وتصحيحًا ... في مجالس متفرقة آخرها السادس من شهر الله المحرم الحرام عام ثمانية وخمسين وثمانمائة بالمدرسة الضيائية ... بسفح جبل قاسيون، بإمساك نسخة مع مالك هذه النسخة ... علاء الدين البغدادي، والنسخة المُمْسَكة مقابلة على قريب من عشر نسخ، منها نسخة عليها خط المُصنِّف ... وكتب... عبد الرحمن بن أحمد بن يوسف الحنبلي ... ".

وبعض المقابلات كانت تُوَثَّق بتوقيع أحد بعض النساخ والوراقين إذا وقفوا في مقابلة نسخهم عند جزء معين من النص أو انتهوا من مراجعة نسخهم على الشيوخ يضعون نقطة داخل الدائرة هكذا (صورة دائرة وبداخلها نقطة)، وذكر الخطيب البغدادي (٤٣٦ هـ) أن من علامات المقابلة وضع علامة (ع) وهي اختصار كلمة (عورض)، ونخلص من هذا إلى أن علامات المقابلة هي: (صورة دائرة وبداخلها نقطة) أو (صورة دائرة وبداخلها شرطة) أو(ع).[٣١] ولهذا تُعَدّ النسخ المُقابَلة من النُسَخ المُوَثَّقة وتدخل في قيود الوثاقة من هذا الوجه.



ـ نسخة من شرح منتهى الإرادات في الجمع بين المُقنع والتنقيح وزيادات للشيخ منصور البهوتي(١٠٥١هـ) وبها قيد مقابلة بخط الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي(١٣٧٦هـ)، ونصها: "تمت مقابلة بين خمس نُسخ معتبرة هذه أحدها على وجه تصحيح ما اختلف معناه فقط، وذلك في ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢هـ، على يد الفقير إلى الله عبد الرحمن الناصر بن سعدي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين ".

٢ ـ **التصحيح:** ويراد به في المخطوطات شيئان، الأول: من الصحة التي هي ضد السقم، فيكون المعنى إزالة السقم، ويتأتى ذلك بأن يكتب الناسخ أو القارئ في الهامش: صوابه كذا أو لعله كذا.

الثاني: تثبيت الصحيح، عن طريق كتابة (صح) على الكلام أو عنده، ولا يفعل ذلك إلا فيما صح رواية ومعنى، غير أنه عرضة للشك أو الخلاف، فيكتب عليه (صح) ليعرف أنه لم يغفل عنه، وأنه قد ضبط وصح على هذا الوجه كما ذكره ابن الصلاح(٦٤٣هـ). فالتصحيح هو ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة إلى مؤلفيها؛ لأنه الشأن الأهم من التصحيح والضبط فبذلك تُسند الأقوال إلى قائليها، والفتيا إلى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها، وما لم يكن تصحيح المتون بإسنادها إلى مُدوِّنها فلا يصح إسناد قول لهم ولا فتيا كما قال ابن خلدون (٨٠٦ هـ).[٣٢]

ويُعدّ تصحيح الكتب من أشق الأعمال التي يقوم بها المُصحِّح، فلربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفًا أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص، حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام، كما قال الجاحظ في كتاب الحيوان.[٣٣]

ويتم إصلاح النص وتصحيحه عن طريق أربعة أشكال وهي:

علاج النقص، وعلاج الزيادة، وعلاج

التكرار، وعلاج الخطأ.

١ـ علاج النقص: ويكون من خلال التخريج واللّحَق، واللحق: مشتق من اللِّحاق أي الإدراك، واصطلاحًا: ما سقط من أصل الكتاب فلحق بالحاشية أو ما بين السطور.

ويكون علاج النقص بإثبات ما سقط من الكتاب في حواشيه. وطريقته أن يُخرِج من موضع سقوطه من السطر خطًّا صاعدًا، ثم يحنيه بين السطرين إلى جهة الحاشية التي يكتب فيها اللّحَق هكذا (أو) ويكتب في الحاشية الكلام الساقط مقابلاً للخط المنحني، ثم يكتب في آخره (صح)، وبعضهم يكتب بعد (صح) الكلمة التي تلي آخر الكلام في متن الكلام؛ علامة على اتصال الكلام.

ويكون كتب الساقط صاعدًا لفوق إلى أعلى الورقة، لا نازلاً به إلى أسفلها؛ لاحتمال تخريجٍ آخر بعده فلا يجد له محلاً، وقد استحسن العلماء البدء بجهة اليمين من الحواشي إن اتسعت؛ لشرفها، فلو خرج الأول إلى اليسار أيضًا، اشتبه محل السقطين، أو إلى اليمين تقابل طرفا التخريجين، ولا يُستحسن كتابة السقط بين السطور، لا سيما إذا كانت ضيقة متلاصقة.

٢ـ علاج الزيادة: إذا وقع في النص زيادة، أو كُتِب فيه شيء على غير وجهه، أمكن معالجته من خلال طرق ثلاثة وهي: الكشط أو المحو أو الضرب.

أولاً: طريقة الكشط: وهو سلخ الورق بسكين أو غيره، ويُعَبر عنه بالبَشْر أو بالحَكّ، وهو جيّد لإزالة نقطةٍ أو شَكْلةٍ، والضرب أجود؛ وذلك أن ما يُبْشَر قد يصح من رواية أخرى، فقد يسمع على شيخٍ آخر ويكون ما بُشِرَ صحيحًا.

ثانيًا: طريقة المحو: وهو إزالة الزائد الذي يقع في الكتاب مما ليس منه، إما بإصبع أو بخرقة أو بغير ذلك، دون سلخ، وهو أولى من الكشط.

ثالثا: طريقة الضرب: وهو أولى منهما؛ لأنه لا يحرّك تهمة، ولا يفسد الورق. ومعناه إبطال ما يقع في الكتاب مما ليس منه. وهو على خمسة أنواع:

الأول: أن يصل بالحروف المضروب عليها، ويخط بها خطًّا ممتدًا بَيِّنًا على إبطاله، ولا يطمسه بل يكون ممكن القراءة، ويسمى الشقّ عند أهل المغرب، فكأنه فرّق بين الزائد وما بعده من الثابت بالضرب. وأجوده ما كان رقيقًا لا يُسَوّد الورق ولا يطمس الحروف.

الثاني: أن يجعل الخط فوق الحروف منفصلاً عنها، منعطفًا طرفاه على أول المُبْطَل وآخره، هكذا: وفي رواية للإمام رواية للإمام أحمد.

الثالث: أن يكتب فوق أوله لفظة (لا)، أو لفظة (من) وفوق آخره لفظة (إلى). ومثل هذا يحسن فيما صحّ في رواية وسقط من أخرى.

الرابع: أن يكتب في أول الكلام المبطّل وفي آخره نصف دائرة، ومثاله هكذا: ( ) وقد يجعل أول كل سطر وآخره، وإن ضاق المحلّ جعله في أعلى كل جانب هكذا: ( )

الخامس: أن يكتب في أول الكلام المبطّل وفي آخره صفرًا، وهو دائرة صغيرة رُسمت هكذا؛ لإشعارها بخلوّ ما بينهما من الصحة، وترسم هكذا: ٥....٥، وإن ضاق المحل جعل ذلك في

أعلى كل جانب هكذا: ٥...٥

وإذا ضرب على شيء ثم تبيّن له صحته وأراد عود إثباته، كتب في أوله وآخره(صح) صغيرة، وله أن يكررها ما لم يؤدّ إلى تسويد الورق، ويختار التكرار فيما إذا ضُرب بالخط المتصل أو المنفصل أو النقط المتتالية، وعدمه فيما إذا ضُرب بغير ذلك من العلامات.

٣- علاج التكرار: إذا تكررت كلمة أو أكثر سهوًا، ضُرب على الثانية؛ لوقوع الأولى صوابًا في موضعها، وقيل: يُبقي على أحسنها صورة وأبينهما، وإذا كانت الكلمة الأولى آخر سطر فالضرب عليها أولى؛ صيانة لأوّل السطر، وإذا كانا أوّل سطر ضُرب على الثاني، أو آخره فعلى الأول، وإن تكرر المضاف والمضاف إليه أو الموصوف والصفة ونحوه، روعي اتصالهما.

٤- علاج الخطأ:

اختلف أهل العلم في طريقة إصلاح الخطأ الواقع في الكتب على ثلاثة أقوال:

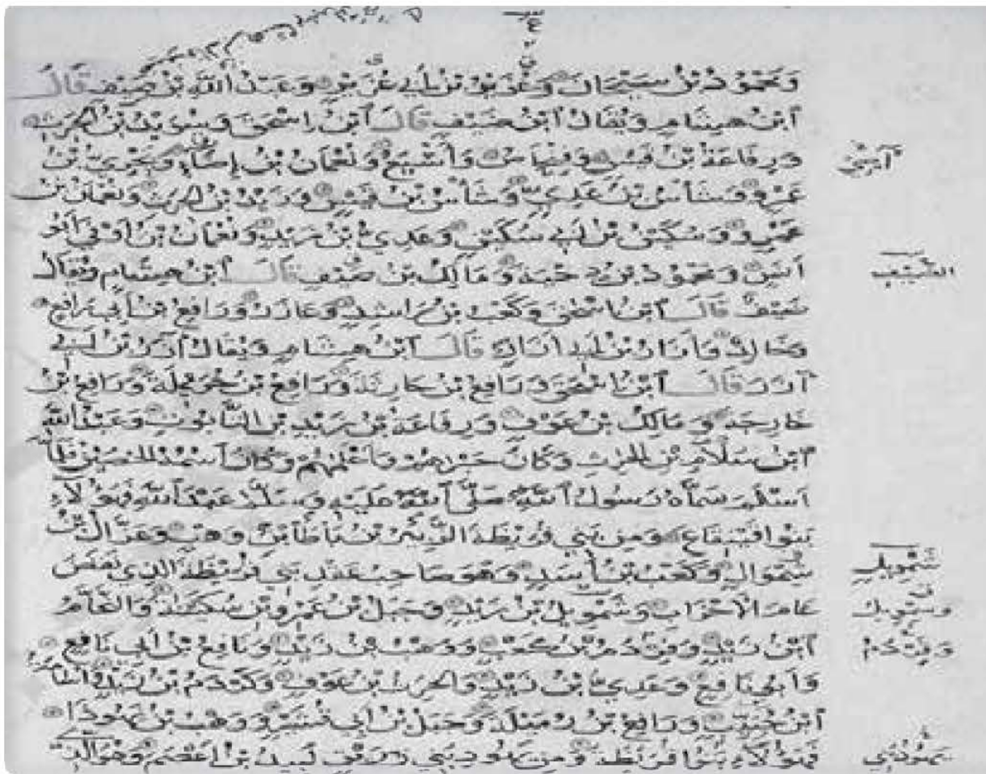
١- ما كان محلاً للشك عند مطالعته أو تطرق إليه احتمال، وكان قد صححه وضبطه في الكتاب، يُكتب عليه(صح) صغيرة، ويسمى التصحيح؛ ويُستعمل من أجل أن يُعرف بأنه لم يُغفل عنه، وأنه قد ضبطه على هذا الوجه، وأنه صحيح رواية ومعنى.

٢- ما وقع في النُّسخ وهو خطأ يُكتب عليه (كذا) صغيرة؛ أي: هكذا رأيته، ويكتب في الحاشية (صوابه كذا) إن كان متحققًا منه، أو (لعله كذا) إن غلب على ظنه أنه كذلك.

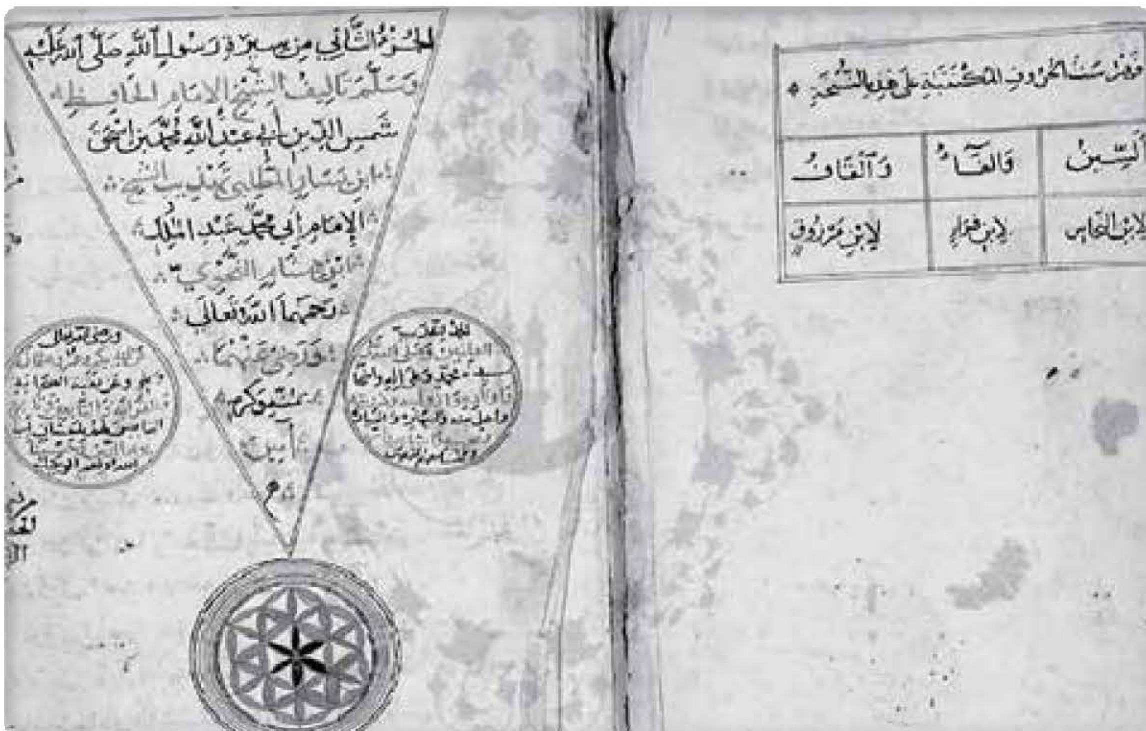
٣- ما أشكل عليه ولم يظهر له وجه يَمُدّ عليه خطا أوله مثل الصاد، ولا يلصقه بالكلمة؛ كيلا يُظنّ ضربًا، وصورته هكذا: (صـــــ)، ويسمى التضبيب أو التمريض. ويُستعمل في الكلام الذي صحّ من جهة النقل، غير أنه فاسد لفظًا ومعنى أو ضعيف أو ناقص، كأن يكون غير جائز من حيث العربية، أو يكون شاذًا أو مُصحّفًا، فإن صح بعد ذلك وتَحقّقه هو أو غيره يصلها بحاء فتصبح (صحــــ) أو يكتب الصواب في الحاشية.

وقد أشاروا بكتابة الصاد إلى أمرين: الأول: أن الصحة لم تكتمل، فأُشير إلى ذلك بحرف ناقص؛ إشعارًا بوجود النقص مع صحة الرواية، الثاني: تنبيه الناظر في الكتاب على أنه متثبت في نقله غير غافل، فلا يَظن أنه خطأ فيصلحه، وقد وقع في ذلك كثير من المتجاسرين الذين غيّروا، ثم ظهر لهم الصواب فيما أنكروه، والفساد فيما أصلحوه.[٣٤]

نَخلُص من ذلك كله إلى أن وظيفة المقابلات والتصحيحات الكبرى هي: إقامة النص وضبطه خلوًا من الخطأ والتصحيف والتحريف؛ للوصول به إلى درجة تقارب التمام والكمال، مما يؤدي في الأخير إلى الاطمئنان للنص والنقل عنه بغير شك في صحته، مما أكسب نصوص التراث الإسلامي قيمة دينية وتاريخية وعلمية متميزة اختصت بها هذه الحضارة المشرقة، وترتقي تلك الممارسات إلى أن تصبح نظرية علمية قائمة بذاتها في تصحيح النصوص عند المسلمين.[٣٥]



ـ صورة من الجزء الثاني من تهذيب السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام (٢١٨ هـ)، محفوظة بالمكتبة الأزهرية، وبها من علامات المقابلة: الدارة المنقوطة، ورموز النُّسَخ المُقَابل عليها: السين لابن النحاس، والفاء للفراء، والقاف لابن مرزوق. كما في صفحة عنوان هذه النسخة:



السين	والفاء	والقاف
لابن النحاس	لابن الفراء	لابن مرزوق

ثالثا: قيود الفراغ من النسخ أو تقاييد الختام

وهي قيود متعلقة بكتابة النص، والمقصود بقيد الفراغ أو الختام: ما يسجله الناسخ في آخر النص لحظة الانتهاء من كتابة النسخة ويتعلق بذكر القائم بالنَّسْخ وزمن بدء النسخ ومدته ومكانه، وعرَّفه شيخ المفهرسين الأستاذ عصام الشنطي ـ رحمه الله ـ بقوله: هو تأريخ النَّسخ المذكور في النسخة، بعد تمام مادة المؤلف.[٣٦] وذلك من خلال التعريفات السابقة الذكر نعلم أن لقيود الفراغ أو الختام أهمية خاصة، فعن طريقها نستطيع أن نعرف متى نُسِخ النص؟ ومن هو ناسخه؟ وهل النسخة بخط المؤلف أم لا؟ ومن خلالها يمكننا دراسة الخطوط وتطورها، والحصول على معلومات تتصل بصنعة النساخة والنُّساخ، ومن كان منهم من العلماء؟

وقد ظهرت قيود النسخ بادئ الأمر في العصر الأموي وذلك على المصاحف؛ فإن أقدم قيد فراغ مسجل على مصحف شريف محفوظ بمتحف طوب قابي سراي تحت رقم ٣٣ خزينة الأمانات ونصه: "كمل المصحف بحمد الله تعالى وحسن عونه.. وذلك بمدينة القيروان.. على يد خديج بن معاوية بن سلمة الأنصاري للأمير عقبة بن نافع الفهري (ت٦٣هـ) سنة ٤٧هـ".

وفي بعض الحالات يُشار إلى تأريخ البدء في تحرير النص، كما يمكن للناسخ أن يشير إلى الأصل الذي اعتمد عليه، وكذا بقية النُّسخ التي اعتمد عليها في مقابلة النص. وكثيرًا ما نجد ذكرًا لأماكن النَّسخ من المدارس والمكتبات، أو أولئك المهتمين بجمع الكتب، والذين نُسِخت لهم النُّسخة، حتى الأحداث التاريخية لم تخلُ قيود الفراغ من ذكرها.

وفي معظم الأحيان توضع قيود الفراغ في نهاية المخطوط على الرغم من أنه في بعض الحالات توضع في صدر المخطوط. ولسوء الحظ لا تحتوي جميع المخطوطات على قيود للفراغ، سواء كانت لأسباب عارضة كاختفاء الورقة الأخيرة مثلاً، أو لأن الناسخ لم يكترث بذلك.[٣٧]

وينبغي فحص قيود الفراغ بعناية؛ لاحتمال الغلط أولاً في قراءتها، أو تزويرها، أو إقحامها على النسخة. فقد لجأ بعض النُّساخ إلى نقل تاريخ النسخة الأولى التي نسخ عنها دون ذكر تاريخ كتابة النسخة الثانية، أحيانًا على سبيل السهو وأغلب الأحيان للغش والرغبة في ترويج الكتاب.[٣٨]

أشكال قيود الفراغ أو الختام: الوضعية المعتادة لقيد الفراغ هو اتصاله بالنص دون تمييزه بشيء عما سبقه، وغالبًا ما يكتبه الناسخ بخط مغاير، والأكثر شيوعًا أن يكتبه على شكل مثلث مقلوب.

واختار آخرون كتابته داخل دائرة أو على هيئة عمود سطوره أضيق من سطور النص، وكان يتم تمديد حروف حرف المتن وعلى الأخص كلمة (تم الكتـــاب).

وغالبًا ما تكون صيغته مكتوبة بضمير الغائب، وتبدأ عادة بفعل يعبر تارة عن الفراغ، مثل: (تم الفراغ، فُرِغ من، صادف الفراغ، كمل وتَمَّ، وقع اختتام)، وتارة أخرى عن عملية النسخ نفسها؛ مثل: (كتب، نقل، نسخ، حرَّر،

نمّق، علّق)، ثم اسم الكتاب في العادة أو النسخة والجزء وبخاصة إذا بدأ الناسخ بصيغة (هذا آخر كتاب كذا...)، وفي بعض الأحيان يذكر اسم المؤلِّف.

ولا يظهر اسم الناسخ دائما؛ فقد تُخْتَصَر الصيغة ويُكْتَفى بذكر السنة التي أُنْجِزَت فيها النسخة، وإن أفصح الناسخ عن هُوِيَّته فإنه غالبًا يذكر اسمه، وبعضهم يحرص على كتابة نسبه ولقبه، والكنية مسبوقة بـ (على يد، بخط، بنان، بقلم)، وفي بعض قيود الفراغ فوائد أخرى من ذكر مهنة الناسخ وتكوينه العلمي، والأكثر ندرة هو ذكر مكان النسخ، وإذا ظهر فإنه يكون مبهمًا في أغلب الحالات ففي بعضها ذكر البلد والمكان مفصلاً، مثل : ما جاء في نسخة من كتاب: "أدب القضاة" لأحمد بن محمد بن عمر الشهير بابن الحمصي محفوظة بشستر بتي (انتهت كتابته بالمجلس الكائن تجاه سر البرقوقية ودرب القطبية بحارة الخرنفش بالقاهرة المحروسة...) .

وكذلك تعمّد النسّاخ وصف نسخة الأصل التي نقلوا منها؛ لأن ذلك يُضْفي على النسخة المنقولة قيمة كبيرة، وبخاصة إذا كان الأصل بخط المؤلِّف.

أما ما يتعلق بالتأريخ المذكور بقيد الفراغ، فقد يذكر الناسخ فيه السنة الهجرية دون تحديد لليوم أو الشهر، وقد يشير الناسخ إليها بالأرقام، ويستخدمون في بعض الحالات حساب الجُمَّل استثناءً. واعتاد بعض النساخ على اختصار تاريخ السنة وبخاصة في المخطوطات المؤرخة بعد القرن العاشر الهجري مثلاً: ١٢١هـ، وهو يعني ١١٢١هـ [٣٩]، وإذا ذكر الشهر - وقليلاً ما يُذكر - فإنه يوصف بنعت تقريظي مثل: محرم الحرام، أو صفر الخير، أو رجب الفرد، وتظهر قيمة هذه النعوت إذا تضرَّر قيد الفراغ واختفى اسم الشهر.

ويكون النسّاخ في غاية الدقة عندما يُحَدِّدون اللحظة التي تم فيها العمل، فقسموا الشهر إلى ثلاثة أجزاء: العَشْر الأُوَل، العشر الوسطى، العشر الأخرى. وفي بداية الشهر يقولون: مستهل، وغرة، وصدر، وأوائل، ويقولون عند منتصف الشهر: نصف، ومنتصف، وأواسط، وفي آخر الشهر يقولون: سلخ، وانسلاخ، وآخر، وأواخر.

أما الإشارة إلى اليوم من الشهر فيقولون: يوم كذا، نهار كذا، ليلة كذا، وفي النصف الأول من الشهر يتم الحساب عن طريق مرور الأيام باستخدام الفعل (مضى أو خلا)، وفي النصف الثاني من الشهر يستخدم الفعل (بَقِي).

وفي فترة متأخرة ظهر التوقيت والتأريخ بالألغاز والمعميات، كذا استخدم التأريخ بالكسور، ويُقال إن ابن كمال باشا زادة (ت ٩٤٠ هـ) هو أول من استخدمه، إلا أنه قد عُثر على نسخ مؤرخة بهذه الطريقة في أوائل القرن الثامن الهجري، وهناك بحث عن تاريخ مُعَمَّى يعادل سنة ٧٦١هـ،[٤٠] وهو معتمد بشكل كبير على علم الحساب، وفيه من حدة الذكاء ما فيه، وهو متوافر بكثرة في مخطوطات الدولة العثمانية؛ لذلك فهو متأخر نسبيًا، لذا لا نجده في المخطوطات المتقدمة.

ومن المصادر الأخرى لتأريخ المخطوط

التقاييد المؤرخة مثل: التملكات والوقفيات والإجازات التي توجد على النسخة، وهي لاحقة على كتابة النسخة - في الأغلب - والرهان الرئيس هو النجاح في عملية تقدير الفترة الزمنية المنقضية بين نَسْخ النص والتأريخ الذي دُوِّن فيه هذا التقييد، بل وتتبع الإجازات المنقولة .

كذلك توقيعات المزينين والمصورين؛ فغالبًا ما تكون التواريخ مخفاة أو مدمجة بمهارة في الزخرفة، وهي كما نرى منفصلة بوضوح عن بقية النص..[41]

ـ صورة لقيد فراغ من كتابة مصحف شريف بخط الخطاط المُجَوِّد حمد الله الأماسي(٩٢٧هـ) المعروف بابن الشيخ، وقع الفراغ بتنميقه بحسن عون الله وتوفيقه في أوائل ربيع الآخر سنة ٩١٤هـ، وذهّبه وزخرفه مملوك السلطان حسن بن عبد الله.

المبحث الثالث: قيود الوثاقة

والمقصود بقيود الوثاقة (التوثيق): القيود التي تعطي للنص الثقة به، والاطمئنان إليه، وهي: الإجازات بنوعيها سماعًا وقراءة، والمطالعات العلمية، والتملكات، والوقفيات، وكذا النسخ الخزائنية المُهْدَاة للعلماء أو السلاطين والأمراء.

أولاً: الإجازات = (الشهادات العلمية أو شهادات الرواية)

الإجازة: إذن الشيخ في الرواية عنه إما بلفظه وإما بخطه، وهي إقرار خطي يرد في كثير منها في نهاية النص أو على أغلفة الكتب أو في نهاية الأجزاء، وربما تأتي على صفحة العنوان، والغالب أن تُكتب في نهايات الكتب.[42] وتُعَدُّ صورة من الصور التي عرفها العلماء قديمًا عن الشهادات العلمية، وهي قيود ذات صلة بنص الكتاب، وهي عنصر بارز في المخطوطات العربية، فهي تصور لنا الدور الذي لعبه الكتاب في البيئة العلمية والثقافية كما تزودنا بمعلومات وفيرة عن دور العنصر البشري في استخدام النصوص ونقل العلوم الإسلامية. [43]

وكثيرًا ما نجد هذه الإجازات في كتب الحديث النبوي، وكلما كانت مكتبة من المكتبات مليئة بهذه الكتب وُجِدت فيها سماعات بكثرة، ولعل دار الكتب الظاهرية بدمشق هي أغنى مكتبات العالم بكتب الحديث، وأغناها بالسماعات المختلفة، ويتبعها كتب التاريخ والتراجم، ثم كتب اللغة والفقه.

وترتبط هذه الإجازات بما أطلق عليه المُحدِّثون طرق تحمل العلم الثمانية: السماع، والقراءة، والإجازة، والمناولة، والكتابة، والمكاتبة، والوصية، والوجادة. واعتبرت الطريقتان الأوليان أفضلهم في تحمل العلم.

ولعل أقدم إجازة وصلت إلينا بخط الراوي الأول إجازة سمع بها الربيع بن سليمان المرادي(٢٧٠هـ) تلميذ الإمام الشافعي بنسخ

التقييدات على المخطوطات: دراسة في الأنواع والوظائف

كتاب الرسالة للشافعي، ونصها: " أجاز الربيع ابن سليمان صاحب الشافعي نَسْخ الرسالة، وهي ثلاثة أجزاء في ذي القعدة سنة خمس وستين ومائتين، وكتب الربيع بخطه". (٤٤)

وقد انتشرت إجازات السماع والقراءة في المخطوطات العربية في القرن الخامس الهجري، والذي صاحب بداية ظهور المدارس العلمية وانتشارها على يد السلاجقة؛ كالمدارس التي أنشأها الوزير نظام الملك في بغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية. وقد تكثر هذه الإجازات أحيانًا فتبلغ العشرة والعشرين في النص الواحد، وقد تقِلُّ أحيانًا فلا يكون هناك إلا إجازة واحدة، ولم تكن الإجازات هذه خاصة بعلوم الشريعة فقط، بل شملت كذلك كتب العلوم المختلفة؛ كالطب، والفلك، والهيئة، وغيرها.

وكانت الإجازات تظهر وتنتقل مع ظهور مراكز العلم وقوتها، وتختفي مع ضعفها، ففي القرن الخامس الهجري نجد السماعات كثيرة في بغداد، حين لا نجد منها شيئًا في دمشق؛ فقد كانت بغداد حاضرة الخلافة والعلم. وفي القرن السادس الهجري ظهرت السماعات في دمشق مع قدوم السلاجقة إليها، وتأسيس المدارس ودور الحديث بها، كدار الحديث النورية التي أنشأها نور الدين محمود(٥٩٩هـ) رحمه الله. وفي القرن السابع ظهرت الإجازات في القاهرة بفضل إنشاء المدارس في عصر المماليك، وانتقال الثقل السياسي والعلمي للقاهرة بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد، وهكذا.

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن الكلمة الأوربية (بكالوريا) مستمدة من التعبير العربي (بحق الرواية).

والفارق بين إجازات السماع والقراءة: أن إجازات السماع لا بد من وجود عدد من السامعين غير القارئ، أما إجازة القراءة ففيها يُنَصُّ على أن شيخًا قد أقرأ طالبًا كتابًا ما، أو أن طالبًا قرأ على الشيخ هذا الكتاب.

والسماع في الاصطلاح: هو أن يسمع التلميذ أو السامع المرويات التي يلقيها الشيخ من حفظه أو من كتابه، وهي أعلى درجات الرواية عند أكثر المُحدِّثين، ويُقَدَّم لها بعبارة (سمعت من) أو (حدثني فلان) أو (أمْلى عليّ).

أما صور **السماعات** التي وصلت إلينا فقد كانت على أشكال ثلاثة، وهي:

١- إقرار المصنف بخطه أن طالبًا سمع عليه كتابه.

٢- إقرار الطالب أو السامع بسماع الكتاب على مصنفه.

٣- إخبار بالسماع على شيخٍ غير مصنِّف الكتاب، وأكثرها وجودًا النوع الثالث.

ويحتوي نص إجازة السماع على تسعة عناصر، ذكرها د. صلاح الدين المنجد (١٤٣١هـ) وهي:

١- اسم المُسْمِع (الشيخ).

٢- أسماء السامعين.

٣- النص على القدر الذي سُمِع من الكتاب.

٤- اسم القارئ للنسخة.

٥- ذكر النسخة المقروءة التي سُمِعَت.

٦- تاريخ السماع ومدته.

٧- اسم المكان الذي سُمِع الكتاب فيه.

٨- اسم مُثْبِتِ السماع وكاتبه، ووُرود لفظ (صح وثبت) بعد أسماء الحضور.

٩- إقرار المُسْمِع (الشيخ) بصحة ما تقدم ذكره في إجازة السماع.[٤٥]

أهمية الإجازات وفائدتها العلمية: تعطينا الإجازات فكرة واضحة عن وظيفة نص ما بصورة عامة، وكيفية استخدام المخطوط بصورة خاصة، كما تجعلنا قادرين على إعطاء خصائص النصوص حقها من حيث علاقتها ببعضها، وهي نموذج من التثبت العلمي الذي كان ينتهجه العلماء، وتعد كذلك وثائق تدل على ثقافات العلماء وتحصيلهم وما قرأوه وما سمعوه من كتب، وهي مصدر للتراجم الإسلامية؛ ففيها من الأسماء ما لا نجد لها ترجمة في كتب التراجم المعروفة، كذلك تدلنا على معرفة مراكز العلم في البلاد الإسلامية وحركة طلاب العلم وانتقالاتهم، وتمكننا من التعرف على خطوط العلماء وتوقيعاتهم، وتساعدنا أيضًا في التعرف على صحة النص وقِدَمه وتاريخه ومدى ضبطه، ودراسة تاريخ النسخة والحركة العلمية للكتاب، وتظهر لنا الإجازات التقاليد التربوية الإسلامية المرعية بين الشيوخ والتلاميذ، كأن يذكر المجيز فضائل شيخه، ويبين تواضعه العلمي، وأخيرًا تساعدنا في بناء المجموعات الخاصة للمكتبات الشخصية للعلماء أو المكتبات العامة أو الموقوفة.

ورغم هذه الأهمية لإجازات السماع والقراءة في المخطوطات العربية لم ينتبه إليها إلا القلة من المشتغلين بالمخطوطات؛ مثل ما قام به الشيخ أحمد محمد شاكر من نشر السماعات الواردة على نسخة كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي من إملائه لتلميذه الربيع بن سليمان؛ أي قبل وفاة الشافعي (٢٠٤ هـ). كما قام د. صلاح الدين المنجد بنشر ما وجده من سماعات على الجزء الأول من تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧١ هـ)، كذلك ما فعله جورج فايدا (Georges Vajda) من نشره للسماعات المثبتة على كتاب "الخراج" ليحيى بن آدم(٢٠٣ هـ). كما قام بدراسة السماعات والإجازات الموجودة في المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية في باريس، وقد صادفها في ٧٢ مخطوطة، وغيرهم من المستشرقين.

أما القراءة: فهي أن يقرأ التلميذ على الشيخ من كتاب، والشيخ منصتٌ يقارن ما يُلْقى عليه بما في نسخته أو من حفظه، وتكون بلفظ (قرأت على فلان)، ولا بد من القراءة على مؤلف الكتاب نفسه، أو على يد عالم متقن وحجة في هذا العلم، وتفوق إجازات القراءة في عددها إجازات السماع.

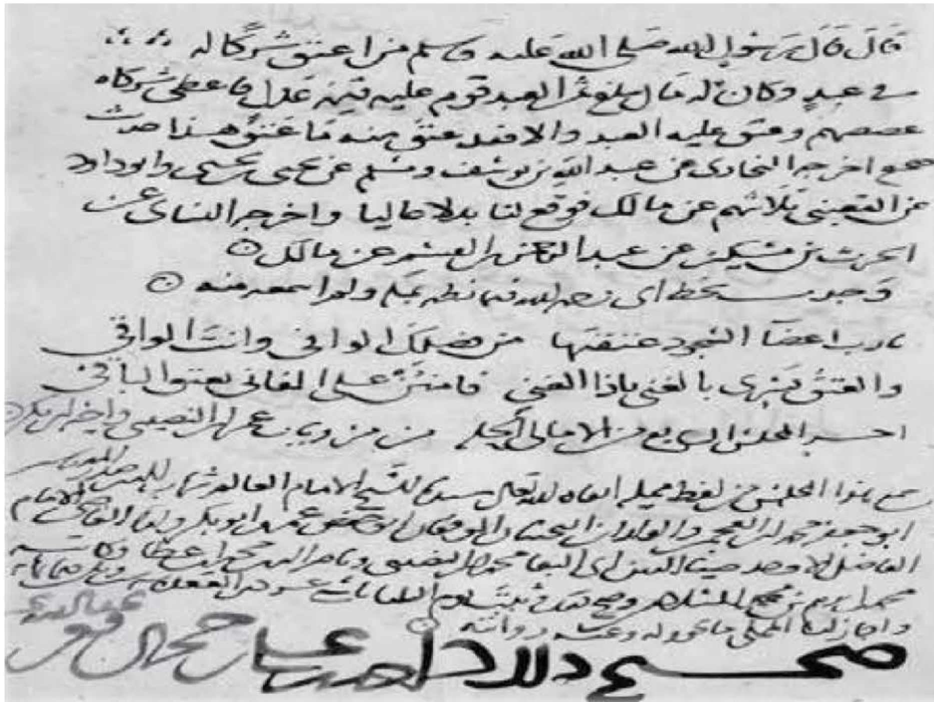
وعادة ما كان الشيخ الذي يقرأ عليه الكتاب يُسَجّل في إجازة القراءة كيفية تلقي الطالب لها، فيَنُصُّ على نوع القراءة؛ قراءة مقابلة، أو قراءة حفظ وإتقان، أو قراءة تصحيح وتهذيب، أو قراءة استفسار ومراجعة، أو قراءة درس وتفهم وتحرير وهكذا.

وتقوم كتب التراجم والطبقات بإحصاء الأجيال المتتابعة للعلماء العاملين في حقل بعينه وتسجل لنا أسباب التواصل في تاريخ العلوم سواء داخل جيل بعينه أم سلسلة من الأجيال.

وكذلك فقد نما في المشرق والمغرب والأندلس نوع من السيرة الذاتية؛ وهي معاجم الشيوخ،

والمشيخات، والبرامج، والفهارس، وفيها يُعَدِّد الطالبُ أو العالم شيوخَه والكتبَ التي سمعها منهم أو قرأها عليهم، ويحصي الإجازات التي حصَّلها، والبلادَ التي زارها. كما فعل القاضي عياض (٥٤٤ هـ) في كتابه الغنية والمشهور بفهرس شيوخ القاضي عياض، وكذا ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) في كتابه: المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، أحصى فيه شيوخه، وما سمع منهم، وما قرأ عليهم، ومن أجازه مشافهة أو كتابة، وهذا غيض من فيض، والأمثلة على ذلك كثيرة.[٤٦]

والخلاصة أن الإجازات بدأت عند علماء الحديث طريقًا لتحمله ونقله، ثم توسع فيها حتى صارت أنواعًا مختلفة ذات صيغ متنوعة حملت إلينا الطابع التعليمي وكثيرًا من الإشارات واللمحات من سلاسل الرواة والعلماء. وهي قبل هذا وذاك تعد أحد أنماط التوثيق الرئيسة في المخطوط العربي".[٤٧]



ـ صورة من إجازة سماع للمجلس السابع من الأمالي الحلبية للشيخ الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، سمعه الشيخ شهاب الدين أبو جعفر محمد بن أحمد بن الضياء بن العجمي، والولدان أبو حفص عمر وأبو بكر ولدا القاضي ضياء الدين أبي البقاء محمد بن عمران النصيبي الشافعي، وناصر الدين محمد بن عطاء الضيائي، ومحمد بن إبراهيم بن محمد السلامي كاتب السماع، مؤرخة بيوم الثلاثاء ١٢ من ذي القعدة ٨٣٦ هـ، وفي آخرها صحيح ذلك كتبه أحمد بن علي بن حجر الشافعي عفا الله عنه.

كتاب مشكوة المصابيح للإمام
الحافظ ولي الدين الخطيب
التبريزي رحمه الله
تعالى

الحمد لله وحده وبعد فقد قرأ علي هذا الكتاب من اوله
الى كتاب الطهارة وسمع بعضا منه على قراءة غيره الشيخ الفاضل
المستعد النبيه النجيب ابو الفضل محمد بن المرحوم عبد الله افندي
الانطاكي الحنفي ايده الله تعالى بتوفيقه واجزت له ان يروي عني
سائر الكتاب بحق روايتي له عن الشيخ عبد الخالق بن ابي بكر المزجاجي
الحنفي الزبيدي عن ابي طاهر محمد بن ابراهيم الكوراني عن والده عن
القطب صفي الدين احمد بن محمد القشاشي اخبرنا به ابو المواهب
احمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي اخبرنا الشيخ قطب الدين محمد بن
احمد بن محمد النهروالي عن والده عن الحافظ ابي الفتوح احمد بن
عبد الله الطاوسي اخبرنا المسند عبد الرحيم بن عبد الكريم الجرهي الصديقي
اخبرنا المؤلف وصح وثبت ذلك في مجالس عدة في اثناء شهور محرم
وصفر والربيع من سنة ١١٩٠ وكتب ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني
غفر له حامدا لله ومصليا ومسلما

ـ صورة من إجازة قراءة لكتاب مشكاة المصابيح للتبريزي (٧٠٢هـ) من محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١٢٠٦ هـ) ـ صاحب تاج العروس ـ لأبي الفضل محمد بن عبد الله أفندي الأنطاكي الحنفي، مؤرخة سنة ١١٩٠هـ.

ثانيًا: قيود المطالعة والنظر والانتقاء

المطالعة تعني النظر إلى الشيء. وفي الاصطلاح: أن يُطالع عالم أو متعلم أو قارئ في الكتاب بقصد الاستفادة منه أو المذاكرة فيه، وتقييدها يفيد أن عالمًا طالع نسخة الكتاب خارج الدرس لينقل عنها معلومات وفوائد ليستعملها في بحوثه وتدريسه.(٤٨)

وهي من القيود الهامة التي نجدها على صفحة العنوان (الظهرية)، ومن شأن هذه القيود إعلاء قيمة النسخة بأن طالعها أحد العلماء وانتقى منها لأحد كتبه أو نظر فيها مستفيدًا منها، وهذا يعطي للنسخة قيمة توثيقية كبيرة؛ حيث إن النسخ التي يختارها العلماء للمطالعة إنما تكون نُسخ منتقاة بعناية. مثل أن يقول: (قرأه، طالعه، نظر فيه، وقف عليه، تأمله، فرغ من تأمله، استوعبه واستنار منه، وعلق منه، واستفاد منه

داعيًا لمالكه، وانتقى منه لكتابه.(٤٩)

وقد ارتبطت قيود النظر والمطالعة ارتباطًا وثيقًا بقيود التملك؛ ذلك أنه عادة ما تشير بأطوال متفاوتة إلى ما مُفاده أن هذا الشخص أو ذاك طالع ونظر في كتاب معين أو جزء منه.

أما عن عناصر المطالعة فهي: اسم المُطَّالع، والجزء الذي تمت مطالعته، وتأريخ المطالعة بالسنة والشهر واليوم أحيانًا، ومكان المطالعة.

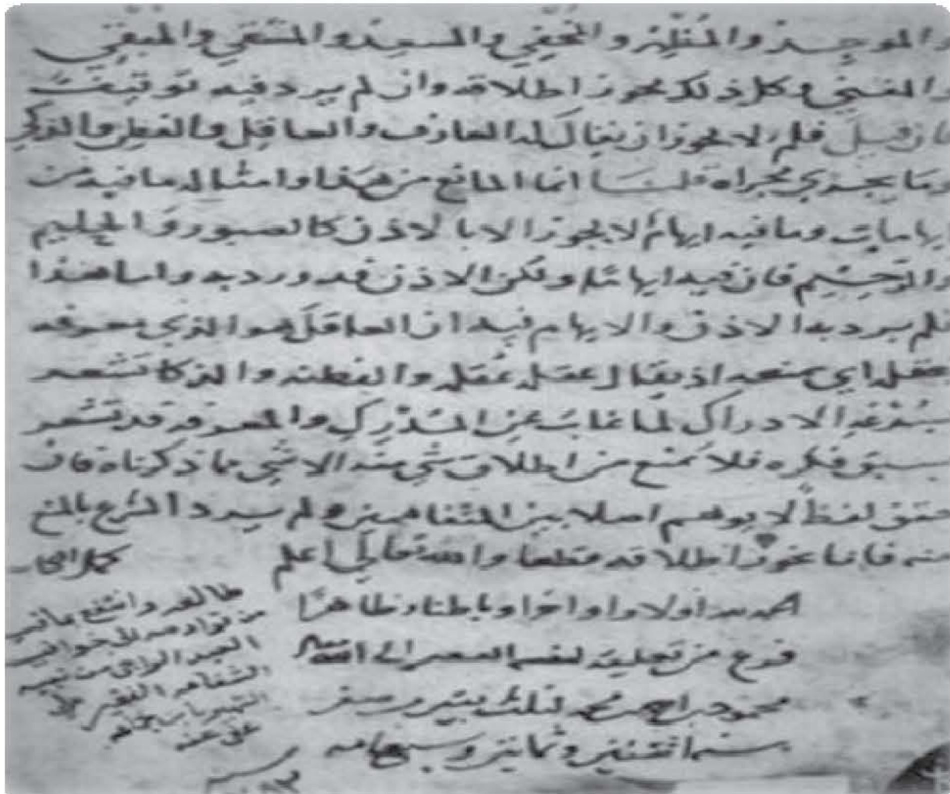
وتكمن **أهمية المطالعات** في أنها:

١ـ تذكر أسماء بعض العلماء وطلاب العلم الذين قد لا نجد لهم ذكرًا في كتب التراجم.

٢ـ تذكر أسماء بعض البلدان والمدن والقرى والأماكن العلمية والفوائد التاريخية.

٣ـ تساعد الباحثين والمفهرسين في تحديد تأريخ تقريبي لنسخ المخطوطات في حالة عدم وجوده في المخطوط.

٤ـ تعد دليلاً على أهمية الكتاب وانتشاره وتداوله، ومدى اهتمام العلماء وطلاب العلم به.(٥٠)



ـ صورة لنسخة من كتاب: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي (٥٠٥ هـ)، وعليها قيد مطالعة للقاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة (٧٨٣هـ) ونصها:" طالعه وانتفع بما فيه من بواديه إلى خوافيه العبد الراجي من نبيه الشفاعة الفقير الشهير بابن جماعة عفي عنه".


كتاب الضعفاء والمتروكين
الشيخ الإمام
أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد
الواعظ البغدادي رحمه الله

ـ صورة لنسخة من كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (٥٩٧ هـ)، وعليها قيد مطالعة واستفادة منها لمحمد مرتضى الزبيدي الحسيني (١٢٠٦ هـ) صاحب تاج العروس، مؤرخة في غرة رجب ١١٨٥ هـ.

ثالثًا: قيود التملك

المقصود بالتملك أن يقوم صاحب الكتاب بتدوين اسمه عليه، وأحيانًا يذكر قيمة الشراء، والجهة التي اشترى منها وتأريخ الشراء.[51] وتعد قيود التملك من خوارج النص المهمة في دراسة المخطوطات، فقد كانت المخطوطات العربية تكتب وتنسخ لأغراض متعددة؛ فالمؤلف الذي يُعِدُّ مُسَوَّدةً أو مبيضة لأحد مؤلفاته يكون دائمًا هو مالك هذه النسخة وصاحبها الأول، وكذلك فإن العلماء وطلبة العلم الذين ينسخون نُسَخًا من كتب مؤلفين آخرين لاستخدامهم الشخصي يكونون هم المالكين الأول لهذه النسخ، ودائمًا ما يكون قيد الفراغ من كتابة هذه النسخ بالصيغ الآتية: (على يد كاتبه وصاحبه) أو (كتبه لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده) أو غيرها.

وبعد وفاة مالك النسخة الأول أو اضطراره إلى بيعها، أو عند عرض نُسَخ بعض الكتب للبيع في سوق الوراقين فإن ملكيتها تنتقل بالتالي إلى مالك جديد، وعادةً ما يُثْبِتُ أصحاب هذه النسخ انتقالها إلى حوزتها وشرائهم لها بالملك الشرعيّ.

وهذه العلامات عادة ما توجد على ظهرية المخطوطات، وقد توجد أحيانًا في غاشيتها ـ نهايتها ـ وتساعد هذه التملكات في تحديد تأريخ تقريبي للنسخ التي لا نعرف لها تاريخ نَسْخٍ، وكذلك معرفة رحلة النسخة وانتقالها من يد إلى يد، أو من بلد إلى بلد.

كما أننا نجد في هذه التملكات خطوط العلماء المشهورين الذين آلت إليهم هذه النسخ، ووجود النسخة في ملك عالم مشهور يمنحها ثقة أكبر وأصالة؛ حيث أُتيح لها مراجعة هذا العالم وتصحيحها على يديه، وتفيد كذلك هذه التملكات في معرفة أسماء كثير من أصحاب خزائن

الكتب ومحبيها على امتداد التأريخ الإسلامي، مثل: ياقوت الحموي (٦٢٢هـ)، وخليل بن أيبك الصفدي (٧٦٤هـ)، ومحمد بن أيدُمُر المستعصمي (ت٧١٠هـ)، وأبو بكر بن رستم الشرواني وغيرهم. ونوعية الكتب التي اهتموا باقتنائها وشرائها.

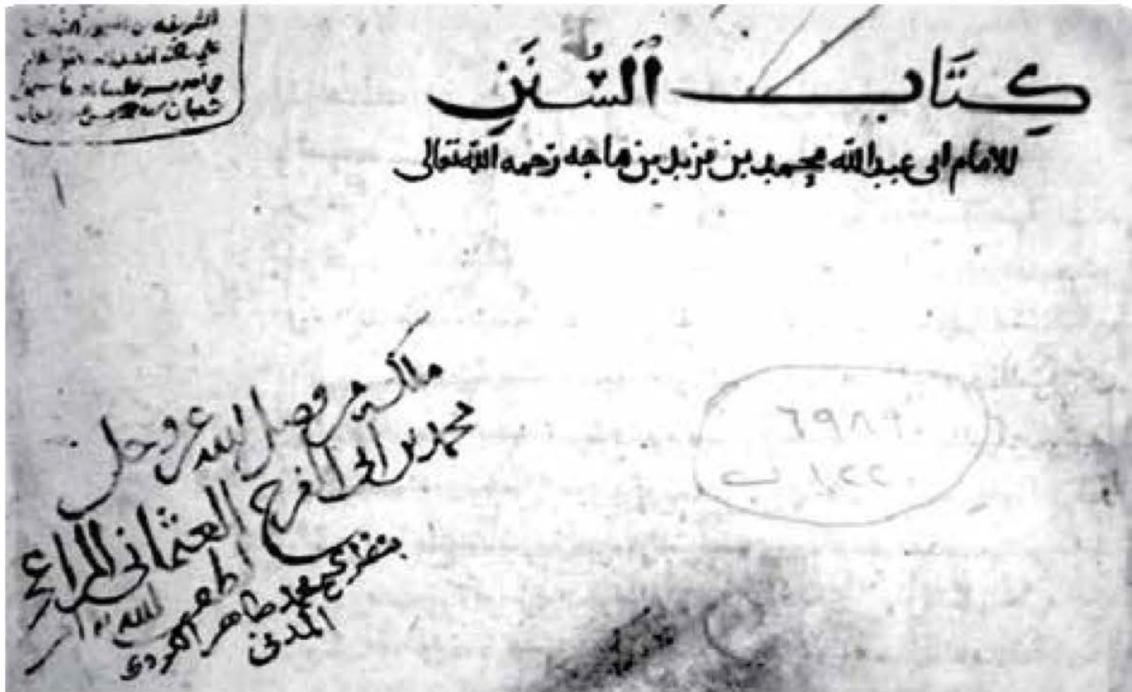
ومن نماذج ألفاظ قيود التملك التي نطالعها على المخطوطات: (تملكه، من خزانة، انتقل إلى حوزة، مَلَكه الفقير، انتظم في ملك الفقير، انتقل بالبيع الصحيح، صار في نوبة، من نعم الله تعالى على الفقير، استصحبه، من عواري الزمان، ساقته الأقدار، من تركة موارثنا) وغيرها من الألفاظ، وهي قيود نثرية في الأغلب الأعم، إلا أنها قد تجيء في صورة نظم شعري، مثاله:

هذا الكتاب غدا بمن الله ملكا في يدي

وأنا الفقير إلى الرضا يعقوب نجل محمدي[٥٢]

ومنذ القرن الحادي عشر الهجري إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري شاع اختصار التواريخ عامة، وتواريخ التملك خاصة إلى رقمين أو ثلاثة أرقام، مثال: ١١٩ تعني ١١١٩هـ، و٢١٣ تعني ١٢١٣هـ.[٥٣]

وتساعدنا تلك التملكات أحياناً في تحديد تأريخ تقريبي للنسخ التي لا يُعرَف لها تأريخ نسخ، كما تساعد على معرفة رحلة النسخة وانتقالها من يد إلى يد، أو من بلد إلى بلد، وأسعار الكتب وأنوع العملات وقيمتها. كذلك فإننا نتعرف من هذه التملكات على خطوط العلماء المشهورين أو هواة جمع الكتب الذين آلت إليهم النسخ. وتفيدنا كذلك في التعرف على أسماء كثير من أصحاب خزائن الكتب ومحبيها على امتداد التأريخ الإسلامي، ونوعية الكتب التي اهتموا باقتنائها وشرائها



ـ صورة لنسخة من سنن ابن ماجة(٢٧٣هـ) وعليها تملك باسم محمد بن أبي الفرج العثماني المراغي بنظر الشيخ محمد طاهر الكردي المدني الخطاط (١٤٠٠هـ).

وللتملكات خمس صور هي:

١ - الكتابة للنفس.

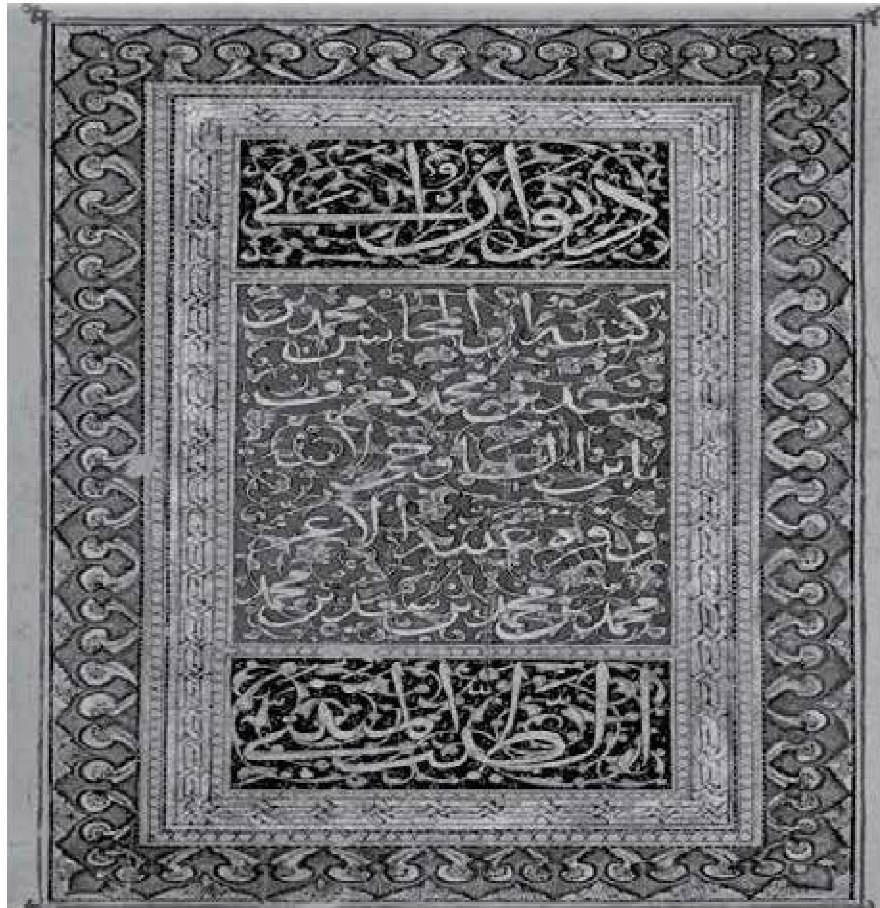
٢ - التملك عن طريق البيع والشراء.

٣ - الهبة الشرعية الصحيحة.

٤ - الاستعارة والاصطحاب

٥ - النسخ الخزائنية للعلماء أو الملوك والأمراء والسلاطين.(٥٤)

وهذه النُّسخ التي كُتِبت لخزائن العلماء أو السلاطين لها مَزِّية خاصة؛ من حيث جودة نوع الورق، وحسن الخط ونفاسته، وقلة الأخطاء وندرة وقوع التصحيف والتحريف فيها، وتنميق النسخة وزخرفتها؛ لذلك فهي من النُسخ ذات القيمة والوثاقة العالية.



ـ صورة من فاتحة لنسخة نفيسة من ديوان المتنبي(٣٥٤هـ) كتبها أبو المحاسن محمد بن سعد بن محمد ابن الساوجي لابنه وقرة عينه الأعز محمد، وتظهر فيها الزخرفة والتذهيب والألوان البديعة.

رابعًا: قيود الوقف

الوقف لغة: الحبس المطلق، وفي اصطلاح الشرع: حبس العين عن تمليكها لأحد والتصدق بالمنفعة، فالوقف تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة للمنتفعين به، وهو صدقة محرمة لا تُباع ولا تُشترَى ولا توهب ولا تورث، ويُصرَف ريعها إلى جهة من جهات البر حسب شرط الواقف، والوقف داخل في معنى الإحسان الواسع، وعليه فقد بادر أهل الخير إلى وقف الأوقاف من مبانٍ وأراضٍ وغيرها كالمدارس والخانقاوات والبيمارستانات والأسبلة والكتاتيب، ويوقفون على كل مؤسسة منها ما يُنفَق من ريعه لضمان بقائها واستمرار عملها، ومن تلك الأغراض وقف الكتب والمكتبات، ورغم أن الأصل العام في الوقف هو التأبيد، ولا يصح ذلك إلا في العقار، فقد جوَّز العلماء وقف المنقولات من باب الاستحسان الأصولي، ومن هنا نشأ وقف الكتب نفعًا لطلبة العلم والعلماء والعامة.

وكان الفقهاء والعلماء حتى القرن الثاني الهجري ينسخون المصاحف ويضعونها في المساجد قربةً لله عز وجل، ومع تطور حركة التأليف والترجمة والنقل نهاية القرن الثاني الهجري رأى بعض العلماء وضع هذه الكتب في المساجد على غرار المصاحف ليستفيد منها جمهرة الطلاب، فمنع الفقهاء ذلك لعدم وجود نص صريح من كتاب أو سنة يُبيح ذلك، فوَقف القرآن أولاً كان موضع نقاش بين العلماء، وبعد استحسان جواز وقف المصاحف انتقل ذلك إلى الكتب استدلالاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا ماتَ ابن آدم انقطعَ عَمَلُه إلّا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جارِيةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِه، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[٥٥] وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " إن مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَكْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ موته."[٥٦]

ورغم عدم استطاعتنا تحديد البداية الحقيقية لظهور وقف الكتب والمكتبات، فإن أقدم علامة للوقف يمثلها المصحف الذي وقفه الأمير أماجور(٢٦٤هـ) زمن المعتمد العباسي على مدينة صور سنة٢٦٢ هـ، ومع مرور الوقت وانتشار نظام الوقف بدأت تظهر المكتبات الموقوفة على طلبة العلم أو على المساجد، وأخذت خزائن الكتب الوقفية في الانتشار في القرن الرابع الهجري، فقلَّما خلت مدينة من مكتبة أو مسجد بها كتب أو مصاحف موقوفة، وأصبحت هذه الخزائن والمكتبات الموقوفة قبلة لطلاب العلم.[٥٧]

ومن المُلاحَظ أن المكتبة العربية الإسلامية قامت أساسًا على الوقف، وتُعَدُّ دار العلم في الموصل - التي أنشأها أبو القاسم جعفر بن محمد ابن حمدان الموصلي الشافعي سنة٣٢٣ هـ - أول مكتبة وقفية في الإسلام.[٥٨]

ومن أوائل المكتبات الوقفية التي أُنشِئت بمصر: مكتبة دار الحكمة بالقاهرة التي أسسها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ، ومن حسن الطالع أنْ المصادر حفظت لنا نسخة الكتاب بالأوقاف التي وقفها الحاكم على عدد من المؤسسات

الدينية وعلى دار الحكمة بالقاهرة، وهذا الكتاب أصدره قاضي القضاة مالك بن سعيد الفارقي (٤٠٥هـ).[٥٩]

وبلغ من انتشار المكتبات الوقفية وذيوعها أن أبا حيان النحوي الأندلسي(٧٤٥هـ) كان يعيب على صاحب له يشتري الكتب ويقول له: الله يرزقك عقلاً تعيش به، أنا أي كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف.

وقيد الوقف: هو النص الدال على أن الكتاب قد جُعِل وقفًا لله تعالى، وأنه مشاع للمستفيدين منه قراءة أو مطالعة أو إعارة، إلا إذا وضع الواقف شروطًا على وقفه. وقد يكون يُوقَف الكتاب على فرد من الناس بعينه، أو على ذرية الواقف من بعده الأرشد فالأرشد، أو على مذهب من المذاهب، أو مكان من الأمكنة كالمدارس والمساجد والبيمارستانات والأربطة والخانقاوات والتكايا والأضرحة، أو على مدينة من المدن، أو على الناس عامة أو على طلبة العلم خاصة دون تحديد للمكان.[٦٠]

وقد كان يتم إثبات الوقف بثلاثة طرق هي:

١- كتابة نصّ الوقفية على الكتاب نفسه، وهو أكثرها شيوعًا.

٢- كتابة وثيقة شاملة للوقف تُسجَّل عند القاضي الشرعي.

٣- ختم صفحة العنوان وغيرها بخاتم يدل على الوقف، وهذه ذاعت في القرون الأخيرة.[٦١]

أما **صيغ الوقف** التي أُثبِتَت على الكتب:

فقد درج الواقفون على إثباتها على صفحة العنوان، ونادرًا ما استخدموا آخر الكتاب لذلك، وتتفاوت هذه الصيغ لغةً وأسلوبًا وتضمينًا للمعلومات مثل: وقف، وحبّس، وسبّل، وأبّد، وحرّم، وتصدّق.

ولجأ بعض واقفي الكتب والمكتبات لإشهار الوقف بإثباته عن طريق ختم صفحة العنوان وصفحات أخرى بخاتم يحمل اسم الواقف أو اسم المكان الذي جُعِلت فيه. وتختلف هذه الأختام في الشكل والحجم؛ فمنها الدائري والبيضاوي والمربع وغالبها يكون بحروف مفرغة على أرضية سوداء أو العكس.

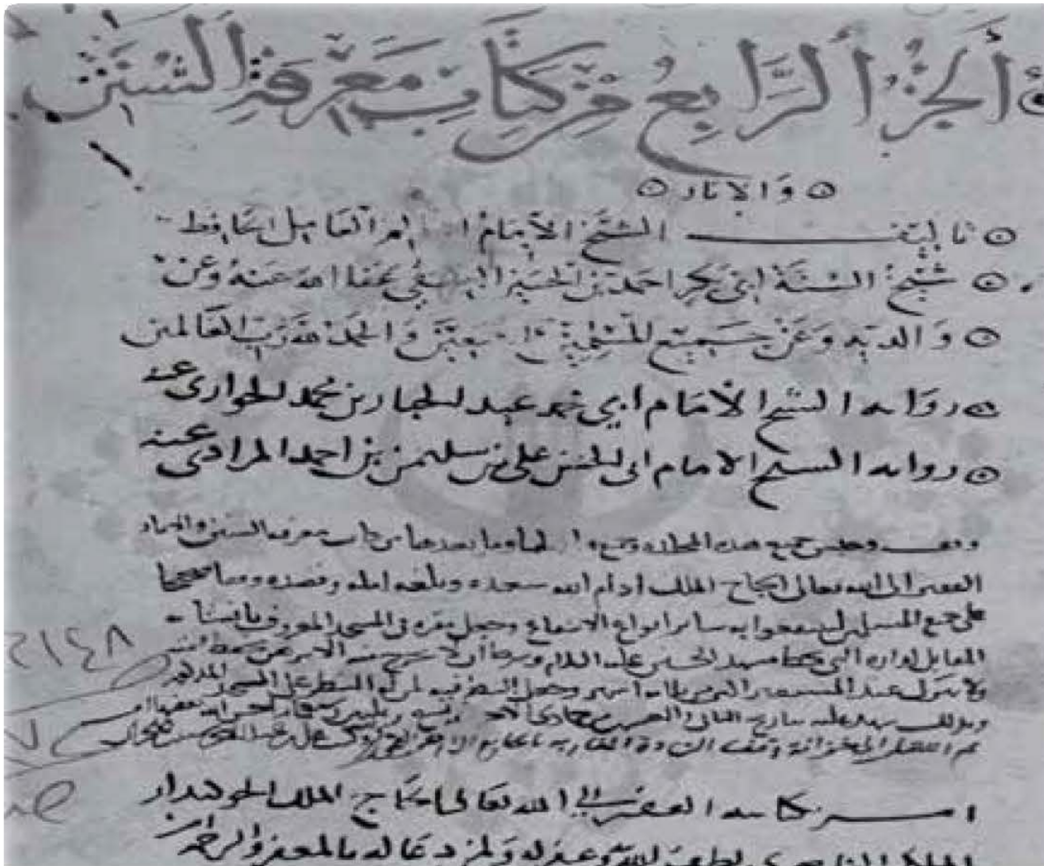
وتحوي هذه الأختام اسم الواقف، والمكان الذي وُقِفَ فيه، وتاريخ الوقف، وبعض العناصر الأخرى، بينما تقتصر أخرى على ذكر اسم الواقف والمكان، وقد نجد الختم مضافًا إلى نص الوقفية أو عِوَضًا عنها في أحيان أخرى.

ومن كل ما سبق يتبين لنا أن نصوص الوقف المدونة على المصاحف والكتب أو الأختام الوقفية كان الغرض منها إشهار الوقف لمنع العبث به أو بيعه أو رهنه أو تبديله، وأغلب نصوص الوقفيات كانت تنتهي بقوله تعالى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ ﴾ [البقرة: ١٨١]، كما يؤكد أغلبها على شرط الواقف بعدم إخراج الكتاب من الخزانة.

وتجدر الإشارة إلى أن النُسَخ التي كان يوقفها العلماء على المكتبات العامة أو مكتبات المدارس والمساجد تتمتع بقيمة توثيقية عالية، وبخاصة إذا كانت هذه الكتب من مؤلفاتهم الشخصية، وهي مربط الفرس وعين القصيد مقارنة بغيرها من نسخ الكتب الوقفية.

ومن خلال دراستنا لتأريخ الوقف على الكتاب وذكر شرط الواقف نستطيع تكوين المجموعات المتفرقة للمكتبات الوقفية، وتفيد الوقفيات أيضًا في التأريخ للمخطوطات مجهولة التأريخ، ولكن ذلك يقتضي حصر المخطوطات التي تحمل وقفيات في كشاف ببليوجرافي، ثم بحث هذه الوقفيات من الجانب التاريخي والخطي على السواء، فيمكننا تأريخ نسبة كبيرة من هذه المخطوطات وتعريفها.

وهذه المعلومات التي تقدمها الوقفيات ثمينة بالنسبة لتاريخ المخطوط فهي تُقَدِّم التاريخ الذي لا يمكن تجاوزه، وتترك للباحث تحديد الفترة الزمنية المنقضية بين كتابة النسخة وتأريخ وقفها.(٦٢)


الجزء الرابع من كتاب معرفة السنن
والآثار
تاليف الشيخ الإمام ... الحافظ
شيخ السنة أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي عفا الله عنه وعن
والديه وعن جميع المسلمين ... والحمد لله رب العالمين
رواية الشيخ الإمام أبي محمد عبد الجبار بن محمد الحواري عنه
رواية الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرادي عنه

- صورة من الجزء الرابع من كتاب معرفة السنن والآثار لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ). وعليه قيدُ وقفٍ عناصره المذكورة هي: ـ اسم الواقف: الحاج الملك الجوكندار الملكي الناصري.
- اسم الكتاب الموقوف: معرفة السنن والآثار لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.
- مكان الوقف: المسجد المعروف بإنشائه المقابل لداره التي بخط مشهد الحسين.
- شرط الواقف: ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحفظ قيمته، ولا يُتْرَك عند المستعير أكثر من ثلاثة أشهر، والنظر في الكتاب لمن له حق النظر من العلماء وطلبة العلم.
- تأريخ الوقف: ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٧٣٩ هـ.

المبحث الرابع: قيود الإفادة

وأقصد بها هنا الفوائد والحواشي والتعليقات التي توجد على هامش المخطوط أو بين السطور، سواء كانت من فعل النُّساخ أو المتملكين أو المطالعين، وزياداتهم عليه، سواء كانت هذه الفوائد متعلقة بمادة النص أو خارجة عنه، وغالبًا ما نرى أكثر هذه القيود التي لا ترتبط بالنص على صفحة العنوان (الظهرية)، وبعد حرد المتن نهاية النص (الغاشية)، أما أغلب التعليقات والحواشي المرتبطة بالنص فنجدها في ثناياه.

والحاشية اصطلاحًا: جانب الكتاب وطرفه. وكان المؤلف أو الناسخ يترك لها فراغًا على جانبي صفحة المخطوط ليتمكن القارئ من التعليق والتحشية.

أما المؤلف عندما يريد إضافة أو تفسيرًا أو استطرادًا فإنه يُدرجه في المتن ويُمَيِّزه بقوله: تنبيه، فائدة، بيان، حاشية، إشارة لطيفة، أو مبحث، وما شابه تلك الألفاظ.[٦٣]

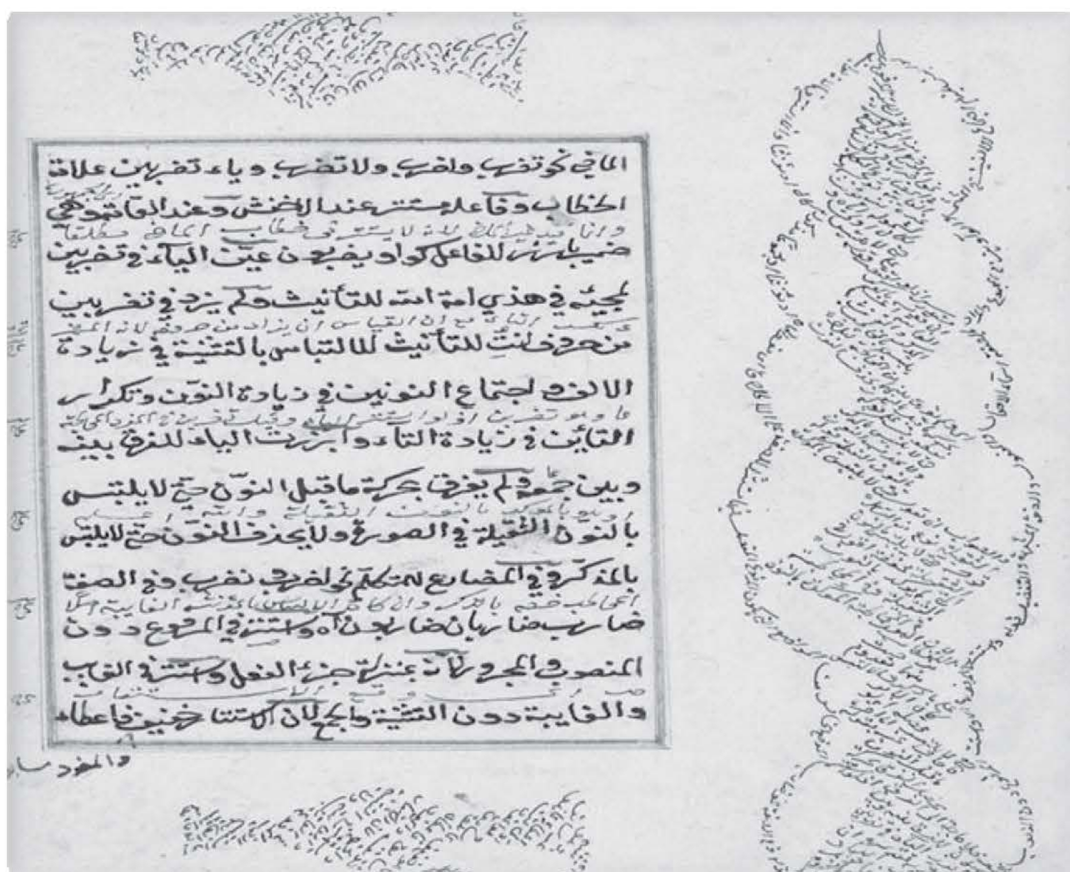
ولما كانت المخطوطات تُنقَل من شخص لآخر، فإنها تتميز باختلاف خطوط حواشيها ليس هذا فحسب، بل إن الاختلاف يرجع أيضًا إلى انتقالها عبر أزمان مختلفة.

وتُكتب الحواشي - عادة - بخط أصغر من الخط الذي يُكتَب به النص الأصلي، وغالبًا ما تُكتب مائلة أو مقلوبة بطريقة عكسية في شكل مستطيلات ومثلثات وأهِلَّة وما شابه ذلك من أشكال هندسية وزخرفية مختلفة؛ حتى لا يقع الخلط بينها والنص الأساسي، كما تُضفي على الصفحة جمالاً ورونقًا إذا أحسن المُعلِّق تقييدها وهندستها. ومن المثير للاهتمام أن الخطاطين في العصر المملوكي كانوا يُمَيِّزون بين خط النسخ الذي يُكتب به النص والنَّسخ المستخدم في الحواشي والتعليقات، فكان الأول يسمى قلم المتن، والآخر قلم الحواشي[٦٤].

وكانت الطريقة المعتادة لبيان كون نصٍّ ما عبارة عن حاشية، هي كتابة كلمة " حاشية " فوقه كاملة أو مختصرة. وقد استُخدمت اختصارات مختلفة لهذه الكلمة مثل: حـ حه، حش، حيه، ح. وبصرف النظر عن هذه الكلمة، فقد استُعملت مصطلحات أخرى مثل: تعليق(ـه) (اختصار: تـ أو عـ) وتفسير، وشرح (اختصار: سـ مهملة ومعلَّقة غالبًا أو مرسومة على شكل شعر لفظي)، وفائدة (اختصار : فيه، فـ فصل، فصـ، والاختصاران الأخيران يعنيان: فائدة الأصل)، وطُرة (اختصار: ط) وهامش (اختصار: هـ).

وتوجد فئة مهمة من الحواشي تتشكل من الشروح والتعليقات التي يمكن أن تُعزى في معظم الحالات إلى المؤلف نفسه، اقتُبست من بعض مؤلفاته، أو من تعليقاته على نسخ مخطوطة أخرى. وعادة ما يتم توقيعها بعبارة (منه، من خطِّه، من لفظه، من فم المُصِنِّف)، وقد يُقرن هذا التعبير بدعاء صالح.

وللحواشي أنواع أخرى؛ كأن تكون في شكل عنوان لافت، وغالبًا ما تكون في شكل شعار لفظي أو لحاق أو رمز هجائي، مثل ما وُجِد على نسخة من كتاب مجمع الأمثال للميداني(٥١٨هـ): "كل ما في الحواشي بعلامة (صى) فهو من كتاب المستقصى من تصانيف جار الله العلامة الشيخ الإمام محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(٥٣٨ هـ)"[٦٥].





وعادة ما تختتم الحواشي بكلمات أو اختصارات تفيد معنى الحدّ أو النهاية مثل: ٥ (في شكل دائرة) أو (في شكل قلب مقلوب)، (هاء مشقوقة)، (هي)، (اهـ)، وكلها تمثل كلمة (انتهاء)، أو (تمت)[٦٦].

ومن وظائف الحواشي والتعليقات:

١- توضيح بعض الكلمات الغريبة في النص أو تفسيرها وبيانها.

٢- الاستدراك على النص وتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المؤلف.

٣- التفصيل في بيان مسألة أشار إليها المؤلف بإجمال واقتضاب.

٤- إكمال ما نقص في النص من مسائل.

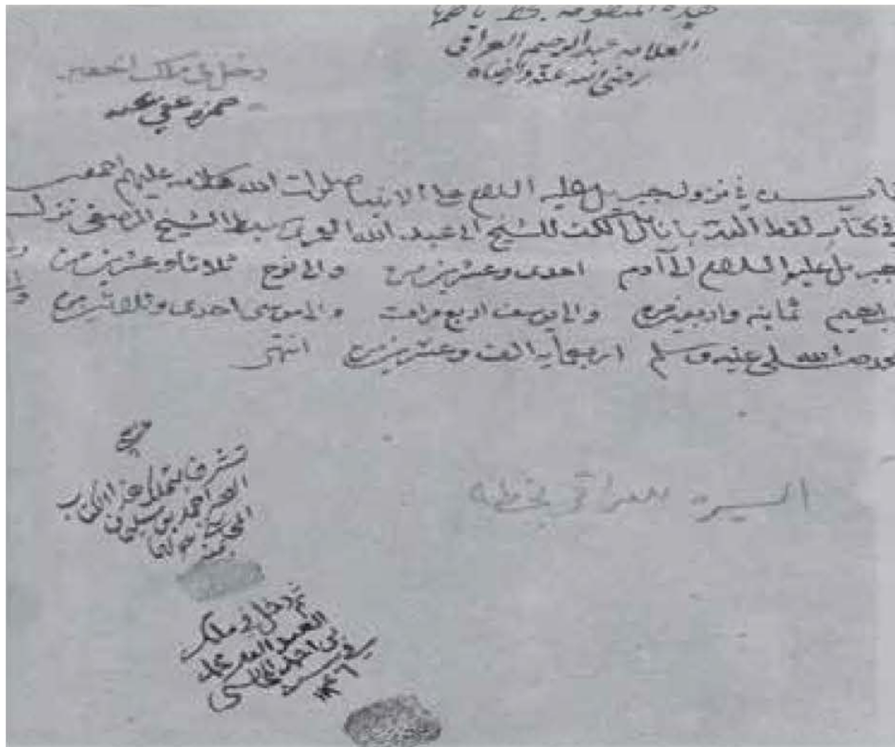
٥- وضع عناوين للموضوعات المتداخلة.

٦- إثبات نقول مقتبسة من كتاب آخر في موضوع النص؛ لتدعيم أقوال المؤلف.

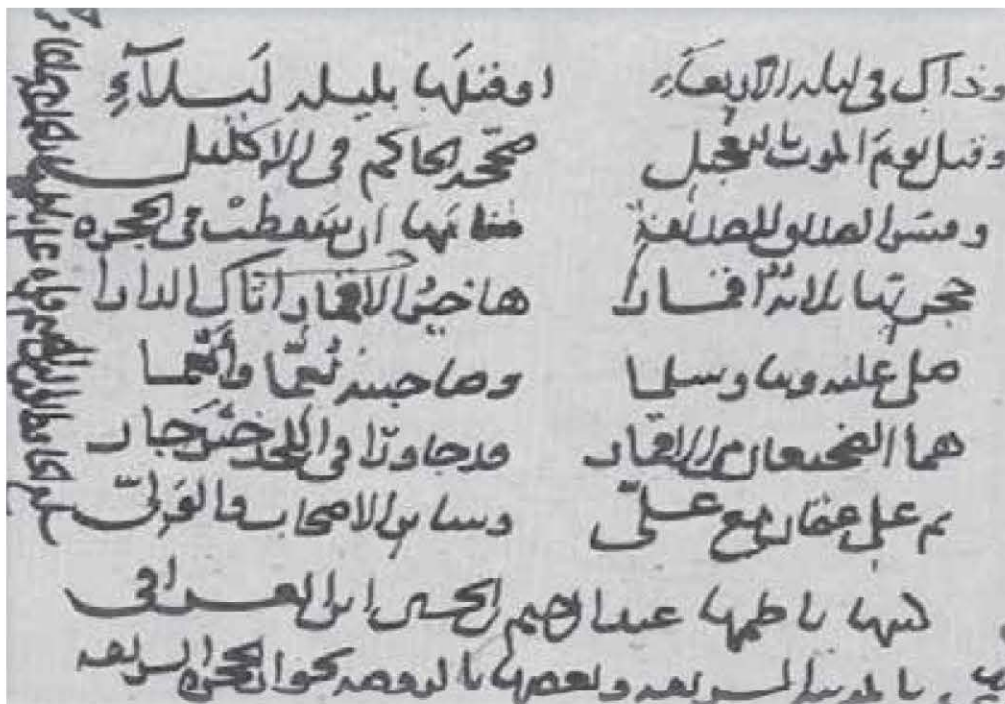
٧- تسجيل الفوائد والنكات من باب تداعي الخواطر.

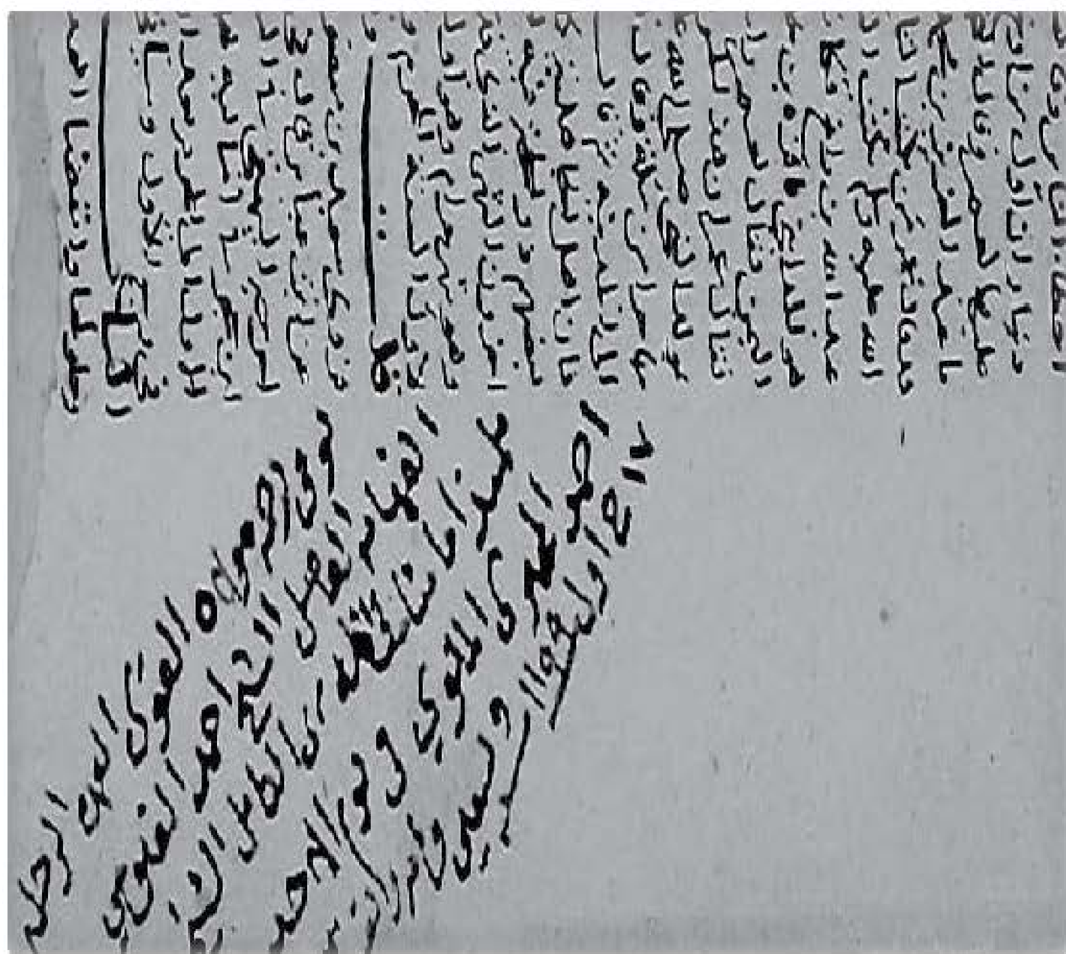
وتكمن أهمية هذه التعليقات بأنواعها المختلفة في أنها توضح مدى العناية بتوثيق صحة النص، ومدى تداوله بين القراء، ومدى اهتمام العلماء بجزئياته النص وكلياته. ويمكن أن تؤدي الاقتباسات دورًا مهمًا في معرفة شروح بعض الكتب التي لم تصل إلينا، كما أنها تعين المفهرس والمحقق معًا على تحديد تأريخ النسخة إن لم تكن مؤرخة، وبخاصة إذا كانت هذه التعليقات مؤرخة أو مقتبسة من كتاب نعرف تأريخ تأليفه، أو منسوبة إلى مؤلفين تُعرف تواريخ وفياتهم.[٦٧]

وكثيرًا ما نصادف على ظهور الكتب تقييدات وفوائد علمية سجلها مؤلف الكتاب أو مالك النسخة أو أحد المطالعين على سبيل التذكير أو الاستشهاد بها فيما يعدونه من مؤلفات، وقد تكون هذه التقاييد تراجم لأعلام، أو ضبط تاريخ الولادة والوفاة لشخص ما، أو تحديد لبعض المواضع الجغرافية، أو ذكر الأحداث التاريخية التي لم تذكرها كُتب التواريخ، أو إثبات كلمات مأثورة، أو أبيات شعرية، أو فائدة لغوية، أو وصفات طبية علاجية وغيرها من التعليقات والفوائد والطُّرَف التي تستحق العناية بتسجيلها وجمعها، كما فعل القفطي (٦٤٦ هـ) في كتابه "نُهْزَة الخاطر ونزهة الناظر في أحاسن ما نُقِلَ من على ظهور الكتب والدفاتر"، وهو مفقود. ومن أمثلتها المعاصرة ما فعله الأستاذ المحقق محمد خير رمضان يوسف من جمع لهذه الفوائد والتعليقات والنوادر الموجودة على طرر المخطوطات، التي طالعها وجمعها من خلال اشتغاله بالتحقيق في كتاب سمّاه: "الغرر على الطرر" ويقع في مجلدة كبيرة.[٦٨]



ـ صورة لصفحة العنوان والصفحة الأخيرة من منظومة الدرر السنية في نظم السيرة الزكية لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي(٨٠٥هـ) بخطه كتبها بالمدينة النبوية، وعليها قيد فائدة في ذكر عدد مرات نزول جبريل ـ عليه السلام ـ على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.





ـ صورة لنسخة من رسالة الشماريخ في علم التأريخ للسيوطي (٩١١ هـ) محفوظة بالمكتبة الأزهرية، وبها قيد للفوائد الشخصية، وقد ذكر فيه الكاتب: وفاة الشيخ أحمد الفيومي يوم الأحد ١٧ جمادى الأولى سنة ١١٩٩ هـ

الخاتمة

تناولت في هذه الدراسة التقييدات الظاهرة على صفحات المخطوطات العربية، سواء تلك التي تتعلق بالنص مثل: الإجازات والمقابلات والمطالعات، أو بالوعاء مثل: قيود الصناعة الخاصة بتجميع الكراسات والتجليد والتملكات والوقفيات، وتمثلت أهداف هذه الدراسة في التعريف بهذه التقييدات، وأنواعها المختلفة وأهميتها، مع ذكر ما تؤديه تلك التقييدات من وظائف علمية أو فنية، وما تظهره من دلالات تاريخية تمثل أهمية كبيرة للمؤرخين عامة، والباحثين في علم المخطوطات بصفة خاصة.

وألخص النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

ما يتعلق بقيود الصناعة

١ـ قيود التجميع هي قيود تتعلق بِعدّ الأوراق أو الملازم والكراسات في المخطوط وهي تساعد المُجلِّد في ترتيب الكراسات وتجميعها قبل قيامه بتجليد الكتاب تجنبًا لخلط الأوراق أو الملازم.

٢- قيود الخزم قيود ناتجة عن العملية الفنية التي يلجأ إليها المُجَلِّد؛ وذلك بتعليم الكراسات من الجانب بالمِخْرز؛ للتمكن من خياطة الكراسات وتجميعها، ولحبك عملية التجليد.

٣- قيود ترقيم الصفحات وهي وسيلة من وسائل ضبط تتابع الأوراق في الكتاب، للمحافظة على تسلسل النص بحيث لا يقع تقديم أو تأخير في اختلاط في الأوراق أثناء عملية الاستنساخ أو التجليد. واستخدم النُسَّاخ لهذه الغاية نظامين: الأول نظام الترقيم العددي وله ثلاثة أشكال: ترقيم الكراسات، ترقيم الأوراق، ترقيم الصفحات، والآخر نظام التعقيبة وهو نوع من الترقيم استخدمه القدماء لترتيب صفحات الكتب من جهة، ولمساعدة المختصين في صناعة المخطوط، كالمرقمين والمُجَلِّدين وسواهم في ترتيب ملازم الكتاب المخطوط من جهة أخرى. فالغرض الأساس منها الحفاظ على تسلسل النص، ومنع الخلط في ترتيب الأوراق والكراسات.

ما يتعلق بقيود النساخة

١- **علامات الترقيم** من أهم وظائفها في المخطوطات: توضيح المعنى وتبيينه، ودفع التوهم عن القارئ، وتحقيق أمن اللبس بين التراكيب، وتيسير القراءة على المطالعين، وإيجاد العنصر الجمالي في الكتابة.

٢- **علامات المقابلة أو المعارضة، والتصحيح** تعد من مظاهر توثيق النسخة وصحتها وأصالتها، فالطريقة الوحيدة للتثبت من صحة نص ما هي معارضة النسخة ومقابلتها بنسخة أخرى من نوعها معارضة دقيقة، فوظيفة المقابلات والتصحيحات الكبرى هي: إقامة النص وضبطه خلوًا من الخطأ والتصحيف والتحريف؛ للوصول به إلى درجة تقارب التمام والكمال، مما يؤدي في الأخير إلى الاطمئنان للنص والنقل عنه بغير شك في صحته.

٣- **قيود الفراغ من النسخ أو قيود الختام** لها أهمية خاصة، فعن طريقها نستطيع أن نعرف متى نُسِخ النص؟ ومن هو ناسخه؟ وهل النسخة بخط المؤلف أم لا؟ ومن خلالها يمكننا دراسة الخطوط وتطورها، والحصول على معلومات تتصل بصنعة النساخة والنُّساخ، ومن منهم يُعد من العلماء؟

ما يتعلق بقيود الوثاقة

١- **الإجازات أو شهادات الرواية** تعد أحد أنماط التوثيق الرئيسة في المخطوط العربي، وهي تعطي فكرة واضحة عن وظيفة نص ما بصورة عامة، وكيفية استخدام المخطوط بصورة خاصة، كما تجعلنا قادرين على إعطاء خصائص النصوص حقها من حيث علاقتها ببعضها، وهي نموذج من التثبت العلمي الذي كان ينتهجه العلماء، وتعد كذلك وثائق تدل على ثقافات العلماء وتحصيلهم وما قرأوه وما سمعوه من كتب، وهي مصدر للتراجم الإسلامية؛ ففيها من الأسماء ما لا نجد لها ترجمة في كتب التراجم المعروفة، كذلك تدلنا على معرفة مراكز العلم في البلاد الإسلامية وحركة طلاب العلم وانتقالاتهم، وتمكننا من التعرف على خطوط العلماء وتوقيعاتهم، وتساعدنا أيضًا في التعرف على

صحة النُسَخ ومدى ضبطها، ودراسة تاريخ النسخة و الحركة العلمية للكتاب، وتظهر لنا الإجازات التقاليد التربوية الإسلامية المرعية بين الشيوخ والتلاميذ، كأن يذكر المجيز فضائل شيخه، ويبين تواضعه العلمي، وأخيرًا تساعدنا في بناء المجموعات الخاصة للمكتبات الشخصية للعلماء أو المكتبات العامة أو الموقوفة.

٢- **قيود المطالعة والنظر والانتقاء** و هذه القيود من شأنها إعلاء قيمة النسخة بأن طالعها أحد العلماء وانتقى منها لأحد كتبه أو نظر فيها مستفيدًا منها، وهذا يعطي للنسخة قيمة توثيقية كبيرة؛ حيث إن النسخ التي يختارها العلماء للمطالعة إنما تكون نُسَخ منتقاة بعناية وتكمن أهمية هذه المطالعات في أنها: تذكر أسماء بعض العلماء وطلاب العلم الذين قد لا نجد لهم ذكرًا في كتب التراجم، كما تذكر أسماء بعض البلدان والمدن والقرى والأماكن العلمية والفوائد التاريخية، وتساعد الباحثين والمفهرسين في تحديد تأريخ تقريبي لنسخ المخطوطات في حالة عدم وجوده في المخطوط وتعد دليلاً على أهمية الكتاب وانتشاره وتداوله، ومدى اهتمام العلماء وطلاب العلم به.

٣- **قيود التملك** تساعدنا أحيانًا هذه القيود في تحديد تأريخ تقريبي للنسخ التي لا يعرف لها تأريخ نسخ، كما تساعد على معرفة رحلة النسخة وانتقالها من يد إلى يد، أو من بلد إلى بلد، وأسعار الكتب وأنوع العملات وقيمتها، كذلك فإننا نتعرف من هذه التملكات على خطوط العلماء المشهورين أو هواة جمع الكتب الذين آلت إليهم النسخ، وتفيدنا كذلك في التعرف على أسماء كثير من أصحاب خزائن الكتب ومحبيها على امتداد التاريخ الإسلامي، ونوعية الكتب التي اهتموا باقتنائها وشرائها.

٤- **قيود الوقف تجدر** الإشارة إلى أن النُسَخ التي كان يوقفها العلماء على المكتبات العامة أو مكتبات المدارس والمساجد تتمتع بقيمة توثيقية عالية، وبخاصة إذا كانت هذه الكتب من مؤلفاتهم الشخصية، وهي مربط الفرس وعين القصيد مقارنة بغيرها من نسخ الكتب الوقفية. ومن دراستنا لتأريخ الوقف على الكتاب وذكر شروط الواقفين نستطيع تكوين المجموعات المتفرقة للمكتبات الوقفية، وتفيد الوقفيات أيضًا في التأريخ للمخطوطات المجهولة التاريخ فهي تُقدِّم لنا التاريخ الذي لا يمكن تجاوزه، وتترك للباحث تحديد الفترة الزمنية المنقضية بين كتابة النسخة وتأريخ وقفها.

ما يتعلق بقيود الإفادة

- **قيود الفوائد والحواشي والتعليقات** وتكمن أهمية هذه القيود بأنواعها المختلفة في أنها توضح مدى العناية بتوثيق صحة النص، ومدى تداوله بين القراء، ومدى اهتمام العلماء بجزئيات النص وكلياته. ويمكن أن تؤدي الاقتباسات دورًا مهمًا في معرفة شروح بعض الكتب التي لم تصل إلينا، كما أنها تعين المفهرس والمحقق معا على تحديد تأريخ النسخة إن لم تكن مؤرخة، وبخاصة إذا كانت هذه التعليقات مؤرخة أو مقتبسة من كتاب

نعرف تأريخ تأليفه، أو منسوبة إلى مؤلفين تُعرف تواريخ وفياتهم.

لذلك كله أستطيع أن أقول إن دراسة هذه التقييدات تمكننا من عمل تأريخ للمجموعات الخطية، ومعرفة أرصدة المكتبات العامة أو الخاصة؛ أي تجميع معطيات عن تداول المؤلفات منذ عصر صناعتها، وإعادة بناء سلسلة لمالكي مخطوط ما، أو مجموعة من المخطوطات قدر الطاقة، وتوخّي الأماكن التي جاءت منها المجلدات واستقرت فيها بعد ذلك.

ومن خلال هذه الدراسات الكوديكولوجية نستطيع أن نعيد تركيب حلقات السلسلة التاريخية الطويلة، بما يحقق لنا الربط بين المؤلفين والنساخ من جهة، والمتملكين والجامعين للمخطوطات والمطالعين لها من جهة ثانية، ومصائر المكتبات الإسلامية ومحتوياتها من جهة أخرى، بما ينتج لنا تأريخًا علميًا وثقافيًا، نستشرف من خلالهما معالم الحضارة التي أنتجت هذه المخطوطات بكل أبعادها.

ولأهمية ما ذكرت، ينبغي على المشتغلين بقضايا المخطوطات والدرس التراثي أن يتخلصوا من تلك النظرة الضيقة التي تركز على النصوص المعرفية - التي يحتويها الوعاء - وحدها بهدف تحقيقها، دون النظر إلى القيود المُثْبَتة على تلك الأوعية - المخطوطات - وما تدل عليه، والتي يجب أن تُدرَس ويستفاد منها بكل وجه ممكن، في سبيل إثراء الدراسات التراثية التي تتعلق بتاريخ هذه المخطوطات والمجموعات الخطية وما يدور في فلكها.

مقالات

الحواشي

١. مقدمة كتاب: المخطوط العربي وعلم المخطوطات، أحمد شوقي بنبين، ص (٨).
٢. تهذيب اللغة (٢٤٧/٩)، لسان العرب (٣٦٨/١١)، تاج العروس (٨٣/٩)، مختار الصحاح ص(٤٩١).
٣. وصف المخطوطات وإعداد بطاقاتها، رمضان ششن.
٤. لمعرفة المزيد انظر: حرد المتن في المخطوط العربي، يسري عبد الحميد السعداوي، ص (٣١).
٥. معجم مصطلحات المخطوط العربي، أحمد شوقي بنبين و مصطفى طوبي، ص (١٥٥).
٦. من أجل دراسة حفرية للمخطوط العربي، مصطفى طوبي، ص (٨٢) بتصرف و زيادة.
٧. خوارج النص أنواعها وتقسيمها، حسن أحمد العثمان، ص (٣٥٧ - ٣٦٠) بتصرف، ضمن: تحقيق مخطوطات الحديث وعلومه والتراجم، بحوث الدورة التدريبية الثالثة لمركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.
٨. مدخل إلى علم المخطوط، جاك لومير، ترجمة مصطفى طوبي، ص (٢٧١ - ٢٩٢) باختصار وتصرف.
٩. وذلك في محاضراته العملية لمادة علم المخطوطات بمعهد المخطوطات العربية العام الدراسي ١٤٣٦هـ - ١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م - ٢٠١٦م.
١٠. المرجع في علم المخطوط العربي، آدم جاسك، ص (٣٣٥) بتصرف.
١١. معجم مصطلحات المخطوط العربي، أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، ص (١٤٤ - ١٤٥) بتصرف.
١٢. لمزيد من التفصيل يراجع كتاب: مدخل إلى علم المخطوط للبلجيكي جاك لومير، الفصل الخامس حول الخزم وطرق إنجازه وأنماطه الثلاثة الخاصة بخزم التجليد، وخزم صناعة الملازم، وخزم

التسطير وتركيب الصفحات ص (١٦٥ ــ ١٨٥).

١٣. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (١٣٧).

١٤. الأرقام العربية وما استعمله المُحَدِّثون وغيرهم منها، قاسم علي سعد، ص (١٢، ٣٣).

١٥. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (١٤٧ ـ١٥٣) باختصار وتصرف.

١٦. دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوجرافي، أحمد شوقي بنبين، ص (١٤٧)، ومعجم مصطلحات المخطوط العربي، أحمد شوقي بنبين و مصطفى طوبي، ص (٩٣)، تقاليد المخطوط العربي، معجم المصطلحات، آدم جاسك، ص (٢١٦) بتصرف، وأنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (١٣٧).

١٧. علم الاكتناه العربي الإسلامي، قاسم السامرائي، ص (٢٠٣).

١٨. دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوجرافي، أحمد شوقي بنبين، ص (١٤٧ ـ ١٥٥) بتصرف.

١٩. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (١٤٣ ـ ١٤٦) بتصرف.

٢٠. دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوجرافي، أحمد شوقي بنبين، ص (١٥٣ ـ ١٥٤) بتصرف.

٢١. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (١٤٣).

٢٢. الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، صالح إبراهيم الحسن، ص (٣٧٦).

٢٣. فن الترقيم في العربية أصوله وعلاماته، عبد الفتاح الحموز، ص (٥ ـ ٦) بتصرف.

٢٤. علامات الترقيم في المخطوطات العربية، مصطفى جوهري، ص (٣٢٠) بتصرف.

٢٥. الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، صالح إبراهيم الحسن، ص (٣٧٦ ، ٣٧٩ ـ ٣٨٥) باختصار وتصرف.

٢٦. علامات الترقيم في المخطوطات العربية، مصطفى جوهري، ص (٣٢١).

٢٧. علامات الترقيم في المخطوطات العربية، مصطفى جوهري، ص (٣٢٥) بتصرف.

٢٨. معجم مصطلحات المخطوط العربي، أحمد شوقي بنبين و مصطفى طوبي، ص (٣٤٠ ، ٣٤٤).

٢٩. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (٤٧ ـ ٤٨).

٣٠. المرجع في علم المخطوط العربي، آدم جاسك، ص (٣٤٤ـ٣٥٥).

٣١. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (٥٢ ـ ٥٩) بتصرف.

٣٢. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (٦٠) بتصرف.

٣٣. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (٦٤) بتصرف.

٣٤. تأصيل قواعد تحقيق النصوص عند العلماء العرب المسلمين، محمود مصري، ص (٥٠ ـ ٥٤) باختصار.

٣٥. إقامة النص عند المحدثين المعارضة نموذجا، عزيز الخطيب، ص (٣٤٧) بتصرف.

٣٦. معجم مصطلحات المخطوط العربي، أحمد شوقي بنبين و مصطفى طوبي، ص (١٢٨،٢٨٥) بتصرف.

٣٧. تطور حدود المتن في المخطوطات الإسلامية، رمضان ششن، ص (١٤٣ـ ١٤٤).

٣٨. الكتاب العربي المخطوط، أيمن فؤاد سيد، (٤٠٠/٢).

٣٩. علم الاكتناه العربي الإسلامي، قاسم السامرائي، ص (١٨٣).

٤٠. وصف المخطوطات وإعداد بطاقاتها، رمضان ششن.

٤١. المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، فرنسوا ديروش، ص (٤٦٨ ـ ٤٨١) بتصرف واختصار.

٤٢. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي،ص (١٠٣ ـ ١٠٤) بتصرف.

٤٣. الإجازة في المخطوطات العربية، جان جاست ويتكام، ص (١٦٣).

٤٤. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (١١٧).

٤٥. إجازات السماع في المخطوطات العربية، صلاح الدين المنجد،ص (٢٣٢ـ٢٥١) باختصار.

٤٦. الكتاب العربي المخطوط ، أيمن فؤاد سيد، (٤٧٣/٢ـ ٤٩٤) باختصار، ولمزيد من الفائدة والتفصيل يراجع كتاب : فهارس الشيوخ عند علماء المسلمين دراسة ونشر وحصر، شعبان عبد العزيز خليفة، طبعة المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، ١٤٣١هـ /٢٠١٠م.

٤٧. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (١٣٤).

٤٨. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (٩٧).

٤٩. الكتاب العربي المخطوط ، أيمن فؤاد سيد، (٥٠٥/٢).

٥٠. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص (٩٩ ـ ١٠٠).

٥١. تقييدات النجديين على المخطوطات ، ناديا عبد العزيز اليحيا، ص (٦٣).

٥٢. المرجع في علم المخطوط العربي، آدم جاسك، ص (٣٣٧).

٥٣. المرجع في علم المخطوط العربي، آدم جاسك، ص (٣٤١).

٥٤. الكتاب العربي المخطوط، أيمن فؤاد سيد، (٤٥٣/٢ ـ ٤٧٢) باختصار.

٥٥. أخرجه مسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٥٦. الحديث في المنتخب من حديث الزهري من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

٥٧. الكتاب العربي المخطوط، أيمن فؤاد سيد، (٤٢١/٢ ـ٤٢٣) باختصار.

٥٨. الوقف وبنية المكتبة العربية، يحي محمود ساعاتي، ص (٥١).

٥٩. الكتاب العربي المخطوط، أيمن فؤاد سيد، (٢/ ٤٢٣).

٦٠. تقييدات النجديين على المخطوطات ، ناديا عبد العزيز اليحيا، ص (٦٥ ـ ٦٦) باختصار وتصرف.

٦١. الوقف وبنية المكتبة العربية، يحي محمود ساعاتي، ص (١٣٠ ـ ١٤٣) باختصار.

٦٢. الكتاب العربي المخطوط، أيمن فؤاد سيد، (٤٢٧/٢ ـ ٤٧٢) باختصار وتصرف.

٦٣. معجم مصطلحات المخطوط العربي، أحمد شوقي بنبين و مصطفى طوبي، ص (١٢١).

٦٤. المرجع في علم المخطوط العربي، آدم جاسك، ص (١٨٤ـ١٨٥) بتصرف.

٦٥. المرجع في علم المخطوط العربي، آدم جاسك، (صـ ١٨٦ـ١٨٧).

٦٦. المرجع في علم المخطوط العربي، آدم جاسك، ص (١٨٩).

٦٧. أنماط التوثيق في المخطوط العربي، عابد سليمان المشوخي، ص(٧٦ ـ ٧٧) بتصرف.

٦٨. الكتاب العربي المخطوط، أيمن فؤاد سيد، (٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨).

مقالات

المصـــادر والمراجع

١- **إجازات السماع في المخطوطات القديمة**، صلاح الدين المنجد، القاهرة - مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٥م.

٢- **الأرقام العربية وما استعمله المُحَدِّثون وغيرهم منها**، قاسم علي سعد، بيروت - دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣- **أنماط التوثيق في المخطوط العربي في القرن التاسع الهجري**، عابد سليمان المشوخي، الرياض - مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٤- **تاج العروس من جواهر القاموس**، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(١٢٠٥هـ)، وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت - مطبعة حكومة الكويت، ط١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٥- **تأصيل قواعد تحقيق النصوص عند العلماء العرب المسلمين**، محمود مصري، القاهرة - مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد (٤٩)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٦- **تحقيق مخطوطات الحديث وعلومه والتراجم**، بحوث الدورة التدريبية الثالثة لمركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م.

٧- **تطور حروود المتن في المخطوطات الإسلامية**، رمضان ششن، القاهرة - مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد (٥٣) الجزء الأول، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٨- **تقاليد المخطوط العربي (معجم المصطلحات)**، آدم جاسك، ترجمة مراد تدغوت، القاهرة - معهد المخطوطات العربية، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٩- **تقييدات النجديين على المخطوطات أنماطها ودلالتها التاريخية**، ناديا بنت عبد العزيز البجيا، الرياض - مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٠- **تهذيب اللغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري(٣٧٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١١- حرد المتن في المخطوط العربي، يسري عبد الحميد السعداوي، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم المكتبات - كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٢- **دراســات فـي علـوم المـخطـوطـات والبحث البيليوجرافي**، أحمد شوقي بنبين، مَرَّاكُش - مطبعة الوراقة الوطنية، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٣- **دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر**، تحرير وتنسيق رشيد الخاني، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٤- **علامات الترقيم في المخطوطات العربية**، مصطفى جوهري، القاهرة - مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد(٥٦) - الجزء الثاني، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

١٥- **علم الاكتناه العربي الإسلامي**، قاسم السامرائي، الرياض - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط٢، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٦- **فن الترقيم في العربية أصوله وعلاماته**، عبد الفتاح أحمد الحموز، عمّان - دار عمار، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٧- **الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات** أيمن فؤاد سيد، القاهرة - الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٨- **الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط**، صالح بن إبراهيم الحسن، الرياض - دار الفيصل الثقافية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٩- **لسان العرب**، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(٧١١هـ)، اعتنى بها وصححها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي،

بيروت ـ دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٠ـ **محاضرات تطبيقية في مادة علم المخطوطات،** مراد تدغوت، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية، دبلوم علوم المخطوط، الفصل الدراسي الأول ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، قناة معهد المخطوطات على الشابكة (اليوتيوب).

٢١ـ **مختار الصِّحَاح،** لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(٤٤٢هـ)، بيروت ـ مكتبة لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٢ـ **المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي،** فرانسوا ديروش، ترجمة مصطفى طوبي وعبد الواحد جهداني، وحرّر الترجمة د. أيمن فؤاد سيد، لندن ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط٢، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٣ـ **مدخل إلى علم المخطوط،** جاك لومير، ترجمة مصطفى طوبي، الرباط ـ الخزانة الحسنية الملكية، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٤ـ **المرجع في علم المخطوط العربي،** آدم جاسك، ترجمة مراد تدغوت، القاهرة ـ معهد المخطوطات العربية، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٢٥ـ **معجم مصطلحات المخطوط العربي،** أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، الرباط ـ الخزانة الحسنية الملكية، ط٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٦ـ **من أجل دراسة حفرية للمخطوط العربي،** مصطفى طوبي، القاهرة ـ مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠١٠م.

٢٧ـ **وصف المخطوطات وإعداد بطاقاتها،** رمضان ششن، مجلة التاريخ العربي، عدد (٢٢)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٨ـ **الوقف وبنية المكتبة العربية،** يحيى محمود بن جنيد ساعاتي، الرياض ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.



رسالة الأراضي الخراجية
تأليف
محمد بن أبي بكر المرعشي
المُكَنى بـ ساجقلي زادة

ت١١٤٥هـ

رسالة الأراضي الخراجية تأليف محمد بن أبي بكر المرعشي المكني بـ ساجقلي زادة - ت١١٤٥هـ

حققها وعلق عليها

الأستاذ الدكتور

مقتدر حمدان عبد المجيد الكبيسي

أستاذ الاقتصاد الإسلامي

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تعاني مكتبتنا العربية من نقص ملحوظ في المصادر الأساسية، سواء أكانت كتب أم رسائل تتناول إعمار الأراضي الزراعية واستثمارها وزيادة الإنتاجية وعندئذ سيحصلون على ريع مناسب لهذا الجهد، ومما يوجب عليهم تبعات مالية للدولة والمجتمع. وإن توجههم هذا من شأنه إن يوجد فرص عمل للأيادي المعطلة والمتشوقة للعمل بميادينه الواسعة والرحبة.

وتم تقسم هذه الدراسة إلى قسمين رئيسين هما:

القسم الأول: تناولت فيه حياة المؤلف ومضمون الرسالة التي ألفها والمنهج المعتمد في التحقيق.

والقسم الثاني: خصصته للنص المحقق.

تناولت في هذا المبحث الأول الحديث عن حياة وثقافة ومصادر المؤلف، فالمرعشي قام بأكثر من رحلة علمية، واجتهد في تحصيل العلم والمعرفة، وكان لهذا الجهد ثمرة تمثلت بالمؤلفات الكثيرة التي صنفها في عدد من حقول المعرفة.

وكان للمرعشي نشاط آخر هو التدريس في مدارس بلدته وغيرها؛ حيث مارس التدريس بالمدرسة الشعبانية في مدينة حلب، ويبدو أن هذه المهنة أحبها المرعشي حُبًا شديدًا فأجاد بها وأبدع، ومن مظاهر حُبه لها نقده لأساليب التعليم السائدة في عصره، كما نوه بذلك في كتابه ترتيب العلوم.

أما المبحث الثاني: فخصص لدراسة الرسالة والتعرف على موضوعها، ومصادرها التي اعتمد عليها المرعشي.

أما المبحث الثالث: فكان للحديث عن النسخة المعتمدة والمنهج الذي اتبعته في التحقيق.

المبحث الأول: المؤلف حياته وثقافته

لم تسعفنا المصادر المتوفرة بين أيدينا على ترجمة وافية للمؤلف ساجلقي زادة، إذ إن تلك المصادر لم تمدنا بمعلومات وافية كي نتمكن من مضلها إعطاء صورة واضحة ومؤطر لهذه الشخصية العلمية الفذة والرائدة. وكل ما وجدته كان إشارات وشذرات في فهارس المخطوطات، وما كتبه هو عن نفسه بنزر شديد متأتٍ من تواضعه وزهده وعفته.

اسمه:

هو محمد بن أبي بكر المرعشي[1]، المكنى بـ ساجقلي زادة[2].

فالمَرْعَشي نسبة إلى مدينة مرعش: بفتح الميم وسكون الراء وفتح العين المهملة وشين معجمة، وهي بلدة من بلاد الشام خرج منها جماعة من أهل العلم[3]، لها سورين وخندق، وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني، نسبة إلى الخليفة الأموي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الذي أمر ببنائه[4]. وتم تجديد المدينة بالكامل في عهد هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م)، وكان حولها زروع وأشجار كثيرة [5]، وهي تبعد عن مدينة حلب (١٤٠ كم) إلى الشمال الغربي، ضُمت إلى سلطة الدولة العثمانية سنة (٩٢١هـ/١٥١٥م) خلال حكم السلطان سليم [6]. وقد انتسب إلى هذه المدينة عدد كبير من العلماء والفقهاء والأدباء لا مجال لذكرهم[7]. قال البكري عنها: " الحدثُ ومرْعشُ مدينتان صغيرتان افتتحهما الروم من قبل يومنا هذا، فأعادهما سيف الدولة علي بن عبد الله " [8].

أما كنية الشيخ محمد بن أبي بكر المرعشي؛ كما هو أطلقها على نفسه فهي (ساجقلي زادة)، وهي لفظة تركية من مقطعين، والراجح أنها اطلقت عليه بعد رحلته الأولى إلى إستانبول بعدما برع في طلب العلم وبانت نجابته. فالمقطع الأول (ساجقلي) تعني (المظلة أي العالم العظيم الذي يستظل بعلمه طلبته)، والثاني (زادة): كذلك لفظة تركية معناها الأصيل[9]. وهذا لقب لكثير من العلماء.

حياته ونشأته:

لم تذكر مصادر التراجم والسير تاريخًا محددًا لولادة الشيخ محمد بن أبي بكر المرعشي، إلا أنه يمكن إن نرجح أنها كانت في أواخر الربع الثالث، أو أوائل الربع الرابع من القرن الحادي عشر الهجري، إذ أشار ساجقلي زادة إلى أنه ولي التدريس في المدرسة الشعبانية في حلب في سنة (١١٠٠هـ/١٦٨٨م) [10].من هذا إن عمره يقارب خمس وعشرين سنة؛ لأن هذا العمر هو المناسب للقيام بهذه المهمة.

---

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١١٤٥. البغدادي، هدية العارفين، ج ٦، ص ٣٢٢. بورسه لي، عثماني، ص ٣٤. بروكلمان، تاريخ الأدب، ج ٨، ص ٣٧٦. الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٦٠. كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٥٥٥.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٦٠. كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٥٥٥. هذه العبارة كان يكتبها في كل كتاب أو رسالة بعد اسمه مباشرةً.

(٣) السيوطي، لب اللباب، ص ٧٧.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٧.

(٥) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٩٠.

(٦) وجدي، دائرة معارف، ج ٨، ص ٧٥٨.

(٧) ينظر: السمعاني، الأنساب، ج ١١، ص ٢٤٥ وما بعدها.

(٨) معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢١٥.

(٩) الدافوفي، المعجم العربي التركي، ج ٤، ص ٣٧.

(١٠) ساجقلي زادة، جهد المقل، ص ١٤.

ولد ساجقلي زادة في مدينة مرعش التي ينتسب إليها، وفيها نشأ وتعلم العلوم في المراحل الأولى من حياته. والراجح إن ولادته كانت في أواخر الربع الثالث أو أول الربع الرابع من القرن الحادي عشر الهجري، وللأسف لا يوجد ما يعطينا تاريخ ولادته على وجه الدقة، فالمصادر أجمعت على عدم ذكر سنة ولادته، ولكن يمكن إن نخمن سنة ولادته بناءً على ما كتبه هو في حاشيته على حاشية الخيالي (١) فقال فيها: (لما وليت التدريس في الشعبانية بحلب المحروسة في سنة قريب من تمام ألف ومئة بعد الهجرة النبوية) (٢). ويمكن إن نستنتج إن عمره عندما ولي التدريس يتراوح بين خمس وعشرين إلى ثلاثين سنة.

والأمر نفسه ينطبق على أسرته فلا معلومات عنها، ولا عن مكانتها الاجتماعية مما يشير إلى إنها أسرة مغمورة، غير إننا نستطيع إن نقول إنه كان متزوج وله أبناء، وهذا واضح من إحدى رسائله التي عنونها بـ (الرسالة الولدية). وهذا ما أكده أحد الباحثين(٣).

عاش ساجقلي زادة في بيئة علمية، فبلدته كما أشرنا كان فيها عدد من المدارس ودور العلم (٤)، ومن المرجح أنه عاش في عهد السلطان مصطفى الثاني (٥) الذي توفي سنة ١١٤٩هـ وجزء من عهد السلطان محمود الأول (٦) الذي توفي سنة ١١٦٨هـ(٧).

ويبدو أن مدينة مرعش كانت عامرة في حياة ساجقلي زادة، والحركة الثقافية فيها مزدهرة، وتميزت

---

(١) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(٢) ساجقلي زادة، جهد المقل، ص ١٤.

(٣) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ٣٥١.

(٤) مدرسة جقور أوبة، ومدرسة دروب فنو، مدرسة سيد علي، مدرسة شرفيان، مدرسة عجمية، مدرسة قاضي محمود، مدرسة قبابا شيبه، مدرسة قرة خطيب. ينظر: محسن، فهرس مخطوطات محرم جلبي، ص ٣٠٧ - ٣١٥.

(٥) السلطان الغازي مصطفى خان الثاني ابن السلطان محمد الرابع، ولد في الثامن من شهر ذي القعدة سنة (١٠٧٤هـ)، كان متصفًا بالشجاعة وثبات الجأش ولذلك أعلن بعد ثلاثة أيام من توليه السلطنة رغبته في قيادة الجيوش بنفسه فسار إلى بولونيا وانتصر عليهم، ومن جهة أخرى حارب الروس واضطرهم لرفع الحصار عن مدينة ازاق ببلاد القرم. توفي في الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة (١١١٥هـ) وعمره أربعون سنة. ينظر: فريد، تاريخ الدولة العلية، ٣٠٨- ٣١٢.

(٦) السلطان الغازي محمود خان الأول بن مصطفى الثاني بن محمد الرابع، ولد في الرابع من شهر محرم سنة (١١٠٨هـ)، كان عادلاً حليمًا، مساويًا بين الرعية، أحد سلاطين الدولة العثمانية. تولى الحكم بعد عمه أحمد الثالث سنة (١١٤٣هـ)، وكان عمره آنذاك خمس وثلاثين سنة. وفي بداية حكمه لم يكن له إلا الاسم فقط، لكن استطاع بحنكة ودهاء أن يمارس سلطته تدرجيًا ويسترد بها من الوزير والانكشارية، وبعد أن استتب الأمن استأنفت الدولة الحرب مع الأعداء وتغلبت الجيوش العثمانية في عدة وقائع. وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر صفر سنة (١١٦٨هـ) توفي السلطان محمود الأول، وقد بلغ من العمر ستين سنة. وكانت مدة حكمه ٢٥ سنة. ينظر: فريد تاريخ الدولة العلية، ٣٢٠ _ ٣٢٧.

(٧) فريد، تاريخ الدولة العلية، ص ١٥١.

بعدد مدارسها وجوامعها[١]. ففي هذه المدينة العامرة ولد ونشأ محمد بن أبي بكر المرعشي المُكنى بـ ساجقلي زادة، فوجد في مدينته ما يشبع رغبته العلمية، فكانت حياته موزعة بين التدريس والتأليف. فبدأ ساجقلي زادة تعليمه في مدينته مرعش، إذ توافرت فيها بيئة علمية تُعنى بالعلم والعلماء من خلال كثرة المدارس، التي درس فيها على يد علمائها[٢].

لكن طموحه جعله يتوق إلى الرحلة في طلب العلم فقام برحلتين، الأولى كانت إلى إستانبول، إذ درس هناك على يد أستاذه الشيخ محمد بن محمود المعروف بدباغ زادة مفتي الإسلام، وشيخ الحنفية في وقته، ومؤلف تفسير (التبيان في تفسير القرآن)[٣]. والشيخ حمزة أفندي الدارندي، وداوم على دروسهما، وعلى عدد آخر من العلماء في الفقه والأصول وغيرهما من العلوم، حتى أكمل تحصيله العلمي وعاد إلى مدينته[٤].

بعد هذه الرحلة الطويلة عاد ساجقلي زادة إلى مدينته مرعش واستقر بها برهة وجيزة، إذ إن نفسه كانت تواقة إلى المزيد من العلم والمعرفة ولقاء مشايخ عصره والأخذ عنهم، فعقد العزم على القيام برحلة ثانية لكن هذه المرة كانت إلى دمشق، فلقي فيها الشيخ عبد الغني النابلسي ودرس عليه علوم متعددة مثل التفسير والحديث والتصوف[٥]. ثم أخذ الإجازة في التصوف وخلافة شيخه وأستاذه الكبير، الذي رأى فيه علامات النبوغ والجد والاجتهاد[٦]. وبعد إن أتم دراسته في دمشق على يد أستاذه الشيخ عبد الغني النابلسي وأخذ الإجازة عنه، عاد إلى مرعش واشتغل بالتدريس لطلبته الذين التفوا حوله وكانوا من بلدان عدة فضلاً عن طلبة مرعش نفسها، فكان يخصص جزءًا من وقته لتدريس الطلبة، وجزءًا آخر للتأليف، وهكذا استمر حتى وفاته رحمه الله[٧].

شيوخه:

درس شيخنا محمد بن أبي بكر المرعشي على يد شيوخ سنذكرهم بشكل موجز مع الإشارة إلى مصادر ترجمتهم تجنبًا للإطالة. وسبق إن قلنا إن ساجقلي زادة بدأ تعليمه في بلدته مرعش، وبعد ذلك قام برحلتين، وخلال هاتين الرحلتين التقى بعدد من العلماء، تتلمذ عليهم، وأخذ عنهم[٨]، وهم:

---

(١) فريد، تاريخ الدولة العلية، ص ١٤٧.

(٢) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(٣) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٨٩.

(٤) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. للأسف جميع من حقق مخطوطات لساجقلي زادة أشار إلى هذا الكتاب الذي لم يعرفوا كيفية كتابة اسم مؤلفه بشكله الصحيح، وأشاروا للكتاب بان فيه جزء أول وجزء ثاني، وهو جزء واحد فقط، وفضلاً عن ذلك ذكروا ترجمة ساجقلي زادة في: ج ١، ص ٣٢٥ و ٣٢٧ و ٤٣٤. وهم معتمدون على ما ذكره جرجي زيدان من دون تدقيق، وهذا خطأ فادح؛ لأنه ترجمته في صفحة ٣٤ من الكتاب.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٧) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٨) المرجع نفسه، ص ٣٤.

١. حسن المرعشي: من علماء مدينته أخذ عنه محمد بن أبي بكر المرعشي التجويد والقراءات، وأثنى عليه في كتابه جهد المقل [١]. مما يدل على وفاء هذا التلميذ لشيخه الذي لم ينكر فضله عليه.

٢. حمزة أفندي الدارندي: له كتاب في تفسير القرآن الكريم اسمه التبيان في تفسير القرآن[٢].

٣. عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي: دمشقي من فقهاء الحنفية في عصره، له مصنفات كثيرة توفي سنة ١١٤٣هـ[٣]. قصده ساجقلي زادة في رحلته الثانية[٤].

٤. دباغ زادة: محمد بن محمود الرومي، مفتي الإسلام، فقيه مفسر، تولى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية مرتين وعُزل، له مصنفات باللغة العربية والتركية توفي سنة ١١١٤هـ[٥]. التقاه شيخنا ساجقلي زادة في الرحلة الأولى عند قصده مدينة إستانبول ودرس على يديه الفقه الحنفي [٦].

تلاميذه:

وبعد أن تبحر الشيخ محمد بن أبي بكر المرعشي بالعلم والمعرفة وذاع صيته وعلت منزلته، ومن خلال مدة الدراسة الطويلة والمضنية أصبح ساجقلي زادة عالمًا متمكنًا يُلقي دروسًا، ويصنف الكتب في عدد من العلوم والفنون، حتى عُد من الفقهاء والمفسرين، ومشاركًا في علوم كثيرة، وهذا واضح جلي من خلال مصنفاته والثناء عليه من العلماء الذين عاصروه. إذ أصبح ساجقلي زادة، بعد عودته إلى بلدته عالمًا كبيرًا في علوم متعددة، فبدأ يلقي دروسه على الطلبة الذين توافدوا إليه من مدن متعددة وبعيدة، فكان يلقي دروسه في الفقه، والحديث، والتفسير، وعلم الكلام، والمنطق، وغيرها[٧]. وانطلق هذا النشاط كله من جامع مدينته مرعش إذ كان إمامًا له [٨]. وتولى تدريس الطلبة فيه، وكانت له حلقة يعقدها للتدريس. وشأن تلاميذه شأن شيوخه، فقد ذكرت المصادر عددًا قليلاً منهم، ويبدو لي أن من ترجم لساجقلي زادة، ذكر من تلاميذه من نال شهرة منهم وأصبح له شأن، ومن هؤلاء التلاميذ:

١. حسين بن حيدر المرعشي: من مدينة مرعش، فقيه بارز، له مصنفات عدة منها: جامع الكنوز، ونفائس التقرير، وهو شرح لكتاب شيخه ساجقلي زادة (تقرير القوانين) مما يشير إلى وفاء هذا التلميذ لشيخه، توفي سنة ١١٧٦هـ[٩].

٢. عبد الرحمن بن علي خاكي: من مدينة عنتاب، له مصنفات منها: سوغ المآل في شرح نظم الآل،

---

(١) ساجقلي زادة، جهد المقل، ص ١٢٢.

(٢) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. فهرس الخزانة التيمورية، ج ٤، ص ٤٩.

(٣) المرادي، سلك الدرر، ج ٣، ص ٣٠. الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ٣٢.

(٤) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(٥) البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٦) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(٧) المرجع نفسه، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٨) البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢. نويهض، معجم المفسرين، ج ٢، ص ٥٠٥.

(٩) المرجع نفسه، ج ١، ص ٣٢٨٧.

توفي سنة ١١٦٨هـ [١].

٣. محمد بن عمر الدارندي: مفسر وأديب، من مصنفاته شرح الآداب الحسينية، وحاشية على تفسير البيضاوي، توفي سنة ١١٥٢ هـ [٢].

الثناء عليه:

أثنى على ساجقلي زادة كل من ترجم له، مما يدل على المكانة العلمية التي وصل إليها بفضل جده واجتهاده في طلب العلم وتحصيله. قال عنه البغدادي: (المدرس والإمام في جامع بلدهـ) [٣]. وقال الزركلي: (فقيه حنفي من العلماء مشارك في معارف عصره) [٤]. أما كحالة فقال فيه: (عالم مشارك في أنواع من العلوم) [٥]. ووصفه نويهض بالقول: (فقيه، حنفي، صوفي، مفسر، من أهل مرعش كان مدرسًا وإمامًا في جامعها) [٦]. وقال المرصفي: (من وقف على كتاب جهد المقل عرف مقدار الرجل) [٧].

ثقافته ونتاجه العلمي:

برع ساجقلي زادة كما قلنا في علوم وفنون كثيرة، سواء أكانت عقلية أم نقلية، مثل: الفقه، والتفسير، وعلم الكلام، وعلم القراءات، وغيرها. وفي كلٍ منها صنف كتابًا أو اكثر.

وكان ساجقلي زادة نشطًا في إنتاجه العلمي، إذ كان يقضي جُل يومه في التدريس والتصنيف، فوصف أنه: (كان يقسم وقته إلى ثلاثة أقسام، الأول: يحضر حلقات الدراسة، والثاني: يُدرس الطلبة بالعلوم المختلفة، والثالث: يصنف الكتب، وهذا حاله حتى آخر حياته) على حد قول بروسه لي [٨].

مؤلفاته:

اتسمت حياة ساجقلي زادة بكونها حافلة بالتصنيف حتى أواخر حياته، وما تركه من مصنفات تشهد على نشاطه وهمته العالية في هذا الميدان، إذ صنف كثيرًا من الكتب والرسائل، تنوعت ما بين الفقه والقراءات والمناظرة وعلم الكلام والعقائد، فكانت بين كتاب مستقل، أو حاشية. وفيما يأتي نذكر منها:

١. حاشية على تفسير الكشاف [٩].

---

(١) البغدادي، هدية العارفين، ج ١، ص ٥٥٣.

(٢) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. كحالة، معجم المؤلفين، ج ١١، ص ٨٧.

(٣) هدية العارفين، ج ٦، ص ٣٢٢.

(٤) الأعلام، ج ٦، ص ٦٠.

(٥) معجم المؤلفين، ج ١٢، ص ١٤.

(٦) معجم المفسرين، ج ٢، ص ٥٠٥.

(٧) هداية القاري، ج ٢، ص ٧٧٤.

(٨) بورسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(٩) المرجع نفسه، ص ٣٤.

٢. كشف الصواب على رسالة البركوي في الآداب [١].

٣. عين الحياة في بيان المناسبات [٢].

٤. الآيات المتشابهات [٣].

٥. نهر النجاة في تفصيل عين الحياة [٤].

٦. شرح السرور والفرح في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم [٥].

٧. غاية البرهان في بيان أعظم آية القرآن [٦].

٨. عصمة الأذهان في علم الميزان [٧].

٩. سلسبيل المعاني [٨].

١٠. سجة القدير في مدح مُلك القدير [٩].

١١. جهد المقل [١٠].

١٢. شراب الكوثر [١١].

١٣. حاشية على شرح الآداب لطاش كبرى زادة [١٢].

١٤. تقرير القوانين المتداولة في علم المناظرة [١٣].

١٥. الرسالة الولدية في آداب البحث والمناظرة [١٤].

١٦. تجديد الإيمان [١٥].

---

(١) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(٢) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٣) بورسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٤) بورسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٥) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٦) بورسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٧) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٨) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٩) بورسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(١٠) بورسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(١١) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(١٢) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(١٣) بروكلمان، ذيل تاريخ الأدب، ج ٢، ص ٤٩٨.

(١٤) بورسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(١٥) المرجع نفسه، ص ٣٤.

١٧. الفتاوى [١].

١٨. عندليب الآداب [٢].

١٩. جامع الكنوز [٣].

٢٠. شرح الرسالة الولدية [٤].

٢١. تهذيب القراءة [٥].

٢٢. نشر الطوالع [٦].

٢٣. زبدة المناظرة [٧].

٢٤. ترتيب العلوم [٨].

٢٥. أبيات وحكايات [٩].

٢٦. بغية المرتاد لتصحيح الأضداد [١٠].

٢٧. تحرير التقرير [١١].

٢٨. تهذيب القراءات العشر [١٢].

٢٩. ذكر ما قبل الدرس وما بعده [١٣].

٣٠. سلامة القلوب في إثبات المطلوب [١٤].

ومن يطلع على هذه المصنفات يدرك تمامًا أن ساجقلي زادة كان متبحرًا في علوم عدة وصنف في

---

(١) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٣) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٦، ص ٣٢٢.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٧) المرجع نفسه، ص ٣٤.

(٨) بورسه لي، عثمانلي، ص ٣٢٥. بروكلمان، ذيل تاريخ الأدب، ج ٢، ص ٤٩٨. الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٦٠.

(٩) محسن، فهرس مخطوطات محرم جلبي، ص ٣١١.

(١٠) بروكلمان، ذيل تاريخ الأدب، ج ٢، ص ٤٩٨.

(١١) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢.

(١٢) فهرس التيمورية، ج ١، ص ٢٧٦. بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

(١٣) بروكلمان، ذيل تاريخ الأدب، ج ٢، ص ٤٩٨.

(١٤) بروسه لي، عثمانلي، ص ٣٤.

أكثرها. ولا سيما في البحث والمناظرة، والتصوف، وعلم الكلام، والتفسير، والفتاوى [١].

وفاته:

يوجد اختلاف بين من ترجم للشيخ ساجقلي زادة حول تحديد تاريخ وفاته. ففي هذا الشأن ذكر البغدادي أنه توفي سنة ١١٥٠هـ[٢]، في حين حدد جرجي زيدان الوفاة سنة ١١٥٤هـ[٣]. ويبدو أن من ذكر هذه التواريخ توهم، إذ أكد (بروسه لي) إن تاريخ الوفاة الدقيق سنة ١١٤٥هـ، ودفن في مقبرة مدينة مرعش في جهة القبلة منها [٤]. وفضلاً عما ذكرناه من حياة حافلة قضاها في الدرس والبحث والتدريس، فإنه كان يتمتع بخلق كريم، وحب للعلم وطلابه.

الرسالة وموضوعها:

ورد ذكر رسالة ساجقلي زادة في فهرس مخطوطات مكتبة راغب باشا باسم (الأراضي الخراجية) ولكن يبدو أن هذا الاسم غير دقيق، لأسباب عدة، منها:

أولاً: إن المؤلف لم يذكر هذا الاسم.

ثانيًا: إن موضوع الرسالة يختلف عن العنوان الذي ورد ذكره في هذا الفهرس.

ثالثًا: وهو المهم إن الرسالة تتحدث عن مصرف زكاة الزروع والثمار، في الأراضي الزراعية[٥].

وتتناول الرسالة موضوعًا رئيسًا هو جواز بيع زكاة إنتاج الأراضي الخراجية قبل قبضها أم لا، وهذه المسألة شغلت حيزًا كبيرًا من البحث في المصادر المختلفة وأحدثت إشكالات عدة بين المعنيين قبل عصر المؤلف وبعده؛ وذلك لأهميتها بالنسبة للدولة وما تمثله من مورد مالي مهم، وأداء فريضة واجبة.

في حين واقعيًا الرسالة تعني ما تنتجه الأراضي الزراعية التي يخضع إنتاجها لأداء فريضة الزكاة. وهذه الأراضي عادة تكون مملوكة ملك رقبة لشخص مسلم، الذي يكون ملزمًا شرعًا لأداء فريضة زكاة الزروع والثمار إذا بلغت النصاب، والنصاب حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة أوسق، إذ قال " ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة تؤخذ من البر والشعير والتمر والزبيب " [٦].

وبما أن الأراضي الخراجية تشكل أحد أهم الموارد المالية للدولة، ومن هنا تكتسب (رسالة الأراضي الخراجية) أهميتها. فهو يناقش مدى صحة بيع مصرف زكاة الزروع والثمار قبل قبضها. فرسالته تخلو من مقدمة إذ هو بدأ يعالج مشكلة موضوع الرسالة مباشرة، من دون ديباجة.

---

(١) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ٣٤٤.

(٢) هدية العارفين، ج ٢، ص ١١٥.

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ٣٥١.

(٤) البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٣٢٢. كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٥٥٠.

(٥) ساجقلي زادة، الأراضي الخراجية، ورقة ١.

(٦) أبو يوسف، الخراج، ص ٥٣. ابن ادم، الخراج، ص ١٣٥.

فقد أبدى رأيه في هذا الأمر وأفتى فيه مستعينًا بأمهات كتب الفقه الحنفي التي تناولت هذا الأمر وعالجته، فمن خلالها عزز صواب رأيه الذي توصل إليه عن قناعة واطمئنان.

وأن (رسالة الأراضي الخراجية) هذه لساجقلي زادة تجيب عن تساؤلات شرعية فيما يجوز بيع ثمار الصدقة قبل قبضها ؟. ومن يحق له البيع ؟. ومن لا يملك هذا الحق ؟. وهنا تكمن أهمية هذه الرسالة على الرغم من قصرها.

مصادر الشيخ ساجقلي زادة:

ذكر ساجقلي زادة مصادره التي اعتمد عليها في رسالته (الأراضي الخراجية)، وهذه المصادر هي الأساسية للرسالة، ولا يعني إنها هي فقط التي استقى منها مادته، وإنما من المحتمل هناك مصادر أخرى لم يصرح بها كقوله (في بعض كتب الفقه) [(١)].

وهو عندما نقل من هذه المصادر لم ينقل نصًا ويبقَ ملتزمًا به، وإنما يُعيد صياغة العبارة بأسلوبه الخاص. وقد رتبتُ هذه المصادر على حسب ورودها في الرسالة. وهي في الصورة الآتية:

١. الفتاوى التاتارخانية: تأليف الشيخ الإمام فريد الدين عالم بن العلاء الإندربتي الدهلوي الهندي. يُعد من أجل العلماء الكبار في زمنه، له شغف بالفقه والفتاوى والأصول، كلفه الأمير تاتارخان بجمع فتاوى المذهب الحنفي في كتاب واحد، فرضي الإمام الإندربتي، ووفر له الأمير كل كتب الفقه الحنفي المتوفرة في ذلك العصر. ومن يطالع الفتاوى التاتارخانية يعلم إن المؤلف لم يكتف بالنقل من كتاب أو كتابين، بل كانت عنده ذخيرة كبيرة من الكتب، توفي سنة ٧٨٦ هـ[(٢)].

٢. ذخيرة الفتاوى وتُعرف بالذخيرة البرهانية: تأليف الإمام برهان الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز ابن عمر بن مازه، صاحب المحيط البرهاني، وهو اختصار لكتابه المشهور المحيط البرهاني وكلاهما مقبولأن عند العلماء، قال في مقدمة الذخيرة: قد جمعت أنا في حداثة سني وعنفوان عمري في إفتاء ما رفع إلي من مسائل الواقعات، وضممت إليها أجناسها من الحادثات، وجمعت أيضًا جمعًا آخر استفتي مني مدة مقامي بسمرقند، ذكرت فيها جواب ظاهر الرواية وأضاف إليها من واقعات النوادر وما فيها من أقوال المشايخ، وكان يقع في قلبي أن أجمع بين هذه الأصول الثلاثة، وأمهد لها أساسًا فشرعت في هذا الجمع، وأوضحت أكثر المسائل بالدلائل وسميت الجميع بالذخيرة، توفي سنة ٦١٦ هـ [(٣)].

٣. الفقه النافع: تأليف الإمام أبو القاسم محمد بن يوسف بن محمد بن علي بن محمد الحسيني السمرقندي ناصر الدين المعروف بأبي القطن، أحد كبار فقهاء الحنفية في بلاد ما وراء النهر، وصفته المصادر بالإمام العظيم القدر، قوي العلم، أوحد زمانه، مجتهد. من مصنفاته: خلاصة المفتي، والفقه النافع،

---

(١) ساجقلي زادة، الأراضي الخراجية، ورقة ٢.

(٢) الحسني، نزهة الخواطر، ج ٢، ص ٦٧.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٦٢١. البغدادي، هدية العارفين، ج ٢، ص ٤٠٤. اللكنوي، الفوائد البهية، ص ٢٠٦.

والملتقط في الفتاوى. توفي سنة ٥٥٦هـ. يعد كتاب الفقه النافع متن موسع في الفقه الحنفي يستدل مؤلفه في أحكامه بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، ويهتم كثيرًا بالدليل ويقارن في غالبية المسائل بين رأي الإمام أبي حنيفة وتلاميذه أبي يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهما، ويتوسع في المقارنة بين رأي الحنفية ورأي الشافعية، من دون إغفال رأي المالكية. وهو من المتون المفيدة في الفقه الحنفي فاعتنى به علماء الحنفية بالشرح والإيضاح والتعليق، واثنى عليه غير واحد من فقهاء الحنفية[1].

٤. الأشباه والنظائر: تأليف الإمام العلامة زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبي بكر المصري المعروف بابن نجيم . الفقيه الحنفي من كبار الفقهاء في عصره. كان فقيهًا حنفيًا كبيرًا أصوليًا مشاركًا في علوم أخرى. دأب وحصل ودرس وأفتى. صنف كتبًا عدة منها: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، والأشباه والنظائر، وفتح الغفار في شرح المنار، والرسائل الزينية في فقه الحنفية، وله رسائل كثيرة في فنون مختلفة وتعاليق على كتب الفقه الحنفي. توفي في رجب سنة ٩٧٠هـ. يُعد كتاب الأشباه والنظائر من أهم كتب القواعد الفقهية على المذهب الحنفي إذ جمع فيه أربعمائة وأربعين قاعدة وضابطًا مع ذكر مصادرها من كتب المذهب الحنفي، وكان يصرح في مواضع الخلاف بين أئمة المذهب الحنفي ويذكر الدليل مع تغليب جانب التعليل على الاستدلال. والكتاب مقسم إلى سبعة فنون: الأول في القواعد، وفيه: الكلام على القواعد الفقهية التي تجمع تحتها الفروع الكثيرة، والقواعد الكلية التي يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية، والثاني في الفوائد، والثالث في الجمع والفرق من الأشباه والنظائر، والرابع في الألغاز الفقهية، والخامس في الأشباه والنظائر، والسادس في الحيل، والسابع في الحكايات [2].

٥. لسان الحكام في معرفة الأحكام: تأليف الإمام أحمد بن أبي اليمن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن محمود غازي لسان الدين المعروف بابن الشحنة الثقفي الحنفي أبو الوليد. ولد سنة (٨٤٤هـ) في مدينة حلب. كان عظيم الأخلاق، صادقًا، هادئًا، متعقلاً، رزينًا، يتحرى الحلال والحرام. ولي القضاء غير مرة. ليس له سوى كتاب (لسان الحكام في معرفة الأحكام)، وقد ألفه في قضاء حلب وقال عن سبب تأليفه: أنه جعله مُعينًا لكل من يتولى القضاء إذ جمع فيه جميع ما ورد في القضاء وأحكامه. اعتمد ابن الشحنة على أشهر كتب الفقه الحنفي، فكان يكثر من النقل من كتب الفقه الحنفي، وكان يكتب بلسان القاضي، كما ركز على المسائل التي يكثر وقوعها بين الناس، ورتبه على ثلاثين فصلاً، كلها في المعاملات والأقضية. يُعد كتاب لسان الحكام من غُرُر العلم القضائي، فهو يصور لنا الأبعاد النظرية للدعوى وطرق الإثبات والحكم في ظل النظام القضائي في الإسلام، فكلامه يعكس مدى فهم المؤلف لمهنة القاضي ويدل كذلك على ممارسته القضاء بحنكة ودراية. واهتم علماء الحنفية بالكتاب فذكروه في كتبهم ونقلوا عنه كثيرًا، وأراد إن يجعله منظومًا فوصل

(١) اللكنوي، الفوائد البهية، ص ٢١٩.

(٢) الغزي، الطبقات السنية، ج ٣، ص ٧٥. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٨، ص ٣٥٨. المراغي، الفتح المبين، ج ٣، ص ٧٨.

إلى الفصل الحادي والعشرين، لكن المنية وافته، توفي في ليلة الخميس آخر صفر سنة ٨٨٢هـ بعد إصابته بمرض الطاعون، وهو لا يزال شابًا [١].

٦. الدر المنتقى شرح الملتقى: تأليف الإمام محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد علاء الدين الحصني المعروف بالحَصْكَفي، ولد في دمشق سنة (١٠٢٥هـ)، فقيه، وأصولي، ومحدث، ومفسر، ونحوي، ومفتي الحنفية في دمشق. وجاءت تسمية الحصكفي نسبة إلى حصن كيفا في ديار بكر. له مصنفات عدة منها: الدر المختار في شرح تنوير الأبصار، إفاضة الأنوار على أصول المنار، الدر المنتقى في شرح الملتقى، كتاب ملتقى الأبحر لداماد أفندي. توفي في دمشق سنة ١٠٨٨هـ[٢].

٧. شرح مجمع البحرين ويسمى المجمع الملكي: تأليف الإمام عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين التيرهوي الرومي الفقيه الحنفي المعروف بابن المَلَك، ويقال أيضًا ابن فرشتا التي تعني الملك بالعثمانية، كان يسكن ويدرس في بلدة تيرة [٣] توفي سنة ٨٠١هـ. من تصانيفه: بدر الواعظين وذخر العابدين. وشرح مجمع البحرين لابن الساعاتي في فروع الحنفية ويسمى المجمع الملكي، وهذه التسمية تجمع بين اسم الكتاب (مجمع) والاسم الذي اشتهر به الشارح (ابن مَلَك). ومبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار. وشرح كتاب المنار في الأصول، وهو شرح معتبر متداول[٤].

٨. المحيط السرخسي: تأليف الإمام العلامة رضي الدين برهان الإسلام محمد بن محمد بن محمد رضي الدين السرخسي، من أبرز مصنفاته المحيط السرخسي، ويعرف بالمحيط الرضوي والكتاب لا زال مخطوطًا لم يطبع بعد، لم يتمكن ساجقلي زادة من إتمام رسالته من غير الرجوع إلى هذا الكتاب المهم. توفي سنة ٥٤٤هـ[٥] .

٩. العناية في شرح الهداية: تأليف الإمام العلامة أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود بن أحمد أبو عبد الله الرومي البابرتي الحنفي المحقق المدقق المتبحر الفقيه الأصولي المحدث المتكلم، محدث وعلامة بفقه الحنفية، عارف بالأدب. نسبته إلى (بابرت) التابعة لأرضروم بتركيا. ولد سنة (٧١٤هـ) حصل مبادئ العلوم في بلاده، وتفقه على مشايخ عصره، ثم رحل إلى حلب وأنزله القاضي ابن العديم في المدرسة السادحية فأقام بها مدة واخذ عن علمائها، وفي سنة ٧٤٠هـ رحل إلى القاهرة وفوض إليه الأمير سيف الدين شيخون أمور الخانقاه وقرره شيخًا بها. وعرض عليه

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٢، ص ١٩٣. الطباخ، أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٩٢.

(٢) المحبي، خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٦٣. البغدادي، إيضاح المكنون، ج ٢، ص ٢٩٥. الكتاني، فهرس الفهارس، ج ١، ص ٢٥٧.

(٣) عن قرية تيرة. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٧١.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج ٤، ص ٢٣٩. ٧ طاش كبري زاده، الشقائق النعمانية، ص ٣٠. ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٧، ص ٣٤٢.

(٥) القرشي، الجواهر المضية، ج ١، ص ١٣٠. حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٦٢٠. اللكنوي، الفوائد البهية، ص ٢٤٩.

القضاء مرارًا فامتنع. اثنى عليه جمع من علماء عصره. يعد البابرتي من المكثرين في التصنيف، وقد تنوّعت مؤلّفاته في علم الكلام والفقه وأصول الفقه والتفسير والحديث والنحو، فكان منها: العناية في شرح الهداية، وشرح وصية الإمام أبي حنيفة، والإرشاد في شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، وشرح تجريد الكلام للنصير الطوسي، والمقصد في الكلام، وشرح العقيدة الطحاوية، وشرح الفرائض السراجية، والتقرير شرح أصول البزدوي، والأنوار شرح المنار. توفي في القاهرة ليلة الجمعة ١٩ رمضان سنة ٧٨٦هـ وقد جاوز السبعين. أما كتابه العناية هو كتاب فقه على المذهب الحنفي شرح فيه مؤلفه البابرتي كتاب الهداية للإمام المرغيناني وسماه: العناية شرح الهداية، فجاء به منقحًا ومهذبًا، ذكر فيه الدليل ورتبه ترتيبًا فقهيًا بالكتب والفصول، وذكر فيه آراء علماء مذهبه وبين الراجح منها، ويذكر آراء علماء المذاهب الأخرى، ويتعرض لشرح بعض الألفاظ شرحًا لغويًا لبيان المعنى المراد (١).

١٠. درر الحكام شرح غرر الأحكام: تأليف شيخ الإسلام محمد بن فراموزر بن علي محي الدين الرومي الأصل، كان والده من أمراء فرامرز. لم تشر المصادر إلى تاريخ ولادته، درس في بلاد الروم ، وأجازه القاضي يوسف بالي بن ملا فناري قاضي مدينة بورصة. وانتقل إلى مدينة أدرنة ودرس على يد برهان الدّين حيدر هروي، وملا يكان، والشّيخ حمزة، وكانوا من أبرز علماء عصره. تسلم أول وظيفة رسمية له في مدينة أدرنة كمدرس في مدرسة شاه ملك، وبعدما ذاع صيته في هذه المدينة أضيف له التدريس في المدرسة الحلبية سنة (٨٣٩هـ). وفي سنة (٨٤٨هـ) عُين قاضي العسكر. وما بين سنتي (٨٥١ _ ٨٥٤هـ) عُين قاضي مدينة أدرنة. وأن عمله في القضاء دفعه إلى تأليف كتابه (غُرر الأحكام). وكان ملا خسرو من بين الشخصيات التي له الفضل الكبير في تأسيس المؤسسات العلمية في الدولة العثمانية. وكان محل احترام وتقدير سلاطين الدولة العثمانية. كان متواضعًا صاحب أخلاق حميدة، له العديد من المصنفات في الفقه وأصوله والتفسير واللغة العربية، ومنها: درر الحكام شرح غرر الأحكام، وهو شرح لمتن من تصنيفه هو (درر الحكام)، ومرقات الوصول إلى علم الأصول، حاشية على التلويح لصدر الشريعة، وحاشية على تفسير البيضاوي، وغيرها كثير، وقد نالت مؤلفاته القبول والرضى حتى أصبحت تُدرس في المدارس العُثمانية. صار مفتيًا للسلطنة وعظم أمره وبنى مساجد عدة، ويعد كتابه درر الحكام شرح غرر الأحكام جليل القدر، عظيم النفع في الفقه الحنفي ولا ريب في ذلك فهو شرح لمتن المؤلف (غرر الأحكام) بذل فيه جهدًا كبيرًا في التنقيح والتهذيب والتوضيح، وانتقى فيه أدق أقوال المذهب، وتتبع أقوال الأئمة وعرضها مع أدلتها، فكان يبين الخلاف بين الفقهاء من أئمة المذهب الحنفي إلى جانب عرض رأي الإمام الشافعي كما يعرض الدليل، توفي في مدينة بورصة ودُفن في مدرسته سنة ٨٨٦هـ (٢).

١١. مجمع البحرين وملتقى النيرين: تأليف الإمام مظفر الدين أحمد بن علي بن تغلب بن أبي الضياء

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢٥٠. اللكنوي، الفوائد البهية، ص ١٩٥.

(٢) اللكنوي، الفوائد البهية، ص ١٨٤. النقيب، المذهب الحنفي، ج ٢، ص ٥٦٣.

البغدادي البعلبكي الأصل المعروف بابن الساعاتي الحنفي، سكن بغداد ونشأ بها، وأبوه هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد. كان إمامًا كبيرًا، عالمًا علامةً، متقنًا، مفننًا، بارعًا، فصيحًا، بليغًا، قوي الذكاء. أخذ العلم عن تاج الدين علي بن سنجر عن ظهير الدين البخاري صاحب الفتاوى الظهيرية. ووصفه ابن ملك في شرحه المنبع فقال: كتاب بديع، له قدر رفيع، لم يُرَ مثله في الفروع، تأليف يستريح منه الروع، من وجيز لفظه يشابه الألغاز، وفي بادي لحظه يحاكي الإعجاز، في سرائره سرور مناجيه، ومن الأحزان ناجيه. جمع فيه مسائل القدوري ومنظومة النسفي مع زيادات، ورتّبه فأحسن ترتيبه، وأبدع في اختصاره، وذكر في آخر كل كتاب منه ما شذَّ عنه من المسائل المتعلّقة بذلك الكتاب، وهو كتاب حِفظُه سهل لنهاية إيجازه، وحلّه صعب لغاية إعجازه، بحر مسائله، جمٌّ فضائله. لذلك يعد من أهم متون الفقه الحنفي. ذكر فيه قول الإمام إذا خالفه صاحباه بالجملة الاسمية، وعلى قول أبي يوسف إذا خالفه صاحباه بالجملة الفعلية المضارعة، وعلى قول محمد بن الحسن الشيباني إذا خالفه صاحباه بالجملة الفعلية الماضية، وعلى خلاف زفر بالماضية وألحق بها نون الجماعة، وبالجملة الفعلية وألحق بها واو الجمع، ودلَّ بالحروف الستة على الأوضاع الستة ثم شرحه في مجلّدين كبيرين. وله من المصنّفات غيره: بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والإحكام، الدّر المنضود في الرد على فيلسوف إليهود ابن كمونة، ونهاية الوصول إلى علم الأصول. توفي لبن الساعاتي سنة ٦٩٤هـ في بغداد ودُفن عند الجنيد البغدادي(١).

١٢. المرغيناني: شيخ الإسلام الإمام برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، ولد عقب صلاة العصر يوم الاثنين الثامن من رجب سنة ٥١١هـ، كان إماما فقيهًا حافظًا محدثًا مفسرًا جامعًا للعلوم ضابطًا للفنون زاهدًا ورعًا أصوليًا، له تصانيف عدة في الفقه الحنفي منها: بداية المبتدي وهو المتن الذي شرحه في كتابه الهداية استغرق تأليفه ١٣ سنة، وعليه شروح كثيرة، والتجنيس والمزيد وهو لأهل الفتوى غير عنيد، وكفاية المنتهى في شرح بداية المبتدي، وشرح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، وعدة الناسك في عدة المناسك، والفرائض، والتجنيس الناصري، توفي سنة ٥٩٣هـ (٢). ومن كتبه التي اعتمد عليها ساجقلي زادة: الهداية شرح بداية المبتدي.

١٣. ابن مازه: الإمام برهان الدين محمود بن الصدر السعيد أحمد بن الصدر الكبير عبد العزيز بن عمر بن مازه البخاري، من كبار الأئمة وأعيان فقهاء الأمة، إمامًا ورعًا مجتهدًا متواضعًا عالمًا بحرًا زاخرًا، من مصنفاته: المحيط البرهاني، وذخيرة الفتاوى، وتتمة الفتاوى، والتجريد البرهاني، وشرح أدب القاضي وغيرها، توفي سنة ٦١٦هـ(٣). من مصنفاته التي اقتبس منها ساجقلي زادة كتاب المحيط البرهاني.

---

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٥٩٩.

(٢) القرشي، الجواهر المضية، ج ٢، ص ٦٢٧. ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٦٢. حاج خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٣٠٤. وج ٢، ص ٨١٦. اللكنوي، الفوائد البهية، ص ١٨٢.

(٣) ابن قطلوبغا، تاج التراجم، ص ٧٠. حاج خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٣٤٣.

١٤ . ابن الهمام: هو الإمام المحقق كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي الإسكندري الشهير بابن الهمام، كان والده قاضيًا بسيواس من بلاد الروم، قدم القاهرة، ثم ولي القضاء بالإسكندرية، وتزوج بها بنت القاضي المالكي، فولد له الكمال محمد سنة ٧٨٨هـ. قرأ الهداية على سراج الدين الشهير بقارئ الهداية. كان إمامًا نظارًا فارسًا على البحث فروعيًا أصوليًا محدثًا مفسرًا حافظًا نحويًا كلاميًا منطقيًا جدليًا، وله تصانيف مقبولة ومعتمدة عند فقهاء الحنفية منها: فتح القدير للعاجز الفقير، ذاعت شهرته في عصره ومن بعده وأصبح المعول عليه في الآفاق. توفي سنة ٨٦١هـ[١]. من مؤلفاته التي اعتمد عليها ساجقلي زادة كتاب فتح القدير للعاجز الفقير.

١٥ . ابن نجيم: هو الإمام العلامة زيد الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبي بكر الشهير بابن نجيم المصري، الفقيه الحنفي من كبار العلماء، له تصانيف كثيرة، منها: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، الأشباه والنظائر في أصول الفقه وقواعده، والرسائل الزينية في مذهب الحنفية، وفتح الغفار على شرح المنار، والقول النقي في الرد على المفتري الشقي، وشرح جزءًا من الهداية، وغيرها توفي سنة ٩٧٠هـ[٢]. من مؤلفاته التي اعتمد عليها ساجقلي زادة كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق.

١٦ . الكردري: هو الإمام حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب بن يوسف الكردري الخوارزمي الحنفي المعروف بالبزازي، فقيه حنفي، أصله من (كردر) قرب خوارزم، اشتهر في بلاده، ثم رحل إلى بلدة قريم في ساحل نهر آتل، وأقام بها سنين وناظر فيها الأئمة الأعلام ودارس الفقهاء، تنقل في بلاد القرم والبلغار، وكان يفتي بكفر تيمورلنك، من مصنفاته: الجامع الوجيز، والمناقب الكردرية، ومختصر في بيان تعريف الأحكام، توفي سنة ٨٢٧هـ[٣]. من مؤلفاته التي اعتمد عليها ساجقلي زادة كتاب الفتاوى البزازية .

النسخة الخطية المعتمدة :

النسخة الخطية المعتمدة في تحقيق هذه الرسالة هي: نسخة خطية أعتقد بعد البحث الطويل إنها نسخة وحيدة حتى الآن، في مكتبة راغب باشا تحمل الرقم (١٠٥٧)، والرقم الْحِمِيْدِيّ لها: (٦/٨١٨). عنوان المخطوط كما مثبت في فهارسها: رسالة التصرف في الأراضي الخراجية والأميرية [٤].

عدد الأوراق: ٥٦/ أ_٥٧/ ب. وقياسها: ٢١٣ × ١٤٨-١٤٧ × ٧٣، عدد الأسطر في كل ورقة: (٢١) سطر، ومعدل عدد الكلمات في السطر الواحد (١٠) إلى (١٥) كلمة، وخطها نسخ معتاد. وفي آخرها كتب تاريخ النسخ في شهر شوال سنة ١١٤١هـ. وهي كما يبدو لي إنها نسخة فريدة ربما تكون من إملاء المؤلف على أحد طلبته، وهي خالية من الأخطاء سواء النحوية أو الإملائية. لكن فيها استدراكات للمؤلف في الحاشية.

(١) حاج خليفة، كشف الظنون، ج ٦، ص ١٠٧ . اللكنوي، الفوائد البهية، ص ٢٣٥ . الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٥٥ .

(٢) حاج خليفة، كشف الظنون، ج ٥، ص ٣١٠ . اللكنوي، الفوائد البهية، ص ١٧٤ . الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٦٤ .

(٣) حاج خليفة، كشف الظنون، ج ٦، ص ١٤٨ . اللكنوي، الفوائد البهية، ص ٢٤٥ . الزركلي، الأعلام ج ٤، ص ٤٥ .

(٤) الدغيم، فهرس مخطوطات مكتبة راغب باشا، ج ٦، ص ١٣٥ .

والاسم الدقيق والصحيح لها هو (رسالة في بيان مصرف زكاة الزروع والثمار في الأرض)[1]. وهذا هو الذي سنتعمده في هذه الدراسة. وسبق أن بينا في السطور التي مرت معنا إن الإنتاج الزراعي الخاضع لفريضة الزكاة هو إنتاج الأراضي التي يملكها المسلم ملك رقبة ويبلغ إنتاجها النصاب الذي سبق إن بيناه. فإذا كانت أرضه تسقى سيحًا أو تسقيها السماء فيلزم إن يدفع عشر الإنتاج إذا بلغ النصاب، وإذا كانت تسقى بالآلات الرافعة عليه إن يدفع نصف العشر؛ أي خمسة في المئة من الإنتاج؛ لأن الحالة الثانية تتطلب من المالك جهدًا وكلفة أكثر [2]. قال تعالى ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[3].

منهج التحقيق:

بعد أن تمكنت من الحصول على نسخة المخطوطة، شرعت في العمل على وفق المنهج الآتي:

١. نسخت المخطوطة بيدي.

٢. كُتب النص المحقق وفق قواعد الإملاء الحديثة، من حيث تدوين الهمزة والتنقيط.

٣. ضبط مادة المخطوطة لتكون الأقرب إلى الصورة التي أرادها المؤلف.

٤. تخريج الآيات القرآنية الكريمة من المصحف الشريف، ووضعها بين علامات اقتباس.

٥. تخريج الأحاديث النبوية من كتب الصحاح ووضعها بين أقواس.

٦. تخريج الأقوال والنصوص من مصادرها الأصيلة، على قدر توافرها سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة.

٧. ترجمت للأعلام الواردة في متن الرسالة سواء أكانوا فقهاء، أم غيرهم.

٨. التعريف بالمصطلحات الواردة في المخطوطة سواء أكانت لأشخاص، أم لأماكن، أم مصطلحات فقهية واقتصادية.

٩. وجدت المؤلف عندما ينقل من مصادر الحنفية كان ينقل بالمعنى ولم يلتزم ببقاء النص على حاله.

١٠. استدرك المؤلف بعض التوضيحات فجعها في الحاشية، وعندما أثبتها في محلها في المتن وضعتها بين علامتي معقوفتين مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

١١. راجعت الآراء التي أوردها ساجقلي زادة في رسالته هذه وعلقت على ما يحتاج منها إلى تعليق.

١٢. وثقت النصوص التي استقاها المؤلف من مصادرها.

---

(١) ينظر كلام ساجقلي زادة في أول الرسالة. ورقة ١.

(٢) أبو يوسف، الخراج، ص ٥٢ و٥٦ و٥٩. ابن ادم، الخراج، ص ١٢٤. ابن زنجويه، الأموال، ج ٢، ص ٤٧٨.

(٣) سورة الأنعام، آية ١٤١.

رسالة الأراضي الخراجية تأليف محمد بن أبي بكر المرعشي المكني بـ ساجقلي زادة - ت١١٤٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وبحمده وصلاته على رسوله

يقول البائس الفقير محمد المرعشي المكنى بساجقلي زادة نور الله

فؤاده ان قال قائل لا يصح بيع المتصرف زكوة الزروع والثمار في

الأراضي الخراجية والأميرية بعد وجوبها قبل قبضها من رب الأرض

أو من غيره لأن الحاصل له لا يجوز فلأنه لا يملكها قبل قبضها ينتج فلا يملك

بيعها والمراد من المتصرف من وجه السلطان اليه التصرف فيها كالغازي

والمدرس والخطيب فنقول الدليل المذكور صغرى مجردة لا ينتج

في الترتيب إلا بضم كبرى كلية اليها وهي أن كل من لا يملك شيئا

لا يملك بيعه أما الصغرى فمسلمة وأما الكبرى فلو سلمنا لبطل

البيوع الكثيرة الصحيحة منها بيع المتولي الوقف اذا شرطه

الواقف وبيع الحاكم اياه وان لم يشرط الواقف وبيع نقض

الوقف ان لم يصلح لان يصرف الى عمارة الوقف ومنها بيع الولي

او الوصي ما بقي من أضحية الصبي بعد أكل ما ينتفع بعينه ومنها

بيع الوصي ما يخاف تلفه من مال اليتيم ومنها بيع الوكيل اذ التوكيل

ليس بتمليك بل تفويض التصرف الى الغير فوجب ان نقول

ان المصحح للبيع لا ينحصر في الملك بل يصح ولاية التصرف ايضا ويبتنى

على الثاني ما قال في التاتارخانية وفي المنتقى اذا وجب العشر

في الطعام وباعه السلطان من رب الأرض او من غيره قبل

ان يقبض جاز انتهى ووجه ذلك ان للسلطان ولاية التصرف

في بيت المال واذا جاز ذلك للسلطان جاز لمن فوض التصرف

اليه ولو رأيت سلطانا باشر البيع فصح ما قال شارح مجمع

الورقة الأولى

[illegible]

البحرين لو باع المصرف زكوة نصاب لم يجز لانه ليس بشريك ولو باع
عشر الطعام من رب الارض وغيره قبل قبضه جاز لانه شريك
فيه كذا في المحيط انتهى يعني شريك لصاحب الزرع في التصرف في الطعام
والمراد من المصرف في عشر الطعام من فوض اليه السلطان التصرف في
واد اجارة تلك العشر جاز في خراج المقاسمة ايضا لانه كالعشر
كما صرح به في بعض كتب الفقه وجاز ايضا زكوة محاصيل من الاراضي
الاميرية لانه كالعشر ايضا واما لم يجز بيع زكوة النصاب
من الاموال الباطنة من فوض اداء زكوتها الى اصحابها واما السوائم
فليست في المثليات فليس الواجب فيها جزء معينا منها فلا يتعين
زكوتها قبل القبض والله اعلم اعلم ان العشر يجب في القصيل ايضا
وهو الزروع الصالح للقطع لكن اذا ادرك ينقل العشر من
القصيل الى الحب فلا عشر كما في التبن كذا في العناية فيصح بيع عشر
القصيل وخراج القصيل في الاراضي الخراجية والاميرية لكن
ان باع حب القصيل يبطل البيع لانه بيع المعدوم فالمصرف اذا باع
بعقد واحد زكوة مزروعات قرية بعضها قصيل وبعضها مدرك
فان قال بعت جميع ما يعود الى من حبوبات هذه القرية ونوى
حبوبات القصيل ايضا يبطل البيع وان قال من
مزروعات هذه القرية يصح فاعرف
تمت هذه النسخة الشريفة
في شهر شوال سنة ١١٤[illegible]

الورقة الثانية

القسم الثاني

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبحمده وصلاة [١] على رسله.

يقول البائس الفقير محمد المرعشي المكنى بساجقلي زادة نور الله فؤاده.

قال قائل: لا يصح بيع زكاة [٢] الزروع والثمار في الأراضي الخراجية [٣] والأميرية [٤] {وهي الأراضي الغير مملوكة وتسمى أراضي المملكة [٥]، كما في التاتارخانية [٦]، فالأراضي قسمان:

---

(١) في الأصل: صلوة، والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: زكوة، وستتكرر بهذا الرسم حيثما وردت.

(٣) هي الأرض التي فتحت عنوة واختار الإمام وقفها وعدم قسمة أربعة أخماسها على الغانمين، وإنما جعلها وقفًا لجميع المسلمين، ويعمل فيها أهل الذمة مزارعين مقابل جزء من الإنتاج أو مقابل عدد من الدراهم حسب نوع المحصول الزراعي المنتج من هذه الأرض. ينظر: الكبيسي، ملكية الأراضي الزراعية، ص ١٠٤.

(٤) وتُسمى أيضًا الأرض المُملكة أي الذي يملكها بيت المال ملك رقبة، وهي الأرض التي فتحت عنوة أو صلحًا ولم تملك لأهلها بل أُحرزت لبيت المال، ثم أُجرت على أن يدفع الذي يزرعها خراج مقاسمة، واشتهرت عند الناس، وفي العصر الذي ألف فيه ساجقلي زادة رسالته باسم الأرض العشرية، وهي في حقيقتها لا يملكها من يزرعونها ولا يحق لهم بيعها ولا شرائها أو هبتها، أو وقفها، ولا تورث عنهم إلا بتمليك السلطان، فإذا مات واحد منهم قام ابنه مقامه، ولا تعود الأراضي التي في يده إلى بيت المال. ينظر: داماد، مجمع الأنهر، ج ٢، ص ٤٦١.

(٥) الإندريتي، الفتاوى التاتارخانية، ج٣، ص ٣١١.

(٦) الإندريتي: الشيخ الإمام فريد الدين عالم بن العلاء الإندريتي الدهلوي الهندي. يُعد من أجل العلماء الكبار في زمنه، له شغف بالفقه والفتاوى والأصول، كلفه الأمير تاتارخان بجمع فتاوى المذهب الحنفي في كتاب واحد، فاستجاب الشيخ الإندريتي، ووفر له الأمير كل كتب الفقه الحنفي المتوفرة في تلك العصر، والمنهج الذي اتبعه في كتابه انه كان يشخص الخلاف بين الإمام أبي حنيفة وأصحابه والإمام الشافعي ويعرض الدليل. وبالرغم من كون مؤلفه من الفقهاء المغمورين، إلا إن كتابه يعد من أمهات كتب الفقه الحنفي. ومن يطالع الفتاوى التاتارخانية يعلم أن المؤلف لم يكتف بالنقل من كتاب أو كتابين، بل كانت عنده ذخيرة كبيرة من الكتب، توفي سنة ٧٨٦هـ. ينظر: الغزي، الطبقات السنية، ج ٤، ص ١١٧. النقيب، المذهب الحنفي، ج ٢، ص ٦٠٨.

مملوكة، وغير مملوكة، والأولى عشرية [1] وخراجية فالحاصل أقسام المئة [2] } [3]، بعد وجوبها قبل قبضها من رب الأرض أو من غيره؛ لأنها صلة لا [4] أجرة [5] فلا يملكها قبل قبضها، ينتج فلا يملك بيعها والمراد من المصرف [6]، من وجه السلطان إليه التصرف فيها كالغازي والمدرس والخطيب.

{ قول من يحجب ولاية التصرف أيضًا وإنما علل الفقهاء عدم صحة بعض البيوع بعدم الملك

---

(1) المقصود بالأراضي العُشرية، الأراضي التي يُسلم عليها أهلها، أي الأراضي التي تخضع لسلطة الدولة سلمًا، من غير أن يتقدم جيش المسلمين إلى منطقةٍ ما ويُخضع أهلها عنوة، قال رسول الله ﷺ: " من أسلم على شيء فهو له ". ومثل هذا النوع من الأراضي موجود بكثرة في مختلف أقاليم الدولة، قال عنها أبو يوسف: إنها كل أرض أسلم عليها أهلها سواء أكانت من أرض العرب أم من أرض العجم، فهي لهم، لهم فيها حق الحيازة والانتفاع، وهي أرض عُشرية. أو هي من أربعة أخماس الأراضي التي تدخل تحت لواء الدولة عنوةً وحربًا وتوزع أربعة أخماسها على الجند الفاتحين على أساس إنها غنيمة. فهذه تصبح ضمن الأراضي العُشرية؛ لأن هؤلاء الجند أصبحوا يمتلكونها ملك رقبة، إذ هي جاءتهم بوصفها أسهمًا من أسهم الغنيمة التي غنموها بعد ان الحقوا بالعدو الهزيمة. ينظر: الكبيسي، ملكية الأراضي الزراعية، ص ٩١.

(2) أي الإنتاج الحاصل منها يكون المأخوذ منه للدولة على وفق نسبة مئوية إذا كان الخراج الذي فرض عليها خراج مقاسمة، والنسب قد تكون ٦٦٪ أو ٦٠٪ أو ٥٠٪ أو ٤٠٪ أو ٣٣٪ أو ٢٥٪ من الإنتاج؛ لأن الخراج وجب بالاجتهاد فللإمام أن يزيد الخراج أو ينقصه. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٥٠ وما بعدها.

(3) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(4) في الأصل: له، والصواب ما أثبتناه.

(5) عقد معاوضة على تمليك منفعة بعوض. ولغة تعني الجزاء على العمل، أو العوض، ومنه سمي الثواب أجرًا. والجمع أجور، وآجار. واصطلاحًا هي عقد عمل على منفعة مقصودة معلومة قابلة للبذل والإباحة بعوض معلوم. ينظر: الكبيسي، الآراء المالية، ص ٢٠٦.

(6) أي مصرف الزكاة، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾. (سورة التوبة الآية: ٦٠)، فهذه ثمانية أصناف هم المشمولين بالزكاة. ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها، لا تتجاوزها إلى غيرها، كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم. فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها. وقوله تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ معناها فرض الله الصدقات لهم. ودلّ قوله تعالى السابق بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم. إذ عندما اعترض المنافقون على قسمة النبي صلى الله عليه وسلم بين تعالى أنه هو الذي قسمها وبين حكمها، وتولى أمرها بنفسه، ولم يَكِلْ قَسْمها إلى أحد غيره، فجزّأها لهؤلاء المذكورين. حتى قال النبي: " إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو ". ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٦٥.

ويسمى السرقة، وكذا أستار الكعبة [1] وان كانت محرزة [2] لعدم ولاية التصرف هنا أيضًا } [3].

فنقول الدليل المذكور { قاعدة } [4] صغرى [5] مجردة لا يتم بها التقريب إلا بضم {قاعدة} [6] كبرى كلية إليها وهي إن كل مَنْ لا يملك شيئًا لا يملك بيعه.

أما الصغرى فمسلمة، وأما الكبرى فلو سلمناها لبطلت [7] البيوع الكثيرة الصحيحة. منها بيع متولي[8] الوقف إذا شرطه الواقف، وبيع الحاكم إياه وإن لم يشترطه الواقف، وبيع نقض الوقف إن لم يصلح؛ لأن يصرف إلى عمارة الوقف ومنها بيع الولي [9] أو الوصي ما بقي من أضحية الصبي بعد أكله بما ينتفع بعينه، ومنها بيع الوصي [10] ما يخاف تلفه من مال اليتيم، ومنها بيع الوكيل [11] إذ

---

(١) استخدم ساجقلي زادة، مثل أستار الكعبة، لأن هذه الأستار وإن أحرزها أحد، فلا يجوز له بيعها لأنها لا تُملك لأحد بأي حال من الأحوال. لمزيد من التفاصيل عن آراء الحنفية في بيع أستار الكعبة، ينظر: ابن نجيم، البحر الرائق، ج ٥، ص ٥٩. داماد، مجمع الأنهر، ج ٢، ص ٣٨٤. ابن عابدين، رد المحتار، ج ٤، ص ٩٢.

(٢) أرض الحوز: اصطلاح لمتأخري الحنفية ويسمونها أيضًا أرض المملكة، والأراضي الأميرية. وهي الأرض التي مات عنها أربابها بلا وارث وآلت إلى بيت المال، أو فتحت عنوة أو صلحًا ولم تملك لأهلها بل أبقيت رقبتها للمسلمين إلى يوم القيامة. ويبدو أن سبب تسميتها بأرض الحوز، لأن الإمام حازها لبيت المال. ينظر: ابن عابدين، تنقيح الفتاوى الحامدية، ج ٢، ص ١٩٩. وهذا النوع من الأراضي في الصور الإسلامية الأولى كانت تسمى أراضي الصوافي.

(٣) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٤) ما بين معقوفتين من: ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص ٢٠.

(٥) أي دليل ليس فيه حجة كافية لإصدار الحكم في المسألة. ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص ٢٠.

(٦) ما بين معقوفتين من: ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص ٢٠.

(٧) في الأصل: بالبطل. والصواب ما أثبتناه.

(٨) الْمُتَوَلِّي في اللغة: اسم فاعل من تولى الأمر إذا تقلده. وعرف الفقهاء: بأنه من فُوض إليه التصرف في مال الوقف ومُدبر أموره. ينظر: الموسوعة الفقهية، ج ٣٦، ص ٩٩.

(٩) الْوِلايَةُ بِالْكَسْرِ في اللغة من الْوَلْيِ وهو القرب، يقال: وليته، أي دنا منه، وَوَلِيَ الأمر إذا قام به. وَتَوَلَّى الأمر أي تقلده. وَالْوَلِيُّ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ مِنْ وَلِيَهُ: إذا قَامَ بِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾. وكل من وَلِيَ أمر آخر فهو وليه، ومنه وَلِيُّ اليتيم، وهو القائم به والمتصرف في أمره. ينظر: المناوي، التوقيف، ص ٧٣٤، التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج ٢، ص ١٥٢٩.

(١٠) بيع الوصي: الْوَصِيُّ في اللغة: على وزن فعيل، من عُهد إليه بالأمر. والوصي في الاصطلاح: من عهد إليه الرجل أموره ليقوم بها بعد موته. ينظر: الأوزجندي، فتاوى قاضيخان، ج ٣، ص ٥١٣. وبيع الوصي لمال الصغير إذا كان هذا المال عقارًا فلا يجوز للوصي بيعه إلا إذا دعت إلى ذلك حاجة ملحة مثل نفقته على الصغير وكسوته، أما الأموال المنقولة فلا يجوز له بيعها. ينظر: الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦، ص ٣٣٣. الزيلعي، تبيين الحقائق، ج ٦، ص ١٨٢.

(١١) الْوَكَالَةُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ فِي اللغة تعني: الحفظ، ومنها الوكيل وهو من فُوض إليه التصرف بأمر شرعي معين. وعرفها الفقهاء: إقامة الغير مقام النفس ترفهًا أو عجزًا في تصرف جائز معلوم. ينظر: ابن عابدين، رد المحتار، ج ٤، ص ٤٠٠.

التوكيل ليس بتمليك بل تفويض [1] التصرف إلى الغير فوجب أن نقول إن المُصحح للبيع لا ينحصر في الملك بل يصححه ولاية على التصرف أيضًا.

{ بل هم فقط مدار الصحة، ألا ترى إنها لو خلت عن الملك تؤثر في صحة البيع كما في الصور المذكورة، وإذا ما خلا الملك عنها لا تؤثر في صحة البيع كما في الصبي والسفيه المحجور } [2].

ويبني على الثاني ما قال في التاتارخانية [3] { وكذا مبني عليه ما قال في الذخيرة [4] مثل ما قال في النافع [5] ويؤيده ما في الأشباه [6] ولسان الحكام [7]، وأما ما في إجارة تجزيه، من انه سئل في تيماري [8] أجر المتحصل من تجارة لآخر منه مبلغ معلوم، هل يصح أم لا ؟ فأجاب لا تصح. وعلى هذا كل واحد منهما ما تناوله، والقول قول كل واحد فيما قبض بيمينه، وعلى الآخر البينة والله أعلم انتهى } [9].

{ فمدار صحة جوابه بعدم صحة الإجارة؛ لأن الإجارة بيع المنافع [10]، والمتحصل أعيان [11] لا منافع، فإجارة الأعيان باطلة بالإجماع [12]، وإذا وقعت باطلة كانت كالمعدم، وإذا كانت كالمعدم فكلّ مطالب بما قبض، وكذا إن قال قائل لا يصح بيع التيماري [13] المتحصل من تيماري آخر فالظاهر إنه

---

(١) التَّفْوِيضُ لغةً مصدر فَوَّضَ. يقال: فوضت إلى فلان الأمر أي صيرته إليه وجعلته الحاكم في. ينظر: الشربيني، مغني المحتاج، ج ٣، ص ٢٢٩. البهوتي، كشاف القناع. ج ٥، ص ١٥٦.

(٢) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٣) الإندريتي، الفتاوى التاتارخانية، ج ٨، ص ٢٠.

(٤) ابن مازه، المحيط البرهاني، ج ٩، ص ٥٢٣. يقصد هنا الذخيرة البرهانية أو ذخيرة الفتاوى: تأليف الإمام برهان الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازه، صاحب المحيط البرهاني، وهو اختصار لكتابه المشهور المحيط البرهاني. وهي لا تزال مخطوطة ولم أتمكن من العثور عليها.

(٥) السمرقندي، الفقه النافع، ج ١، ص ٣٦٥.

(٦) ابن نجيم، الأشباه والنظائر، ص ١٢٨.

(٧) ابن الشحنة، لسان الحكام، ص ٤٠٨.

(٨) أرضُ التِّيْمَارِ: هذا الاصطلاح جرى استعماله في الدولة العثمانية. يريدون به ما يقطعه الإمام من أرض بيت المال (أرض الحوز) لبعض الأشخاص ليأخذ هذا المُقْطَعُ حق الأرض من الغلة من دون تمليك الرقبة وإنما تمليك للخراج فقط، أي تمليك منفعة، وتبقى رقبتها لبيت المال. وتسمى هذه الأرض التِّيْمَارِ ويسمى هذا الشخص التِّيْمَارِيُّ. والتيماري يملك منفعة الأرض فقط ان كانت عامرة، وله إيجارها، ولكن لا يحق له بيعها ولا وقفها ولا تورث عنه، وللإمام إخراجه منها متى شاء، إذا رأى في إخراجه مصلحة. ينظر: الحصكفي، الدر المنتقى، ج ٢، ص ٤٦١.

(٩) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(١٠) الزيلعي، تبيين الحقائق، ج ٥، ص ١٤٥.

(١١) أي أن الفلاح في هذا الحالة أصبح مالك للأرض، وليس يقبض الإجارة فقط.

(١٢) ابن الهمام، فتح القدير، ج ٩، ص ١٠٤.

(١٣) هذا المصطلح جرى استعماله في الدولة العثمانية، وذُكر في الكتب الفقهية وبخاصة لمتأخري الحنفية، يريدون به من يقطعه الإمام من أرض الحوز؛ ليأخذ هذا المُقْطَعُ حق عمله في الأرض من الغَلَّة، وتبقى رقبتها لبيت المال، ويُسمى الشخص الذي أُقْطِعَ الأرض التِّيْمَارِيُّ. ينظر: ابن عابدين، رد المحتار، ج ٤، ص ١٨. تنقيح الفتاوى الحامدية، ج ٢، ص ٢٠٣.

محمول على إذا ما كان بعض المتحصل معدومًا حين البيع، وبعضه ممنوع شرعًا كالرسوم الخارجة[1] عن الشرع الشريف والدين المنيف، فإن قيل هذا بيع المجهول[2]، وهذا لا يجوز، يقال في جوابه إن المتحصل معلوم القدر بأنه عشر[3] الطعام أو ثُمنه أو غير ذلك } [4].

وفي المنتقى، إذا وجب العشر في الطعام وباعه السلطان من رب الأرض أو من غيره قبل أن يقبض جاز انتهى [5].

{ وإن كانا لا يؤديان العشر ونحوه لا ما يبقى من المقدار المعين من الكيل ونحوه وكل ما هو معلوم القدر على الوجه الأول يصح بيعه. ولا يضر به جهل الوجه الثاني. والحاصل إن المقدر غير لازم، واللازم غير مقدر وهذا ما ظهر لي والله اعلم بحقيقة الحال} [6].

ووجه ذلك أن للسلطان ولاية التصرف في بيت المال، وإذا جاز ذلك للسلطان جاز لمن فوض إليه

---

(١) من واجبات كاتب الديوان أن يحفظ قوانين بيت المال على الرسوم العادلة من غير زيادة بها على الرعية، أو نقصان ينثلم به حق بيت المال. وعليه فيما يختص ببيت المال أن قوانينه ورسومه وقد حصر القاضيان الماوردي وأبو يعلى أعماله في ستة أمور هي: (١) تحديد العمل بما يتميز به عن غيره هو تفصيل نواحيه المختلفة (٢) أن يذكر حال البلد هل فتحت عنوة أم صلحا وما استقر عليه حكم أرضها من عشر أو خراج (٣) أن يذكر أحكام خراج البلد وما استقر على إراضيه وهل هو خراج مقاسمة أم خراج وظيفة (٤) أن يذكر ما في كل ناحية من أهل الذمة وما استقر عليهم في عقد الجزية (٥) إن كان البلد من بلدان المعادن يذكر أجناس معادنه وعدد كل جنس ليُعْلَمَ ما يؤخذ مما يُنال منه (٦) أن كان البلد يتاخم دار الحرب وكانت أموالهم إذا دخلت دار الإسلام تُعشر عن صلح استقر معهم فعليه أن يُثبت ذلك في الديوان، وقدر المأخوذ منهم. ينظر: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٠٧. أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص ٢٢٨.

(٢) بيع المجهول: لاحظ الإمام الشافعي أن الزروع يختلف بعضها عن بعض، حيث إن قسمًا منها يكون ما يراد بيعه ظاهرًا فوق سطح الأرض مثل التمر، والعنب، والرمان، والأترج وغيرها من أنواع الزروع التي لا يكون تحت سطح الأرض منها إلا جذورها فهي ظاهرة للعيان. أما النوع الثاني من الزروع التي يكون جزء منها فوق سطح الأرض، والجزء الآخر تحت سطح الأرض، ومن هذه الزروع: الجزر، والفجل، والبصل وكل ما هو على شاكلتها. فالنوع الأول لا إشكال في بيعه إذا تم هذا البيع على وفق الشروط والضوابط المحددة في البيع، لكن النوع الثاني الذي يكون جزء منه تحت سطح الأرض، لا يجوز بيع ما تحت سطح الأرض؛ لأن المشتري لا يراه فهو بيع غُرر أي مجهول، فإذا تم البيع فللمشتري ما يشترط في بيع العين الغائبة، فإذا رآها فله الخيار في أخذها أو تركها. ومعلوم إن البيع أجيز عندما لا يكون في المُباع عيب، وان بيع ما هو تحت سطح الأرض لا يخلو من أن يكون فيه الصغير، والكبير، والمختلف الخلقة فكأن المشتري قد اشترى ما لم ير وألزمناه ما لم يرض بشرائه. ينظر: الكبيسي، الآراء المالية، ص ٢٢٤.

(٣) الْعُشْرُ لغة: الجزء من عشرة أجزاء، ويجمع على عُشور وأعشار. واصطلاحًا هو: عُشر التجارة، وعُشر زكاة الزروع والثمار. الخطابي، معالم السنن، ج ٣، ص ٣٩.

(٤) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٥) الحصكفي، الدر المنتقى، ج ١، ص ٣٢٤. العشر لا يُباع وإنما يُعطى لمستحقيه؛ لأنه زكاة الزرع وورد الذين يستحقونه في الآية ٦٠ من سورة التوبة.

(٦) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية. ومن المرجح انه يقصد بها بلوغ الإنتاج الزراعي النصاب. والنصاب خمسة أوسق؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " ليس فيما دون خمسة أوسق من البر والشعير والتمر والزبيب صدقة تؤخذ ". ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٥٣. ابن ادم، الخراج، ص ١٣٥.

التصرف وما فيه. {وهو صاحب حق توجيه التصرف فيه من المصارف وأصحاب المقاطعات}[1].

{ من فوض إليه التصرف فيه، ومصرف العشر هم المذكورون في قوله تعالى: " ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا .... الآية " ﴾[2]، ولا يجوز للغني عندنا، وعند الشافعي[3] جوزه للغازي وأن كان غنيًا. وعندنا يجوز للمقاتل والمدرس والخطيب والقاضي والمفتي. والتفصيل في التتارخانية قف عليه } [4].

وهل رأيت سلطانًا يباشر البيع ؟.

فصح ما قاله شارح مجمع البحرين [5]: لو باع المصرف [6] زكاة نصاب [7] لم يجز؛ لأنه ليس بشريك [8].

ولو باع عشر الطعام من رب الأرض أو من غيره قبل قبضه جاز؛ لأنه شريك فيه كذا في المحيط [9] انتهى.

تعني شريك لصاحب الزرع في التصرف في الطعام والمراد من المصرف في عشر الطعام من فوض إليه السلطان التصرف فيه.

{ أي التصرف في الملك وذلك؛ لأن مصرف الخراج [10] على الذي له يسعى لأمور المسلمين

---

(١) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠. لم يوردها كاملة. قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾.

(٣) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف الإمام الشافعي القرشي المطلبي. ولد سنة ١٥٠ هـ في غزة، ذاعت شهرته الأفاق زار العراق ولبث فيه مدة، ثم انتقل القاهرة وفيها توفي سنة ٢٠٤ هـ. ينظر: الكبيسي، الآراء المالية، ص ٧ - ١٦.

(٤) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٥) ابن ملك، شرح مجمع البحرين، ورقة ١٢٤.

(٦) المقصود هنا من وفوض الإمام إليه التصرف في أمور الزكاة من جمعها من الواجبة عليهم، حتى يعطيها إلى مستحقيها، وهو لا يملك بيعها؛ لأنه ليس له نصيب منها. ينظر: ابن نجيم، النهر الفائق، ج ١، ص ٤٥٨.

(٧) النِّصاب في اللغة: القدر المعتبر من المال حتى تجب فيه الزكاة. وفي الاصطلاح: ما لا تجب فيما دونه زكاة من مال. ينظر: الحصكفي، الدر المختار، ص ١٣٢.

(٨) ابن ملك، شرح مجمع البحرين، ورقة ١١٠؛ أي إنه ليس من الفئات الثمانية الذين ورد ذكرهم في الآية ٦٠ من سورة التوبة.

(٩) عندما يذكر فقهاء الحنفية هذا الكتاب باسم (المحيط) فقط، فالمراد به كتاب المحيط الرضوي وهو لرضي الدين محمد بن محمد السرخسي ويسمى أيضًا بالمحيط الرضوي من أمهات كتب الفقه الحنفي المعتمدة، كتاب جامع مقبول عند فقهاء الحنفية؛ لأن هناك كتاب آخر في الفقه الحنفي يسمى بالمحيط البرهاني لابن مازة (ت٦١٦هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٢٥.

(١٠) أي من يستحق الأخذ من أموال الخراج وهو المقاتلة. ابن مازة، المحيط البرهاني، ج ٢، ص ٥٩٨.

كالمقاتلة، له يملك العطاء [1] قبل القبض؛ لأنه ليس بأجرة، قال عنه الفقهاء انه يملكه قبل القبض؛ لأن فيه شبه الأجرة فعدم حلنا للفقير العشر قبل القبض من الطريق الأول إذ ليس فيه شبه الأجرة، إذ ليس الإعطاء له بعيد عن أمور المسلمين } [2].

وإذا أجاز ذلك في العشر جاز عليه في خراج المقاسمة [3] أيضًا؛ لأنه كالعشر كما صرح به في بعض كتب الفقه [4].

{ جاز خراج المقاسمة أيضًا في البيع للجواز؛ لأن للسلطان حقًا في الخراج فيجوز له تركه لصاحب الأرض، وإن لم يكن صاحب الأرض مصرفًا له، وليس للسلطان حق في العشر ولا يجوز له تركه لصاحب الأرض إلا إن يكون مصرفًا له بأن كان فقيرًا محتاجًا إلى العشر، هذه خلاصة ما في التاتارخانية [5] } [6].

{ فما ذكرنا من يؤثر في الخراج دلالة بجواز في العشر لا قياس على المسكوت عنه أو من المنطوق فاغلب الفقهاء صرحوا بجوازه في العشر، وسكتوا عنه في الخراج؛ لأن ذلك شبهة في جوازه في العشر فاعرف } [7].

وجاز أيضًا زكاة الخارج من الأراضي الأميرية؛ لأنه كالعشر أيضًا.

وإنما جاز بيع زكاة النصاب؛ لأن الأموال الباطنة [8] فوض أداء زكاتها إلى أصحابها. وأما السوائم

---

(١) العطاء: هو مبلغ من المال يثبت في الديوان بأسماء من لهم حق فيه مثل المقاتلة وغيرهم، ويدفع سنويًا. ينظر: العيني، منحة السلوك، ص ٣٤٧.

(٢) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٣) الْخَرَاجُ لغة: خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجًا أي برز والاسم الْخَرَاجُ، وأصله ما يخرج من الأرض التي فتحت عنوة، والجمع أَخْرَاجٌ، وَأَخَارِيجُ، وَأَخْرِجَةٌ. ويطلق الخراج على الْغَلَّةِ الحاصلة من الشيء كَغَلَّةِ الدَّارِ، وَالدَّابَّةِ. كما يطلق على الأجرة أو الْكِرَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (سورة الكهف: آية ٩٤). وقَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سورة المؤمنون: آية ٧٢). وخَرَاجُ الْمُقَاسَمَةِ: أن يكون الواجب جزءً شائعًا من الخارج من الأرض كالربع أو الخمس، وما أشبه ذلك. وهذا النوع من الخراج يتعلق بالخارج من الأرض لا بالتمكن من زرعها، فلو عطّل المالك الأرض لا يجب الخراج. والفرق بين خراج الوظيفة، وخراج المقاسمة، أن خراج الوظيفة يؤخذ مرة واحدة في السنة، ولا يتكرر بتكرر الخارج من الأرض. أما خراج المقاسمة فيتكرر أخذه بتكرر الخارج من الأرض. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨٠.

(٤) ابن مازه، المحيط البرهاني، ج ٢، ص ٥٩٥.

(٥) الإندربتي، التاتارخانية، ج ٣، ص ٣١١ _ ٣١٩.

(٦) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية، لأن الخراج وجب بالاجتهاد.

(٧) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية. فالجواز متأت في هذه الحالات؛ لأنه وجب بالاجتهاد. أي باجتهاد الإمام لذلك وجدناه في خراج المقاسمة أخذت مقادير الخراج بنسب متعددة من الإنتاج ٦٦٪ و ٦٠٪ و ٥٠٪ و٤٠٪ و٣٣٪ و٢٥٪. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٥١ و ٨٥. قدامة، الخراج، ص ٢٢٣. ابن الطقطقي، الفخري، ص ١٣٢.

(٨) أي التي لا يستطيع المصدق التثبت منها فيرى فقهاء الحنفية إنها مملوكة إلى أربابها. ينظر: السرخسي، المبسوط، ج ٢، ص ١٦٩. الزيلعي، تبيين الحقائق، ج ١، ص ٢٥٥.

[1] فليست من المثليات فليس الواجب فيها جزءًا معينًا منها فلا يتعين زكاتها قبل القبض والله اعلم.

{ فوض أداء زكاتها إلى أصحابها، صرح في العناية وتصرف على أمرين أحدهما إن أصحابها يدفعون إلى من شاءوا، والآخر إن لهم ولاية نقل قدر الزكاة إلى مال آخر [2]. وهذا ما جاء في شرح مجمع البحرين [3]. ولذا إذا باع صاحب النصاب من المال الباطن النصاب يجوز البيع في صحة الزكاة كما في مجمع البحرين [4]. وإذا باع الطعام الذي وجب فيه العشر لا يجوز البيع من [5] حصة العشر، كما في شرح مجمع البحرين [6]؛ إذ ليس لصاحب الطعام نقل العشر إلى آخر، ثم إن كلا من الفريقين يستقل في استلزام إن المصرف ليس بشريك، فإذا مر صاحب النصاب من المال الباطن على العاشر يجب التفريق الأول ويبقى التفريع } [7].

إن العشر يجب في القصيل [8] أيضًا وهو الزروع الصالح للقطع لكن إذا أدرك ينتقل للعشر من الساق إلى الحب فلا عشر كذا في التبن، كذا في العناية [9].

فيصح بيع عشر القصيل وقس عليه القصيل في الأراضي الخراجية والأميرية.

{ نعم من فُوض وهو وكيل السلطان للقبض والبيع. إن قلت فهل كل المصرف غيره لهذين الأمرين؟ قلت: كما قال في الدرر [10] في باب الجمعة: قالوا من قام مقام غيره، لغيره لا يجوز له إن يُقيم غيره مقام نفسه، ومن قام غيره لنفسه كان له إن يُقيم غيره مقام نفسه انتهى } [11].

{ فدل إن المصرف يقوم مقام السلطان نفسه } [12].

---

(1) الشائمةُ: الراعية من الحيوانات التي تجب فيها الزكاة، سُميت بذلك لأنها ترعى العشب والكلأ. قال تعالى: { وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ }، أي ترعون فيه أنعامكم. وهي عند الفقهاء التي تكتفي بالرعي في أكثر العام. ينظر: ابن مودود، الاختيار، ج ١، ص ١٠٥.

(٢) البابرتي، العناية، ج ٢، ص ١٦٣.

(٣) ابن ملك، شرح مجمع البحرين، ص ١٢٢.

(٤) ابن الساعاتي، مجمع البحرين، ص ٢٨٧.

(٥) في الأصل: في، والصواب ما أثبتناه.

(٦) ابن ملك، شرح مجمع البحرين، ورقة ١٢٢.

(٧) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٨) القَصِيل: بفتح القاف وكسر الصاد، بوزن القتيل، هو الشعير يجز أخضر لعلف الدواب، وفسره الفقهاء بالزرع الأخضر مطلقا كالقمح والذرة والشعير ونحو ذلك يقطع وهو أخضر لعلف الدواب، فقال جمهورهم لا يجوز بيعه وهو أخضر إلا بشرط القطع. ينظر: الشيباني، الأصل، ج ٢، ص ١٠٨.

(٩) البابرتي، العناية، ج ٢، ص ٢٤٥.

(١٠) خسرو، درر الحكام، ج ١، ص ١٤٠.

(١١) المرغيناني، الهداية، ج ٣، ص ٣. ينظر كذلك: ابن الهمام، فتح القدير، ج ٧، ص ٢٩٩. ملا خسرو، درر الحكام، ج ١، ص ١٣٩. وما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(١٢) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

{فيبقى بيع عشر القصيل، أي من الشريك، وهو صاحب الزروع ومن غيره بإذنه} [1].

{ قال آخر: ويجوز بيع الزرع من غير شريكه بغير أذنه إن لم يفسخ الإجارة فانه ينقلب إلى الجوز انتهى}[2].

{ والحصاد يعني إلى وقت الإدراك كما في البزازية [3] } [4].

لكن إن باع حب القصيل يبطل البيع؛ لأنه بيع المعدوم [5]، فالمُصرف إذا باع بعقد واحد زكاة مزروعات قرية بعضها قصيل وبعضها مدرك فان قال بعت جميع ما يعود إلي من حبوبات هذه القرية. ونوى حبوبات القصيل أيضًا يبطل البيع.

وإن قال من مزروعات هذه القرية يصح.

فاعرف.

تمت هذه النسخة الشريفة في شهر شوال سنة ١١٤٢هـ.

(١) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٢) ورد النص عند: المرغيناني، الهداية، ج ٣، ص ٣. ابن مازه، المحيط البرهاني، ج ٥، ص ٥٨٣. ابن الهمام، فتح القدير، ج ٦، ص ١٥٤. ابن نجيم، البحر الرائق، ج ٥، ص ١٨٠.

(٣) الكردري، الفتاوى البزازية، ج ٤، ص ٣٦.

(٤) ما بين معقوفتين استدركه الناسخ في الحاشية.

(٥) بيع المعدوم: أحد أنواع البيوع المنهي عنها شرعًا، وهو باطل باتفاق الفقهاء، والعلة في تحريمه لإنعدام القدرة على تسليمه، ومن أمثلة بيع المعدوم، بيع الثمرة قبل أن تُخْلَق، وبيع الْمَضَامِين، وبيع الْمَلاَقِيح. وذلك لحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الْمَضَامِينِ وَالْمَلاَقِيحِ وَحَبَلِ الْحَبَلَةِ". لما في ذلك من الْغَرَرِ وَالْجَهَالَةِ. ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص١١٥٣. ابن الهمام، فتح القدير، ج ١، ص ٥٠. ابن قدامة، المغني، ج ٣، ص ١٥٧.

مصادر ومراجع التحقيق

القرآن الكريم

أولاً المخطوطات:

ساجقلي زادة، محمد بن أبي بكر المرعشي (ت١١٤٥هـ).

١. رسالة الأراضي الخراجية، نسخة مكتبة راغب باشا تحمل الرقم (١٠٥٧)، والرقم الْحَمِيْدِيّ لها: (٨١٨/ ٦).

ابن ملك، عبد اللطيف بن عبد العزيز (ت٨٠١هـ).

٢. شرح مجمع البحرين، نسخة جامعة برنستون الرقم: ١٠٥٧/ رمز الحفظ: ٣٦٧٣.

ثانيًا المصادر:

ابن آدم، يحيى بن آدم بن سليمان (ت٢٠٣هـ).

٣. الخراج، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م).

الأندربتي، عالم بن العلاء (ت٧٨٦هـ).

٤. الفتاوى التتارخانية، جمعها: شبير أحمد القاسمي (ديوبند، مكتبة زكريا، ٢٠١٠م).

الأوزجندي، الحسن بن منصور (ت٥٩٢هـ).

٥. فتاوى قاضي خان، اعتناء سالم مصطفى (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م).

البابرتي، محمد بن محمد (ت٧٨٦هـ).

٦. العناية شرح الهداية (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د. ت).

البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ).

٧. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م).

البلاذري، أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ).

٨. فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).

البهوتي، منصور بن يونس (ت١٠٥١هـ).

٩. كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: محمد حسن (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٧م).

التهانوي، محمد علي بن محمد حامد (ت١١٩١هـ).

١٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: د. علي دحروج (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ).

١١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت).

ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ).

١٢. الدرر الكامنة بأعيان المئة الثامنة، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م).

الحصكفي، محمد بن علي (ت١٠٨٨هـ).

١٣. الدر المختار شرح تنوير الأبصار (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٠هـ).

١٤. الدر المنتقى في شرح الملتقى (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

الخطابي، حمد بن محمد (ت٣٨٨هـ).

١٥. معالم السنن (حلب، المطبعة العلمية، ١٩٣٢م).

داماد، عبدالرحمن بن سليمان (ت١٠٨٧هـ).

١٦. مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).

ابن زنجويه، حميد بن مخلد (ت٢٥١هـ).

١٧. الأموال، تحقيق: د. شاكر ذيب الفياض، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٦).

الزيلعي، عثمان بن علي (ت٧٤٢هـ).

١٨. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٩٩٠م).

ساجقلي زادة، محمد بن أبي بكر المرعشي (ت١١٤٥هـ).

١٩. جهد المقل، تحقيق د. سالم قدوري (عمان، دار عمار، ٢٠٠٨م).

ابن الساعاتي، أحمد بن علي (ت٦٩٤هـ).

٢٠. مجمع البحرين وملتقى النيرين، تحقيق: الياس قبلأن (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م).

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ).

٢١. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بيروت، دار مكتبة الحياة، د. ت).

السرخسي، محمد بن أحمد (ت٤٨٣هـ).

٢٢. المبسوط تصحيح جماعة من العلماء (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ).

السمرقندي، محمد بن يوسف (ت٥٥٦هـ).

٢٣. الفقه النافع، تحقيق: د. إبراهيم بن محمد (الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٠م).

السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ).

٢٤. الأنساب، قدم له وعلق عليه: عبد الله عمر (بيروت، دار الجنان، ١٩٨٨م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ).

٢٥. لب اللباب في تحرير الأنساب (بغداد، مكتبة المثنى، د. ت).

ابن الشحنة، أحمد بن محمد (ت٨٨٢هـ).

٢٦. لسان الحكام في معرفة الأحكام (القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٣م).

الشربيني، محمد بن أحمد (ت٩٧٧هـ).

٢٧. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٨م).

الشيباني، محمد بن الحسن (ت١٨٩هـ).

٢٨. الأصل، تحقيق: د. محمد بوينوكالن (قطر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٢م).

طاش كبري زادة، أحمد بن مصطفى (ت٩٦٨هـ).

٢٩. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٥م).

ابن الطقطقا، محمد بن علي (ت٧٠٩هـ).

٣٠. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (بيروت، دار صادر، د. ت).

ابن عابدين، محمد أمين بن عمر (ت١٢٥٢هـ).

٣١. رد المحتار على الدر المختار (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م).

٣٢. العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية (بيروت، دار المعرفة، د. ت).

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ).

٣٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت).

العيني، محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ).

٣٤. منحة السلوك في شرح تحفة الملوك، تحقيق: د. أحمد عبد الرزاق الكبيسي (قطر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧).

الغزي، تقي الدين بن عبد القادر (ت١٠١٠هـ).

٣٥. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد (القاهرة، مطابع الأهرام، ١٩٧٠م).

ابن قدامة، عبد الله بن محمد (ت٦٢٠هـ).

٣٦. المغني على مختصر الخرقي، تصحيح: محمد رشيد رضا (القاهرة، مطبعة المنار، ١٣٤٥هـ).

القرشي، عبد القادر بن محمد (ت٧٧٥هـ).

٣٧. الجواهر المضية في طبقات الحنفية (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، د. ت).

ابن قطلوبغا، قاسم بن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ).

٣٨. تاج التراجم في طبقات الحنفية (بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٣م).

الكاساني، مسعود بن أحمد (ت٥٨٧هـ).

٣٩. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (القاهرة، شركة المطبوعات العلمية، ١٣٢٧هـ).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ).

٤٠. تفسير القرآن العظيم (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د. ت).

الكردري، محمد بن محمد (ت٨٢٧هـ).

٤١. الفتاوى البزازية (القاهرة، المطبعة الأميرية الكبرى، ١٣١٠هـ).

ابن مازه، محمود بن محمد (ت٦١٦هـ).

٤٢. المحيط البرهاني، تحقيق: نعيم اشرف (بيروت، مؤسسة نزيه كركي، ٢٠٠٤م).

الماوردي، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ).

٤٣. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دراسة وتحقيق: د. محمد جاسم الحديثي (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠١م).

المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت١١١١هـ).

٤٤. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (القاهرة، المطبعة الوهبية، د. ت).

المرادي، محمد بن خليل بن علي (ت١٢٠٦هـ).

٤٥. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (بيروت، دار ابن حزم، ١٩٨٨).

المرغيناني، علي بن أبي بكر (ت٥٣٩هـ).

٤٦. الهداية شرح البداية (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د. ت).

مسلم، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ).

٤٧. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤م).

ملا خسرو، محمد بن فراموز (ت٨٨٥هـ).

٤٨. درر الحكام في شرح غرر الأحكام (القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٠٤هـ).

المناوي، عبد الرؤوف بن علي بن زين العابدين (ت١٠٣١هـ).

٤٩. التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م).

ابن مودود، عبد الله بن محمود (ت٦٨٣هـ).

٥٠. الاختيار لتعليل المختار، علق عليه: محمود أبو دقيقة (بيروت، دار المعرفة، د. ت).

ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم (ت٩٧٠هـ).

٥١. البحر الرائق شرح كنز الدقائق (بيروت، دار المعرفة، د. ت).

٥٢. الأشباه والنظائر (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٠م).

ابن نجيم، عمر بن إبراهيم (ت١٠٠٥هـ).

٥٣. النهر الفائق شرح كنز الدقائق، تحقيق: أحمد عز (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م).

ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد (ت٨٦١هـ).

٥٤. فتح القدير للعاجز الفقير (القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، د. ت).

ياقوت، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ).

٥٥. معجم البلدان (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م).

أبو يعلى، محمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ).

٥٦. الأحكام السلطانية، صححه: محمد حامد الفقي (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ).

٥٧. الخراج، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م).

ثالثًا: المراجع:

بروسه لي، محمد طاهر.

٥٨. عثمانلي مؤلفري (استنبول المطبعة العامرة، ١٣٣٣هـ).

بروكلمان، كارل.

٥٩. تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م).

البغدادي، إسماعيل بن محمد بن سليم.

٦٠. إيضاح المكنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت).

٦١. هدية العارفين إلى أسماء المصنفين وآثار المؤلفين (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت).

الحسني، عبد الحي بن فخر الدين.

٦٢. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٩م).

الداقوقي، إبراهيم (الدكتور) وأخرون.

٦٣. المعجم العربي التركي (بيروت، ١٩٨٢م).

الدغيم، محمود السيد (الدكتور).

٦٤. فهرس المخطوطات العربية والتركية والفارسية في مكتبة راغب باشا (بيروت، ٢٠١٦م).

الزركلي، خير الدين محمود.

٦٥. الأعلام (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م).

زيدان، جرجي.

٦٦. تاريخ آداب اللغة العربية (القاهرة، دار الهلال، د. ت).

الطباخ، محمد راغب بن محمود.

٦٧. أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (حلب، دار القلم، ١٩٨٨م).

فريد بك، محمد.

٦٨. تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي (بيروت، دار النفائس، ١٩٨١م).

الكبيسي، مقتدر حمدان (الدكتور).

٦٩. ملكية الأراضي الزراعية واستثمارها في الأندلس (بغداد، ٢٠٠٩م).

٧٠. الآراء المالية في كتاب الأم للإمام الشافعي، (بروناي، منشورات جامعة السلطان الشريف علي، ٢٠١٥م).

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير.

٧١. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشايخ والمسلسلات، تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م).

كحالة، عمر رضا (الدكتور).

٧٢. معجم المؤلفين (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٧م).

اللكنوي، عبد الحي بن محمد.

٧٣. الفوائد البهية في تراجم الحنفية (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ت).

محسن، طه.

٧٤. فهرس مخطوطات الأستاذ محرم جلبي المرعشي، مجلة المورد.

٧٥. فهرس الخزانة التيمورية (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٨م).

المراغي، عبد الله بن مصطفى.

٧٦. الفتح المبين في طبقات الأصوليين (القاهرة، ١٩٤٧م).

المرصفي، عبد الفتاح بن السيد عجمي.

٧٧. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (المدينة المنورة، مكتبة طيبة، د. ت).

النقيب، أحمد بن محمد.

٧٨. المذهب الحنفي (الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠١م).

نويهض، عادل.

٧٩. معجم المفسرين (بيوت، مؤسسة نويهض الثقافية، ١٩٨٨م).

وجدي، محمد فريد.

٨٠. دائرة معارف القرن العشرين (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧١م).

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

٨١. الموسوعة الفقهية، (الكويت، ١٩٩٠م).